

بناء دولة الاسلام

٢١ - ٣٠

محمود شاكر

المكتب الاسلامي

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الثانية

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

المكتبة الإسلامية

بَـيـرُوت : ص.ب. : ٣٧٧١ / ١١ - بَـرُوقِيا : اِسْـلَـامِـيـا - تَـلَـكُـس : ٤٠٥٠١ - هَـاتِف : ٤٥٠٦٣٨

دَمَشَق : ص.ب. : ١٣٠٧٩ - هَـاتِف : ١١٦٣٧

عَمَّـان : ص.ب. : ١٨٢٠٦٥ - هَـاتِف : ٦٥٦٦٠٥ - فَاكْس : ٧٤٨٥٧٤

بُناة دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ

- ٢١ -

عَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الْعَبَّاسِيُّ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (هَذَا الْعَبَّاسُ عَمُّ نَبِيِّكُمْ، أَجْوَدُ قُرَيْشٍ كَفًّا، وَأَوْصَلُهَا).

«رواه الحاكم»

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا بَالُ رَجَالٍ يُؤْذُونَنِي فِي الْعَبَّاسِ، وَإِنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنُو أَبِيهِ، مَنْ آذَى الْعَبَّاسَ فَقَدْ آذَانِي).

«رواه الترمذي».

مقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَسُولِ اللَّهِ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَتِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

أما بعد : فَإِنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَمْ يَكُنْ إِنْسَانًا مَجْهُولًا وَلَا رَجُلًا مَغْمُورًا وَإِنَّمَا كَانَ عَظِيمًا فِي قُرَيْشٍ بَارِزًا بَيْنَ أَبْطَالِهَا مَعْرُوفًا بَيْنَ رِجَالِهَا، وَزَادَتْهُ صُحْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عِزًّا، وَعُمُومَتُهُ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رِفْعَةً، وَإِسْلَامُهُ مَكَانَةً، وَعِبَادَتُهُ مَنْزِلَةً. وَلَكِنَّهُ لَعِبَ دَوْرًا فِي الْإِسْلَامِ جَهْلُهُ الْكَثِيرُونَ أَشَارَتْ إِلَيْهِ كُتُبُ السِّيَرَةِ دُونَ إِفْصَاحٍ، وَالْمَحَ إِلَيْهِ الْمُؤَرِّخُونَ دُونَ الْحَدِيثِ عَنْهُ، ذَلِكَ الدَّوْرُ هُوَ إِسْلَامُهُ الْمُبَكِّرُ قَبِيلَ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ وَإِخْفَاءُ ذَلِكَ عَنِ النَّاسِ عَامَّةً كَيْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يُؤَدِّيَ مَا كَلَّفَهُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ إِخْبَارُ الْمَدِينَةِ مَا تَقُومُ بِهِ قُرَيْشٌ فِي مَكَّةَ، وَمَا تَنْوِي عَمَلُهُ، وَقَدْ اسْتَمَرَّ فِي تَأْدِيَةِ عَمَلِهِ

عَلَى أَحْسَنِ صُورَةٍ حَتَّى أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَيْشُهُ الضَّخْمُ عَلَى أَبْوَابِ مَكَّةَ وَلَا قِبَلَ لَهَا بِهِ، وَعِنْدَهَا أَشْهَرُ إِسْلَامِهِ إِذْ انْتَهَى دَوْرُهُ، وَلَمْ تَعُدْ هُنَاكَ حَاجَةٌ لِإِخْفَائِهِ، وَانْضَوَى فِي صُفُوفِ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَغَدَا جُنْدِيًّا مِنْ جُنُودِ الْإِسْلَامِ يَسْعَى لِنَشْرِهِ وَالذَّبِّ عَنْهُ.

أَرْجُو أَنْ أُوفِّقَ فِي إِبْرَازِ حَيَاةِ هَذَا الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ، وَإِظْهَارِ بَعْضِ جَوَانِبِ حَيَاتِهِ الْمَجْهُولَةِ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُسَدِّدَ خُطَاؤَنَا، وَأَنْ يُهَيِّئَ لَنَا الْاِقْتِدَاءَ بِسِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَحْبِهِ الْكَرَامِ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

كَانَ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ جَدُّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَشْرَةٌ مِنَ الْأَبْنَاءِ، وَسِتٌّ مِنَ الْبَنَاتِ مِنْ خَمْسِ نِسْوَةٍ، وَكَانَ الْعَبَّاسُ مِنْ أَصْغَرِهِمْ، وَأُمُّهُ ثَقِيلَةُ بِنْتُ جَنَابِ بْنِ كَلَيْبِ الَّتِي أَنْجَبَتْ أَيْضًا ضِرَارًا.

وُلِدَ الْعَبَّاسُ قَبْلَ عَامِ الْفِيلِ بِثَلَاثِ سَنَوَاتٍ أَيْ قَبْلَ مَوْلِدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِثَلَاثِ سَنَوَاتٍ، فَهُوَ أَقْرَبُ عُمُومَتِهِ إِلَيْهِ سِنًا. وَلَمَّا سُئِلَ الْعَبَّاسُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنْتَ أَكْبَرُ أَمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ: هُوَ أَكْبَرُ مِنِّي، وَأَنَا أَسَنُ مِنْهُ، مَوْلِدُهُ بَعْدَ عَقْلِي، أُتِيَ إِلَى أُمِّي، فَقِيلَ لَهَا: وَلِدْتَ آمِنَةً غَلَامًا، فَخَرَجَتْ بِي حِينَ أَصْبَحَتْ آخِذَةً بِيَدِي، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَيْهَا، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَمْصَعُ رِجْلِيهِ فِي عَرَصَتِهِ، وَجَعَلَ النِّسَاءُ يَجْبِذْنِي عَلَيْهِ، وَيَقْلُنَ: قَبْلَ أَخَاكَ.

كَانَ الْعَبَّاسُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، شَرِيفًا، مَهِيًّا، عَاقِلًا،

جَمِيلًا، أَبْيَضَ، بَضًّا، لَهُ ضَفِيرَتَانِ، مَعْدِلَ الْقَامَةِ. وَوَصَفَهُ
الذَّهَبِيُّ فَقَالَ: بَلْ كَانَ مِنْ أَطْوَلَ الرِّجَالِ، وَأَحْسَنِهِمْ صُورَةً،
وَأَبْنَاهُمْ، وَأَجْهَرِهِمْ صَوْتًا مَعَ الْجِلْمِ الْوَافِرِ، وَالسُّودِّ.

رُوي أَنَّهُ كَانَ لِلْعَبَّاسِ رَاعٍ يَرْعَى لَهُ عَلَى مَسِيرَةِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ
فَإِذَا أَرَادَ مِنْهُ شَيْئًا صَاحَ بِهِ فَاسْمَعُهُ حَاجَتَهُ^(١).

وَكَانَ لِلْعَبَّاسِ ثَوْبٌ لِعَارِي بَنِي هَاشِمٍ، وَجَفَنَةٌ لِحَاجَائِهِمْ،
وَمَنْظَرَةٌ لِحَاجِلِهِمْ، وَكَانَ يَمْنَعُ الْجَارَ، وَيَبْذِلُ الْمَالَ، وَيُعْطِي
فِي النَّوَائِبِ. وَكَانَ هُوَ الَّذِي يَلِي أَمْرَ بَنِي هَاشِمٍ فِي
الْجَاهِلِيَّةِ. وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ صَخْرُ بْنُ حَرْبٍ نَدِيمَهُ فِي
الْجَاهِلِيَّةِ.

وَمَعَ أَنَّ الْعَبَّاسَ كَانَ قَرِيبَ السَّنِّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ الصَّلَةُ وَثِيقَةً بَيْنَهُمَا، وَالْمَحَبَّةُ قَائِمَةً
غَيْرَ أَنَّ الْعَبَّاسَ لَمْ يَكُنْ لَهُ دَوْرٌ فِي الْحَدِيثِ عَنِ الْإِسْلَامِ فِي
مَكَّةَ، لَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤَيَّدِينَ وَلَا بَيْنَ الْأَعْدَاءِ الَّذِينَ عَادُوا
الدَّعْوَةَ وَنَاصَبُوا أَهْلَهَا الْعُدْوَانَ، وَقَدْ سَكَتَ عَنْهُ
كُتُبُ السِّيَرَةِ فِي هَذَا الدَّوْرِ رَغْمَ اللِّقَاءَاتِ الْكَثِيرَةِ الْخَاصَّةِ

(١) سير أعلام النبلاء: ٩٥/٢.

الَّتِي كَانَ يَلْتَقِي فِيهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
الْأَمْرُ الَّذِي يُشِيرُ إِلَى أَنَّ لَهُ دَوْرًا بَقِيَ غَاصِبًا نَسْتَجْلِي بَعْضَهُ فِي
الْحَدِيثِ عَنِ إِسْلَامِهِ، وَفَجْأَةً يَبْرُزُ الْعَبَّاسُ فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ
الثَّانِيَةِ.

فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ:

قَالَ عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ: لَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ قَالَ لِي سَعْدُ بْنُ
خَيْشَمَةَ وَمَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ: يَا عُوَيْمُ انْطَلِقْ بِنَا
حَتَّى نَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَسْلَمَ عَلَيْهِ فَإِنَّا
لَمْ نَرَهُ قَطُّ وَقَدْ آمَنَّا بِهِ. فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ فَقِيلَ لِي: هُوَ فِي دَارِ
الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَرَحَلْنَا عَلَيْهِ فَسَلَّمْنَا وَقُلْنَا لَهُ: مَتَى
نَلْتَقِي؟ فَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: إِنَّ مَعَكُمْ مِنْ قَوْمِكُمْ
مَنْ هُوَ مُخَالِفٌ لَكُمْ فَأَخْفُوا أَمْرَكُمْ حَتَّى يَنْصَدِعَ هَذَا الْحَاجُّ
وَنَلْتَقِي نَحْنُ وَأَنْتُمْ فَنُوضِّحْ لَكُمْ الْأَمْرَ فَتَدْخُلُونَ عَلَى أَمْرِ بَيْنٍ.
فَوَعَدَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّيْلَةَ الَّتِي فِي
صُبْحِهَا النَّفَرُ الْآخِرُ أَنْ يُوَافِيَهُمْ أَسْفَلَ الْعَقَبَةِ حَيْثُ الْمَسْجِدُ
الْيَوْمَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ لَا يُنْبَهُوا نَائِمًا وَلَا يَتَنَظَّرُوا غَائِبًا.

فَخَرَجَ الْقَوْمُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ لَيْلَةَ النَّفَرِ الْأَوَّلِ بَعْدَ هَذِهِ يَتَسَلَّلُونَ،
وَقَدْ سَبَقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى ذَلِكَ

الْمَوْضِعِ وَمَعَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ مِنَ
 النَّاسِ غَيْرُهُ، وَكَانَ يَتَّقِي بِهِ فِي أَمْرِهِ كُلِّهِ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا كَانَ
 أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ
 الْخَزَرَجِ، وَكَانَتْ الْأَوْسُ وَالْخَزَرَجُ تُدْعَى الْخَزَرَجَ. إِنَّكُمْ
 قَدْ دَعَوْتُمْ مُحَمَّدًا إِلَى مَا دَعَوْتُمُوهُ إِلَيْهِ وَمُحَمَّدٌ مِنْ أَعَزِّ النَّاسِ
 فِي عَشِيرَتِهِ يَمْنَعُهُ وَاللَّهُ مَنْ كَانَ مِنَّا عَلَى قَوْلِهِ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنَّا
 عَلَى قَوْلِهِ مَنَعَةً لِلْحَسَبِ وَالشَّرَفِ، وَقَدْ أَبَى مُحَمَّدًا النَّاسُ كُلُّهُمْ
 غَيْرُكُمْ فَإِنْ كُنْتُمْ أَهْلُ قُوَّةٍ وَجَلَدٍ وَبَصَرٍ بِالْحَرْبِ وَاسْتِقْلَالٍ
 بَعْدَاوَةِ الْعَرَبِ قَاطِبَةً فَإِنَّهَا سَتَرْمِيكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ فَارْتَوُوا
 رَأْيَكُمْ وَاتَّعَمُّوا أَمْرَكُمْ وَلَا تَفْتَرِقُوا إِلَّا عَنْ مَلَأٍ مِنْكُمْ وَاجْتِمَاعٍ
 فَإِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ أَصْدَقُهُ، وَأُخْرَى، صِفُوا لِي الْحَرْبَ كَيْفَ
 تُقَاتِلُونَ عَدُوَّكُمْ. قَالَ: فَاسْكَيْتَ الْقَوْمَ وَتَكَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
 عَمْرٍو بْنِ حَرَامٍ فَقَالَ: نَحْنُ وَاللَّهُ أَهْلُ الْحَرْبِ غُذِّينَا بِهَا
 وَمُرَّئْنَا عَلَيْهَا وَوَرَّثْنَاهَا عَنْ آبَائِنَا كَابِرًا فَكَابِرًا، نَرْمِي بِالنَّبْلِ حَتَّى
 تَفْنَى، ثُمَّ نَطَاعِنُ بِالرَّمَاكِ حَتَّى تُكْسَرَ الرَّمَاكُ، ثُمَّ نَمْشِي
 بِالسُّيُوفِ فَنُضَارِبُ بِهَا حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا أَوْ مِنْ عَدُوِّنَا.
 فَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: أَنْتُمْ أَصْحَابُ حَرْبٍ فَهَلْ
 فِيكُمْ ذُرُوعٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ شَامِلَةٌ. وَقَالَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ:
 قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ، إِنَّا وَاللَّهُ لَوْ كَانَ فِي أَنْفُسِنَا غَيْرُ مَا يُنْطَقُ بِهِ

لَقُلْنَاهُ وَلَكِنَّا نُرِيدُ الْوَفَاءَ وَالصَّدْقَ وَبَذَلَ مُهَجٍ أَنْفُسِنَا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: وَتَلَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْقُرْآنَ ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَرَغَّبَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ وَذَكَرَ الَّذِي اجْتَمَعُوا لَهُ، فَأَجَابَهُ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِالْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ فَبَايَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى ذَلِكَ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَخَذَ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُؤَكِّدُ لَهُ الْبَيْعَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَلَى الْأَنْصَارِ.

وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ الْعَبَّاسَ كَانَ أَخِذًا بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَخْفُوا جَرَسَكُمْ فَإِنَّ عَلَيْنَا عُيُونًا، وَقَدِّمُوا ذَوِي أَسْنَانِكُمْ فَيَكُونُونَ الَّذِينَ يُلُونَ كَلَامَنَا مِنْكُمْ فَإِنَّا نَخَافُ قَوْمَكُمْ عَلَيْكُمْ، ثُمَّ إِذَا بَايَعْتُمْ فَتَفَرَّقُوا إِلَى مَجَالِكُمْ وَاکْتُمُوا أَمْرَكُمْ فَإِنْ طَوَيْتُمْ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَنْصَدِعَ هَذَا الْمَوْسِمُ فَأَنْتُمْ الرِّجَالُ وَأَنْتُمْ لِمَا بَعْدَ الْيَوْمِ. فَقَالَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ: يَا أَبَا الْفَضْلِ اسْمَعْ مِنَّا. فَسَكَتَ الْعَبَّاسُ فَقَالَ الْبَرَاءُ: لَكَ وَاللَّهِ عِنْدَنَا كَيْتَمَانُ مَا تُحِبُّ أَنْ نَكْتُمَ وَإِظْهَارُ مَا تُحِبُّ أَنْ نُظْهَرَ وَبَذَلَ مُهَجٍ أَنْفُسِنَا وَرِضَا رَبَّنَا عَنَّا، إِنَّا أَهْلَ حَلَقَةٍ وَافِرَةٍ وَأَهْلَ مَنَعَةٍ وَعِزٍّ، وَقَدْ كُنَّا عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةٍ

حَجَرٍ وَنَحْنُ كَذَا فَكَيْفَ بَنَا حِينَ بَصَرْنَا اللَّهَ مَا أَعْمَى عَلَى غَيْرِنَا
وَأَيْدَنَا بِمُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ ابْسُطْ يَدَكَ. فَكَانَ أَوَّلَ
مَنْ ضَرَبَ عَلَى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْبَرَاءُ بْنُ
مَعْرُورٍ، وَيُقَالُ: أَبُو الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيْهَانِ، وَيُقَالُ: أَسْعَدُ بْنُ
زُرَّارَةَ.

وَفِي رِوَايَةٍ. انْطَلَقَ النَّبِيُّ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِالْعَبَّاسِ بْنِ
عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَ الْعَبَّاسُ ذَا رَأْيٍ، إِلَى السَّبْعِينَ مِنْ
الْأَنْصَارِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَقَالَ الْعَبَّاسُ: لِيَتَكَلَّمَ
مُتَكَلِّمُكُمْ وَلَا يُطْلَلِ الْخُطْبَةَ فَإِنَّ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَيْنًا وَإِنْ
يَعْلَمُوا بِكُمْ يَفْضَحُوكُمْ. فَقَالَ قَائِلُهُمْ وَهُوَ أَبُو أَمَامَةَ أَسْعَدُ بْنُ
زُرَّارَةَ: يَا مُحَمَّدُ سَلْ لِرَبِّكَ مَا شِئْتَ ثُمَّ سَلْ لِنَفْسِكَ
وَلِأَصْحَابِكَ مَا شِئْتَ؟ ثُمَّ أَخْبَرْنَا مَا لَنَا مِنَ الثَّوَابِ عَلَى اللَّهِ
وَعَلَيْكُمْ إِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ، فَقَالَ: أَسْأَلُكُمْ لِرَبِّي أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا
تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَسْأَلُكُمْ لِي وَلِأَصْحَابِي أَنْ تُؤْوُوا وَتَنْصُرُونَا
وَتَمْنَعُونَا مِمَّا تَمْنَعُونَ أَنْفُسَكُمْ، قَالَ: فَمَا لَنَا إِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ؟
قَالَ: الْجَنَّةَ، قَالَ: فَلَكَ ذَلِكَ.

رُؤْيَا عَاتِكَةَ :

وَابْتَدَأَ الْمُسْلِمُونَ فِي مَكَّةَ يَتَجَهُّونَ نَحْوَ الْمَدِينَةِ مُهَاجِرِينَ،

ثُمَّ هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَقِيَ الْعَبَّاسُ
فِي مَكَّةَ لَا يُسْمَعُ لَهُ صَوْتُ وَلَا يُدْرَى لَهُ دَوْرٌ حَتَّى قُبِلَ مَعْرَكَةُ
بَذْرِ. إِذْ رَأَتْ عَائِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَبْلَ قُدُومِ ضَمْضَمِ
مَكَّةَ بِثَلَاثِ لَيَالٍ، رُؤْيَا أَفْزَعَتْهَا، فَبَعَثَتْ إِلَى أُخِيهَا
الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا أُخِي، وَاللَّهِ لَقَدْ
رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا أَفْظَعْتَنِي، وَتَخَوَّفْتُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى قَوْمِكَ
مِنْهَا شَرٌّ وَمُصِيبَةٌ، فَاتُّمُّ عَنِّي مَا أَحَدَّثَكَ بِهِ، فَقَالَ لَهَا: وَمَا
رَأَيْتُ؟ قَالَتْ: رَأَيْتُ رَاكِبًا أَقْبَلَ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ، حَتَّى وَقَفَ
بِالْأَبْطَحِ، ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَلَا انْفِرُوا يَا لُغْدُرِ
لِمَصَارِعِكُمْ فِي ثَلَاثٍ، فَأَرَى النَّاسَ اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، ثُمَّ دَخَلَ
الْمَسْجِدَ وَالنَّاسُ يَتَّبِعُونَهُ، فَبَيْنَمَا هُمْ حَوْلَهُ مِثْلَ بِهِ بَعِيرُهُ عَلَى
ظَهْرِ الْكَعْبَةِ، ثُمَّ صَرَخَ بِمِثْلِهَا: أَلَا انْفِرُوا يَا لُغْدُرِ لِمَصَارِعِكُمْ
فِي ثَلَاثٍ، ثُمَّ مِثْلَ بِهِ بَعِيرُهُ عَلَى رَأْسِ أَبِي قُبَيْسٍ، فَصَرَخَ
بِمِثْلِهَا. ثُمَّ أَخَذَ صَخْرَةً فَأَرْسَلَهَا فَأَقْبَلَتْ تَهْوِي، حَتَّى إِذَا كَانَتْ
بِأَسْفَلِ الْجَبَلِ ارْفَضَتْ، فَمَا بَقِيَ بَيْتٌ مِنْ بُيُوتِ مَكَّةَ، وَلَا
دَارٌ إِلَّا دَخَلَتْهَا مِنْهَا فَلَقَةُ، قَالَ الْعَبَّاسُ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَرُؤْيَا!
وَأَنْتِ فَاتُّمِّمِيهَا، وَلَا تَذْكُرِيهَا لِأَحَدٍ.

ثُمَّ خَرَجَ الْعَبَّاسُ، فَلَقِيَ الْوَلِيدَ بْنَ عُبَيْدَةَ بْنِ رِبِيعَةَ، وَكَانَ

صَدِيقًا لَهُ، فَذَكَرَهَا لَهُ، وَاسْتَكْتَمَهُ إِيَّاهَا. فَذَكَرَهَا الْوَلِيدُ لِأَبِيهِ،
عُتْبَةَ، فَفَشَا الْحَدِيثُ بِمَكَّةَ، حَتَّى تَحَدَّثَتْ بِهِ قُرَيْشٌ فِي
أَنْدِيَتِهَا.

قَالَ الْعَبَّاسُ: فَغَدَوْتُ لِأَطُوفَ بِالْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ بْنُ
هَشَامٍ فِي رَهْطٍ مِنْ قُرَيْشٍ قُعُودٌ يَتَحَدَّثُونَ بِرُؤْيَا عَاتِكَةَ، فَلَمَّا
رَأَانِي أَبُو جَهْلٍ قَالَ: يَا أَبَا الْفَضْلِ إِذَا فَرَعْتَ مِنْ طَوَافِكَ
فَأَقْبِلْ عَلَيْنَا، فَلَمَّا فَرَعْتُ أَقْبَلْتُ حَتَّى جَلَسْتُ مَعَهُمْ، فَقَالَ لِي
أَبُو جَهْلٍ: يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، مَتَى حَدَّثْتَ فِيكُمْ هَذِهِ النَّبِيَّةُ؟
قَالَ: قُلْتُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: تِلْكَ الرُّؤْيَا الَّتِي رَأَتْ عَاتِكَةُ؛
قَالَ: قُلْتُ: وَمَا رَأَتْ؟ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَمَا رَضِيتُمْ
أَنْ يَتَّبَعَ رِجَالُكُمْ حَتَّى تَتَّبَعَ نِسَاؤُكُمْ! قَدْ زَعَمْتُ عَاتِكَةَ فِي
رُؤْيَاهَا أَنَّهُ قَالَ: أَنْفِرُوا فِي ثَلَاثٍ، فَسَتَرَبَّصُ بِكُمْ هَذِهِ
الثَّلَاثَ، فَإِنْ يَكُ حَقًّا مَا تَقُولُ فَسَيَكُونُ، وَإِنْ تَمُضِ الثَّلَاثُ
وَلَمْ يَكُنْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، نَكْتُبُ عَلَيْكُمْ كِتَابًا أَنْتُمْ أَكْذَبُ أَهْلِ
بَيْتٍ فِي الْعَرَبِ. قَالَ الْعَبَّاسُ: فَوَاللَّهِ مَا كَانَ مِنِّي إِلَيْهِ كَبِيرٌ،
إِلَّا أَنِّي جَحَدْتُ ذَلِكَ، وَأَنْكَرْتُ أَنْ تَكُونَ رَأَتْ شَيْئًا. قَالَ: ثُمَّ
تَفَرَّقْنَا فَلَمَّا أَمْسَيْتُ، لَمْ تَبَقْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِلَّا
أَتَتْنِي، فَقَالَتْ: أَقَرَرْتُمْ لِهَذَا الْفَاسِقِ الْخَبِيثِ أَنْ يَقَعَ فِي
رِجَالِكُمْ، ثُمَّ تَتَاوَلَ النِّسَاءُ وَأَنْتَ تَسْمَعُ، ثُمَّ لَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ غَيْرُ

لِشَيْءٍ مِّمَّا سَمِعْتَ! قَالَ: قُلْتُ: قَدْ وَاللَّهِ فَعَلْتُ، مَا كَانَ مِنِّي
إِلَيْهِ مِنْ كَبِيرٍ. وَأَيْمَنَ اللَّهُ لَأَتَعَرَّضَنَّ لَهُ، فَإِنْ عَادَ لَأَكْفِيَنَّكَهُ.

قَالَ: فَغَدَوْتُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ مِنْ رُؤْيَا عَاتِكَةَ، وَأَنَا حَدِيدٌ
مُغْضَبٌ أَرَى أَنِّي قَدْ فَاتَنِي مِنْهُ أَمْرٌ أَحَبُّ أَنْ أُدْرِكَهُ مِنْهُ. قَالَ:
فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَرَأَيْتُهُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَمْشِي نَحْوَهُ أَتَعَرَّضُهُ،
لِيَعُودَ لِبَعْضِ مَا قَالَ فَأَقْعُ بِهِ، وَكَانَ رَجُلًا خَفِيفًا، حَدِيدَ
الْوَجْهِ، حَدِيدَ اللِّسَانِ، حَدِيدَ النَّظَرِ. قَالَ: إِذْ خَرَجَ نَحْوَ بَابِ
الْمَسْجِدِ يَشْتَدُّ. قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مَا لَهُ لَعْنَةُ اللَّهِ! أَكُلُّ
هَذَا فَرَقٌ مِنِّي أَنْ أُشَاتِمَهُ! قَالَ: وَإِذَا هُوَ قَدْ سَمِعَ مَا لَمْ أَسْمَعْ:
صَوْتُ ضَمْضَمِ بْنِ عَمْرِو الْغِفَارِيِّ، وَهُوَ يَصْرُخُ بِبَطْنِ
الْوَادِي وَاقِفًا عَلَى بَعِيرِهِ، قَدْ جَدَعَ بَعِيرَهُ، وَحَوْلَ رَحْلِهِ، وَشَقَّ
قَمِيصَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اللَّطِيْمَةَ، اللَّطِيْمَةَ،
أَمْوَالَكُمْ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ قَدْ عَرَضَ لَهَا مُحَمَّدٌ فِي أَصْحَابِهِ، لَا
أَرَى أَنْ تُذَرِكُوهَا، الْغَوْثَ الْغَوْثَ. قَالَ: فَشَغَلَنِي عَنْهُ وَشَغَلَهُ
عَنِّي مَا جَاءَ مِنَ الْأَمْرِ.

فَتَجَهَّزَ النَّاسُ سِرَاعًا، وَقَالُوا: أَيُّظُنُّ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ أَنْ
تَكُونَ كَعَبْرِ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ، كَلَّا وَاللَّهِ لَيَعْلَمَنَّ غَيْرَ ذَلِكَ^(١).

(١) سيرة ابن هشام.

وَلَمَّا كَانَتْ قُرَيْشٌ بِمِرَ الظَّهْرَانِ فِي طَرِيقِهَا إِلَى بَدْرِ هَبَّ أَبُو
جَهْلٍ مِنْ نَوْمِهِ فَصَاحَ فَقَالَ: أَلَا تَبَا لِرَأْيِكُمْ مَاذَا صَنَعْتُمْ، خَلَقْتُمْ
بَنِي هَاشِمٍ وَرَاءَكُمْ فَإِنْ ظَفِرَ بِكُمْ مُحَمَّدٌ كَانُوا مِنْ ذَلِكَ
بِنَحْوِهِ، وَإِنْ ظَفِرْتُمْ بِمُحَمَّدٍ أَخَذُوا آثَارَكُمْ مِنْكُمْ مِنْ قَرِيبٍ مِنْ
أَوْلَادِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ، فَلَا تَذَرُوهُمْ فِي بَيْضَتِكُمْ وَفَنَائِكُمْ وَلَكِنْ
أَخْرِجُوهُمْ مَعَكُمْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ غَنَاءٌ، فَارْجِعُوا إِلَيْهِمْ
فَأَخْرِجُوا الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَنَوْفَلًا وَطَالِبًا وَعَقِيلًا
كُرْهًا^(١).

فِي بَدْرِ:

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَدْ كَانَ مَنْ كَانَ مِنَّا بِمَكَّةَ مِنْ بَنِي
هَاشِمٍ قَدْ أَسْلَمُوا فَكَانُوا يَكْتُمُونَ إِسْلَامَهُمْ وَيَخَافُونَ يُظْهِرُونَ
ذَلِكَ فَرَقًا مِنْ أَنْ يَثْبَعَ عَلَيْهِمْ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ فَيُوثَقُوا كَمَا
أُوثِقَتْ بَنُو مَخْزُومٍ سَلَمَةُ بْنُ هِشَامٍ وَعِيَّاشُ بْنُ أَبِي رِبْعَةَ
وغيرهما فَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَصْحَابِهِ
يَوْمَ بَدْرِ: مَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ الْعَبَّاسَ وَطَالِبًا وَعَقِيلًا وَنَوْفَلًا وَأَبَا
سُفْيَانَ^(٢) فَلَا تَقْتُلُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أَخْرَجُوا مُكْرَهِينَ^(٣).

(١) طبقات ابن سعد ١٠/٤.

(٢) أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

(٣) طبقات ابن سعد.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضاً أَنَّ النَّبِيَّ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ لِإِصْحَابِهِ يَوْمَ بَدْرٍ: إِنِّي عَرَفْتُ أَنَّ رِجَالاً مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَغَيْرِهِمْ قَدْ أُخْرِجُوا كُرْهًا لَا حَاجَةَ لَهُمْ بِقِتَالِنَا، فَمَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَلَا يَقْتُلْهُ، مَنْ لَقِيَ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا يَقْتُلْهُ فَإِنَّمَا أُخْرِجَ مُسْتَكْرِهًا. قَالَ: فَقَالَ أَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عُثْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ: نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا وَعَشَائِرَنَا وَنَتْرِكُ الْعَبَّاسَ؟ وَاللَّهِ لَئِنْ لَقِيتُهُ لَأَلْحِمَنَّهُ السَّيْفَ. قَالَ: فَبَلَغَتْ مَقَالَتَهُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: يَا أَبَا حَفْصٍ، قَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ إِنَّهُ لَأَوَّلُ يَوْمٍ كُنَّانِي فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِأَبِي حَفْصٍ، أَيْضَرَبُ وَجْهَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي وَلَاضْرِبْ عُنُقَ أَبِي حُذَيْفَةَ بِالسَّيْفِ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ نَافَقَ. قَالَ وَنَدِمَ أَبُو حُذَيْفَةَ عَلَى مَقَالَتِهِ فَكَانَ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا أَنَا بِآمِنٍ مِنْ تِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي قُلْتُ يَوْمَئِذٍ وَلَا أزالُ مِنْهَا خَائِفًا إِلَّا أَنْ يُكْفِرَهَا اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، عَنِّي بِالشَّهَادَةِ. فَقَتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ شَهِيداً^(١).

وَكَانَتْ مَعْرَكَةُ بَدْرٍ الْفَاصِلَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ،

(١) انظر الطبقات وسيرة ابن هشام.

وَحَمِيَّ الْوُطَيْسُ وَلَمْ يُقَاتِلِ الْعَبَّاسُ، وَلَكِنَّهُ أُسِرَ فِيمَنْ أُسِرَ،
وَكَانَ الَّذِي أَسْرَهُ أَبُو الْيَسْرِ كَعْبُ بْنُ عَمْرِو أَخُو بَنِي سَلَمَةَ،
وَكَانَ أَبُو الْيَسْرِ رَجُلًا مَجْمُوعًا وَكَانَ الْعَبَّاسُ رَجُلًا جَسِيمًا،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَبِي الْيَسْرِ: كَيْفَ
أَسْرَتَ الْعَبَّاسَ يَا أَبَا الْيَسْرِ؟. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ أَعَانَنِي
عَلَيْهِ رَجُلٌ مَا رَأَيْتُهُ قَبْلُ وَلَا بَعْدُ، هَيْئَتُهُ كَذَا وَهَيْئَتُهُ كَذَا، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَقَدْ أَعَانَكَ عَلَيْهِ مَلَكُ
كَرِيمٌ^(١).

وَقَالَ أَبُو الْيَسْرِ: نَظَرْتُ إِلَى الْعَبَّاسِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَهُوَ وَاقِفٌ
كَأَنَّهُ صَنْمٌ، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ. فَقُلْتُ: جَزَاكَ اللَّهُ مِنْ ذِي رَحِمٍ
شَرًّا! أَتُقَاتِلُ ابْنَ أَخِيكَ مَعَ عَدُوِّهِ؟ قَالَ: مَا فَعَلْتُ، أَقْتِلُ؟
قُلْتُ: اللَّهُ أَعَزُّ لَهُ وَأَنْصَرُ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: مَا تُرِيدُ إِلَيَّ؟ قُلْتُ:
الْأَسْرُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَهَى عَنْ
قَتْلِكَ. قَالَ: لَيْسَتْ بِأَوَّلِ صِلَتِهِ، فَأَسْرَتُهُ ثُمَّ جِئْتُ بِهِ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢).

فَالْعَبَّاسُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَعَ قُوَّتِهِ الَّتِي عُرفَ بِهَا،

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ١٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢/ ٨١.

وَشَجَاعَتِهِ الَّتِي اسْتَهْرَ بِهَا، لَمْ يُقَاتِلْ، وَلَمْ يُسْهَرْ سَيْفًا، وَمَا ذَلِكَ عَنْ جُبْنٍ وَلَا ضَعْفٍ وَلَكِنَّهُ لَا يُرِيدُ أَنْ يُقَاتِلَ ابْنَ أَخِيهِ وَأَصْحَابَهُ مِنْ إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَوْ كَانَ لَا يُحِبُّ أَنْ يُحَارِبَ ابْنَ أَخِيهِ فَقَطْ لَتَجَنَّبَهُ فِي الْقِتَالِ، وَأَعْمَلَ السَّيْفَ فِي غَيْرِهِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَرْغَبُ فِي حَرْبٍ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

فِي الْأَسْرِ:

لَقَدْ كَانَ الْعَبَّاسُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَيْنَ الْأَسْرَى، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْشَى عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُصَابَ بِأَذَى، وَعَمَلُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. فَسَهَرَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَيْلَتَهُ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: مَا أَسْهَرَكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ فَقَالَ: أَيْنُ الْعَبَّاسِ. فَقَامَ رَجُلٌ فَأَرَخَى مِنْ وَثَاقِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا لِي لَا أَسْمَعُ أَيْنَ الْعَبَّاسِ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: إِنِّي أُرْخِيتُ مِنْ وَثَاقِهِ شَيْئًا، قَالَ: فَافْعَلْ ذَلِكَ بِالْأَسَارَى كُلِّهِمْ^(١).

وَأَسْتَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَصْحَابَهُ فِي مَوْضُوعِ الْأَسْرَى، فَسَأَلَ أَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعَلِيًّا،

(١) طبقات ابن سعد.

وَعَبَدَ اللَّهَ بْنَ رَوَاحَةَ، وَعَبَدَ اللَّهَ بْنَ جَحْشٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: هَؤُلَاءِ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ وَالْإِخْوَانِ، قَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ الظَّفَرَ وَنَصَرَكَ عَلَيْهِمْ، أَرَى أَنْ تَسْتَبْقِيَهُمْ وَتَأْخُذَ الْفِدَاءَ مِنْهُمْ، فَيَكُونُ مَا أَخَذْنَا مِنْهُمْ قُوَّةَ لَنَا عَلَى الْكُفَّارِ، وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ بِكَ فَيَكُونُونَ لَنَا عَضُدًا^(١).

إِنَّ أَبَا بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَعْرِفُ وَحْدَهُ الدَّوْرَ الَّذِي يَقُومُ بِهِ الْعَبَّاسُ فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَقْتَرِحَ الْقَتْلَ، وَلَا يَعْرِفَ هَذَا سِوَاهُ فَاقْتَرَحُوا الْقَتْلَ لِأَنَّ أَكْثَرَ الْأَسَارَى مِنَ الْأَعْدَاءِ الْأِلْدَاءِ الَّذِينَ ذَاقَ مِنْهُمْ الْمُسْلِمُونَ الْأَذَى الْكَثِيرَ فِي مَكَّةَ يَوْمَ كَانُوا فِيهَا.

وَقَبِلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْفِدَاءَ مِنَ الْأَسْرَى، فَعَدَا مَنْ فَدَا نَفْسَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلَ ذَوُوهُ فِي فِدَائِهِ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِلْعَبَّاسِ: «افْدِ نَفْسَكَ، وَابْنَ أَخِيكَ عَقِيلًا، وَنَوْفَلَ بْنَ الْحَارِثِ، وَحَلِيفَكَ عُبَيْةَ بْنَ جَحْدَمٍ». فَأَبَى وَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ مُسْلِمًا قَبْلَ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا اسْتَكْرَهُونِي. قَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِشَأْنِكَ، إِنْ يَكُ مَا تَدْعِي حَقًّا، فَاللَّهُ يُجْزِيكَ بِذَلِكَ، وَأَمَّا ظَاهِرُ أَمْرِكَ فَقَدْ كَانَ عَلَيْنَا فَاذِدْ نَفْسَكَ».

(١) السيرة الحلبية.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ عَرَفَ أَنَّ
 الْعَبَّاسَ أُخِذَ مَعَهُ عِشْرِينَ أُوقِيَّةً ذَهَبًا. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
 احْسُبْهَا لِي مِنْ فِدَائِي. قَالَ: «لَا، ذَاكَ شَيْءٌ أَعْطَانَا اللَّهُ
 مِنْكَ». قَالَ: فَإِنَّهُ لَيْسَ لِي مَالٌ! قَالَ: «فَأَيْنَ الْمَالُ الَّذِي
 وَضَعْتَهُ بِمَكَّةَ عِنْدَ أُمِّ الْفَضْلِ، وَلَيْسَ مَعَكُمْ أَحَدٌ غَيْرُكُمْ،
 فَقُلْتُ: إِنْ أَصِيبْتُ فِي سَفَرِي فَلِلْفَضْلِ كَذَا، لِقُشْمٍ كَذَا،
 وَلِعَبْدِ اللَّهِ كَذَا؟».

قَالَ: فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عَلِمَ بِهَذَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ
 غَيْرُهَا، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ^(١).

إِنَّ دَوْرَ الْعَبَّاسِ فِي مَكَّةَ لَمْ يَنْتَهُ بَعْدُ، لِذَا فَقَدْ قَالَ لَهُ رَسُولُ
 اللَّهِ، عِنْدَمَا ذَكَرَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ «اللَّهُ أَعْلَمُ بِشَأْنِكَ، إِنْ يَكُ مَا تَدَّعِي
 حَقًّا، فَاللَّهُ يَجْزِيكَ بِذَلِكَ، وَأَمَّا ظَاهِرُ أَمْرِكَ فَقَدْ كَانَ عَلَيْنَا فَافِدٍ
 نَفْسِكَ. وَلَا يُمْكِنُ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَقُولَ
 غَيْرَ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ لَوْ قَالَ لَا تُكْشِفَتِ الْخِطَةُ وَلَمْ يَعِدِ الْعَبَّاسُ قَادِرًا
 أَنْ يُودِّيَ أَيَّ دَوْرٍ، فَلَا بُدَّ مِنَ التَّمْوِيهِ كَيْ تَبْقَى الْخِطَةُ مُحْكَمَةً.

(١) سير أعلام النبلاء.

وَهَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعَبَّاسَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَدْ أَسْلَمَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ، وَأَعْتَقْدُ قَبْلَ الْعَقْبَةِ. وَإِنَّ مُخَاطَبَةَ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ لَهُ يَوْمَ الْعَقْبَةِ مَا يُنْبِئُ عَلَى ذَلِكَ [وَقَدْ كُنَّا عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ حَجَرٍ وَنَحْنُ كَذَا فَكَيْفَ بِنَا حِينَ بَصَرْنَا اللَّهَ مَا أَعْمَى عَلَى غَيْرِنَا...]. وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى قِدَمِ إِسْلَامِهِ مَا جَاءَ فِي طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ رِوَايَةً عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: أَسْلَمَ الْعَبَّاسُ بِمَكَّةَ قَبْلَ بَدْرِ، وَأَسْلَمَتْ أُمُّ الْفَضْلِ مَعَهُ حِينَئِذٍ، وَكَانَ مُقَامُهُ بِمَكَّةَ، إِنَّهُ كَانَ لَا يُغَيَّبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِمَكَّةَ خَبَرًا يَكُونُ إِلَّا كَتَبَ بِهِ إِلَيْهِ، وَكَانَ مَنْ هُنَاكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَتَقَوَّونَ بِهِ وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ لَهُمْ عَوْنًا عَلَى إِسْلَامِهِمْ. وَلَقَدْ كَانَ يَطْلُبُ أَنْ يَقْدَمَ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ مُقَامَكَ مُجَاهِدٌ حَسَنٌ، فَأَقَامَ بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١).

وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ أَطْعَمَهُ بِخَيْرِ مَائَتِي وَسَقَى تَمْرٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ، وَالْعَبَّاسُ لَمْ يَزَلْ بِمَكَّةَ لَمْ يُعْلِنِ

(١) الطبقات ٣١/٤.

إِسْلَامَهُ، فَكَيْفَ يُطْعِمُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
إِنْسَانًا مُشْرِكًا؟.

إِنَّ الْعَبَّاسَ كَانَ بِمَكَّةَ، وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، بِخَيْبَرَ قَدْ فَتَحَهَا، وَقَدِمَ الْحَجَّاجُ بْنُ عَلَاطٍ السَّلَمِيُّ مَكَّةَ
فَأَخْبَرَ قُرَيْشًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِمَا أَحْبَبُوا أَنَّهُ
قَدْ ظَفِرَ بِهِ وَقُتِلَ أَصْحَابُهُ فَسَرُّوا بِذَلِكَ، وَأَقْطَعَ الْعَبَّاسُ خَبْرَهُ
وَسَاءَهُ وَفَتَحَ بَابَهُ وَأَخَذَ ابْنَهُ قَتْمَ فَجَعَلَهُ عَلَى صَدْرِهِ وَهُوَ يَقُولُ:

يَا قَتْمَ يَا قَتْمَ يَا شَيْبَةَ ذِي الْكَرَمِ

حَتَّى جَاءَهُ الْحَجَّاجُ فَأَخْبَرَهُ بِسَلَامَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ قَدْ فَتَحَ خَيْبَرَ وَغَنِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا فِيهَا فَسَرَّ
بِذَلِكَ الْعَبَّاسُ وَلَبَسَ ثِيَابَهُ وَغَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ فَدَخَلَهُ وَطَافَ
بِالْبَيْتِ وَأَخْبَرَ قُرَيْشًا بِمَا أَخْبَرَهُ بِهِ الْحَجَّاجُ مِنْ سَلَامَةِ رَسُولِ
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ فَتَحَ خَيْبَرَ وَمَا غَنِمَهُ اللَّهُ مِنْ
أَمْوَالِهِمْ فَكَبِتَ الْمُشْرِكُونَ وَسَاءَ لَهُمْ ذَلِكَ وَعَلِمُوا أَنَّ الْحَجَّاجَ
قَدْ كَانَ كَذِبُهُمْ فِي خَبَرِهِ الْأَوَّلِ، وَسَرَدَ ذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ
وَأَتَوْا الْعَبَّاسَ فَهَنَّاوَهُ بِسَلَامَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
ثُمَّ خَرَجَ الْعَبَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
بِالْمَدِينَةِ فَأَطْعَمَهُ بِخَيْبَرَ مَائَتِي وَسَقَى تَمْرٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ، ثُمَّ

خَرَجَ مَعَهُ إِلَى مَكَّةَ^(١) فَشَهِدَ فَتَحَ مَكَّةَ وَحُنَيْنٍ وَالطَّائِفَ وَتَبُوكَ، وَتَبَّتْ مَعَهُ يَوْمَ حُنَيْنٍ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ حِينَ انْكَشَفَ النَّاسُ عَنْهُ^(٢).

إِذْنُ فَالْعَبَّاسُ قَدْ آمَنَ مِنْذُ مَدَّةٍ وَبَقِيَ فِي مَكَّةَ فِي مُهِمَّةٍ يُؤَدِّيَهَا وَدَوْرٍ يَقُومُ بِهِ. فَلَمَّا انْتَهَى دَوْرُهُ هَاجَرَ. فَالْقِيَادَةُ يُمَكِّنُ أَنْ تَضَعَ عُيُونًا بَيْنَ أَعْدَائِهَا، وَلَا يَعْرِفُ أَحَدٌ هَذِهِ الْعْيُونَ سِوَى الْقِيَادَةِ لِأَنَّ الْقَوَاعِدَ لَوْ عَلِمَتْ ذَلِكَ لَانْكَشَفَتْ الْخِطَّةَ، وَضَاعَتِ الْفَائِدَةُ الْمَرْجُوءَةُ وَالْمُرْسُومَةُ مِنْ قِبَلِ الْقِيَادَةِ. وَرُبَّمَا يَقُولُ أَحَدُهُمْ: إِنَّ الْوَحْيَ يُمَكِّنُ أَنْ يُنْبِئَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِأَخْبَارِ قُرَيْشٍ كُلِّهَا. وَلَكِنَّ الرِّسَالَةَ لَيْسَتْ لِمَرْحَلَةٍ الثَّبُوتِ فَقَطْ وَإِنَّمَا لِكُلِّ مَرْحَلَةٍ مِنَ الْمَرَاحِلِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَرَسُولُ اللَّهِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، قُدُوةٌ لِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعاً فِي كُلِّ أَدْوَارِ حَيَاتِهِمْ لَا لِأَصْحَابِهِ فَحَسَبُ، فَنَحْنُ الَّذِينَ يَجِبُ أَنْ نَسِيرَ عَلَى خُطَاهُ وَنَتَّبِعَ نَهْجَهُ فَإِذَا كَانَ الْوَحْيُ يُطْلِعُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى أَخْبَارِ أَعْدَائِهِ فَمَنْ

(١) كان النبي، صلى الله عليه وسلم، في طريقه الى فتح مكة فالتقى معه، فتابع أهل العباس سيرهم إلى المدينة، ورجع العباس مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فشهد معه فتح مكة.

(٢) طبقات ابن سعد ١٧/٤ - ٧١٨

يُطْلِعُنَا عَلَى أَنْبَاءِ خُصُومِنَا، وَقَدْ انْقَطَعَ الْوَحْيُ بَعْدَ رَسُولِ
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثُمَّ إِنَّ الْإِسْلَامَ قَدْ نَزَلَ لِيُطَبَّقَ بِجُهُودِ الْبَشَرِ وَمُمَارَسَتِهِمْ لَا
بِالْمُعْجَزَاتِ، وَقَدْ كَانَ مَلَكٌ وَاحِدٌ فِي مَعْرَكَةٍ بَدْرٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ
يُزَلِّزَ الْأَرْضَ كُلَّهَا بِالْكَفَّارِ، وَيَقْضِيَ عَلَيْهِمْ جَمِيعَهُمْ، وَلَكِنَّ
اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُرِيدُ أَنْ تَكُونَ نِهَايَةُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى يَدِ
الْمُسْلِمِينَ لَا بِالْمُعْجَزَاتِ وَالْقُوَّةِ الْخَارِقَةِ. وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ
فِي كُلِّ وَقْتٍ أَنْ يَسْتَعِدُّوا الاستعدادَ كُلَّهُ وَيَبْذُلُوا الْجُهْدَ كُلَّهُ،
وَيَطْلُبُوا النَّصْرَ مِنَ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ يَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ وَيَنْصُرُوهُ فِي
تَطْبِيقِ مِنْهَجِهِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَفِي الْأَرْضِ ﴿١﴾ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا
اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ
وَعَدُوَّكُمْ وَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ، وَمَا
تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ.
وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ. وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي
أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ^(١) ﴿٢﴾. وَكَذَلِكَ فَإِنَّ الْقِيَادَةَ تُخْفِي عَلَى
الْقَوَاعِدِ النَّوَاحِي الْعَسْكَرِيَّةَ كَيْ لَا يَتَسَرَّبُ الْأَمْرُ إِلَى الْأَعْدَاءِ

وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا أَرَادَ السَّيْرَ إِلَى جِهَةٍ غَايَا وَرَى عَنْهَا، وَأَنَّهُ حِينَ أَرَادَ التَّوَجُّهَ إِلَى مَكَّةَ لِفَتْحِهَا لَمْ يُعْلِنْ عَنْ ذَلِكَ، فَقَدْ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَهْلَهُ أَنْ يُجَهِّزُوهُ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى ابْنَتِهِ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَهِيَ تَحْرِكُ بَعْضَ جِهَازِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقَالَ: أَيُّ بَنِيَّةٍ: أَأَمَرَكُمُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ تُجَهِّزُوهُ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَتَجَهَّزْ؛ قَالَ: فَأَيْنَ تَرَيْنَهُ يُرِيدُ؟ قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ مَا أُدْرِي. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَعْلَمَ النَّاسَ أَنَّهُ سَائِرٌ إِلَى مَكَّةَ، وَأَمَرَهُمْ بِالْجِدِّ وَالتَّهَيُّؤِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ خُذِ الْعِيُونَ وَالْأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ حَتَّى نَبْغَتْهَا فِي بِلَادِهَا.

وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ عِنْدَمَا عَلِمَ النَّاسُ وَجْهَةَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَتَبَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ بِالْخَبَرِ إِلَى قُرَيْشٍ وَأَرْسَلَ الْكِتَابَ مَعَ امْرَأَةٍ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَالزُّبَيْرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي أَثَرِ الْمَرْأَةِ فَأَعَادَاَهَا فَاسْتَخْرَجَتِ الْكِتَابَ مِنْ بَيْنِ ضَفَائِرِهَا. مَعَ الْعِلْمِ أَنَّ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْكَرَامِ، وَمِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ، وَلَكِنَّهُ أَخْطَأَ.

وَالْخَطَأُ يُمَكِّنُ أَنْ يَقَعَ دَائِمًا، وَالْمَوَاضِعُ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا
الْخَطَأُ كَثِيرَةٌ، وَالْمَوَاقِعُ الَّتِي تَزَلُّ فِيهَا الْأَقْدَامُ شَتَّى،
وَالْمَوَاطِنُ الَّتِي تَضْعَفُ فِيهَا النُّفُوسُ الْبَشَرِيَّةُ مُتَعَدِّدَةٌ، فَالسَّرِيَّةُ
يَتَجَنَّبُ بِهَا الْمَرْءُ هَذَا كُلَّهُ. لِذَا فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ يُطْلِعْ أَحَدًا عَلَى دَوْرِ الْعَبَّاسِ سِوَى أَبِي بَكْرٍ،
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلِهَذَا فَقَدْ بَقِيَ الْأَمْرُ غَامِضًا وَإِنْ كَانَتْ
الْأَحْدَاثُ كُلُّهَا تُشِيرُ إِلَيْهِ حَسَبَمَا يَتَرَاءَى لِي أَوْ هَكَذَا أَرَى.
فَالْقِيَادَاتُ الَّتِي تُطْلِعُ قَوَاعِدَهَا عَلَى مُخَطَّطَاتِهَا وَسِيرِ عَمَلِهَا
وَتَوْضُحُ لَهُمُ الطَّرِيقَ كَيْ يَكُونُوا عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ وَيَعْرِفُوا
إِلَى أَيْنَ يَتَجَهُّونَ! وَلَا يَكُونُوا مِثْلَ بَعْضِ الْجَمَاعَاتِ الَّتِي تَسِيرُ
كَالسَّوَائِمِ بِإِشَارَةِ رَاعِيهَا إِنَّ هَذِهِ الْقِيَادَاتِ يَجِبُ أَنْ تُخْفِيَ
الْجَوَانِبَ الْعَسْكَرِيَّةَ وَعُيُونَهَا بَيْنَ أَعْدَائِهَا وَإِلَّا فَلَا مَعْنَى
لِتَخْطِيطِهَا وَلَا مَعْنَى لِنِظْمِهَا، أَوْ تَكُونُ قَدْ أَلْقَتْ شَبَابَهَا فِي
مَخَالِبِ خَصْمِهَا بِجَهْلِهَا.

وَأِنَّ الشَّبَابَ الَّذِينَ يُتَابِعُونَ الْقِيَادَةَ فِي هَذَا الْجَانِبِ،
وَيَتَحَدَّثُونَ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ دَائِمًا يَجِبُ الْإِنْتِبَاهَ عَلَيْهِمْ
وَالْحَذَرَ مِنْهُمْ فَقَدْ يَكُونُ حَدِيثُهُمْ حِمَاسَةً وَرُبَّمَا ظَهَرَ مِنْهُمْ
التَّهَوُّرُ وَالْعُرُورُ قَاقَوْفَعُوا الْجَمَاعَةَ فِيمَا تَحْذَرُ مِنْهُ وَتَتَّقِيهِ هَذَا إِذَا

أَحْسَنَّا الظَّنَّ . وَرُبَّمَا كَانَ حَدِيثُهُمُ الرَّغْبَةُ فِي الْوُصُولِ إِلَى الْمَنْصِبِ ، وَهَذَا يَكْمُنُ الْخَطَرُ فَالْعَمَلُ كُلُّهُ لِلْمَصْلَحَةِ الذَّائِتَةِ وَوَرَاءَ الْمَكَاسِبِ . يَنْظُرُونَ إِلَى الْوُصُولِ دُونَ أَنْ يُفَكِّرُوا فِي مَا تَوَلَّى إِلَيْهِ النَّتِيجَةُ . وَحَالَةٌ ثَالِثَةٌ نَتَوَقَّعُهَا هِيَ غَرَسُ فِرْقَةٍ فِي الْجَمَاعَةِ لِيَسِيرَ بِهَا إِلَى الْهََاوِيَةِ وَيَنْفِذَ الْعَدُوُّ مَخْطَطَهُ عَنْ طَرِيقِهَا لِتَجْرُهَا إِلَى مَعْرَكَةٍ غَيْرِ مُتَكَافِئَةٍ وَوَقْتُ غَيْرِ مُنَاسِبٍ .

وَلْنَعُدَّ إِلَى الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، نَتَابِعُ رِحْلَةَ حَيَاتِهِ :

الْفِدَاءُ :

قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لِرَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِذْذَنْ لَنَا فَلْنَتْرُكْ لَابْنَ أَخِينَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِدَاهُ ، فَقَالَ : لَا ، وَلَا دِرْهَمًا .

وَفَدَى الْعَبَّاسُ نَفْسَهُ وَابْنَ أَخِيهِ عَقِيلًا بِثَمَانِينَ أَوْقِيَّةَ ذَهَبٍ ، وَيُقَالُ : أَلْفَ دِينَارٍ . قَالُوا : وَخَرَجَ الْعَبَّاسُ إِلَى مَكَّةَ فَبَعَثَ بِفِدَائِهِ وَفِدَاءِ ابْنِ أَخِيهِ وَلَمْ يَبْعَثْ بِفِدَاءِ حَلِيفِهِ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ فَأَخْبَرَهُ وَرَجَعَ أَبُو رَافِعٍ فَكَانَ رَسُولُ الْعَبَّاسِ بِفِدَائِهِ فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ : مَا

قَالَ لَكَ؟ فَقَصَّ عَلَيْهِ الْأَمْرَ فَقَالَ: وَأَيُّ قَوْلٍ أَشَدُّ مِنْ هَذَا؟
أَحْمِلِ الْبَاقِي قَبْلَ أَنْ تَحْطُطَ رَحْلَكَ، فَحَمَلَهُمْ فَفَدَاهُمُ الْعَبَّاسُ.

وَنَزَلَتْ فِي أُسْرَى بَدْرِ الْكَرِيمَةِ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ
فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأُسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ
خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١). كَانَ
الْعَبَّاسُ يَقُولُ: أَخَذَتْ مِنِّي عِشْرُونَ أُوقِيَّةً مِنْ ذَهَبٍ فَكَلَّمْتُ
رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَهَا مِنْ فِدَايَ فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَعَقَبَنِي اللَّهُ
مَكَانَهَا عِشْرِينَ عَبْدًا كُلُّهُمْ يُضْرَبُ بِمَالٍ مَكَانَ عِشْرِينَ أُوقِيَّةً،
وَأَعْطَانِي زَمْزَمَ وَمَا أَحْبَبُ أَنْ لِي بِهَا جَمِيعَ أَمْوَالِ مَكَّةَ، وَأَنَا
أَرْجُو الْمَغْفِرَةَ مِنْ رَبِّي.

الْعَبَّاسُ فِي مَكَّةَ:

يَبْدُو أَنَّهُ قَدْ أَسْلَمَ كُلُّ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ بَنِي
هَاشِمٍ، وَقَدْ أُمِرُوا بِالْعَوْدَةِ إِلَى مَكَّةَ لِيُقِيمُوا مَا كَانُوا يُقِيمُونَ
مِنْ أَمْرِ السَّقَايَةِ وَالرَّفَادَةِ وَالرَّئَاسَةِ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِي لَهَبٍ.
وَكَانَتْ السَّقَايَةُ وَالرَّفَادَةُ وَالرَّئَاسَةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي بَنِي

(١) سورة الأنفال: الآية ٧٠.

هَاشِمٍ . وَيَبْدُو أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ يَنْطَبِقُ عَلَى مَا كَانَ مَعَ الْعَبَّاسِ ،
أَمَّا هُوَ فَقَدْ كَانَ سَابِقًا لَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ وَمِنْ مُدَّةٍ . قَالَ أَبُو
رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كُنْتُ غُلَامًا
لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَكَانَ الْإِسْلَامُ قَدْ دَخَلَنَا أَهْلَ
الْبَيْتِ فَأَسْلَمَ الْعَبَّاسُ وَأَسْلَمَتِ أُمُّ الْفَضْلِ وَأَسْلَمْتُ ، فَكَانَ
الْعَبَّاسُ يَهَابُ قَوْمَهُ وَيَكْرَهُ خِلَافَهُمْ فَكَانَ يَكْتُمُ إِسْلَامَهُ ، وَكَانَ
ذَا مَالٍ مُتَفَرِّقٍ فِي قَوْمِهِ فَخَرَجَ مَعَهُمْ عَلَى بَدْرٍ وَهُوَ عَلَى
ذَلِكَ ^(١) .

وَكَانَ يَكْتُمُ لِرَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَنْ
أَخْبَارِ قُرَيْشٍ لَا يَضِيعُ عَنْهُ خَبْرٌ وَاحِدٌ ، وَقَدْ اسْتَأْذَنَ رَسُولَ
اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بِالْهَجْرَةِ ، فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ ، وَإِنَّمَا
طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَبْقَى مَكَانَهُ ، يُؤَدِّي دَوْرَهُ الَّذِي طَلِبَ مِنْهُ ^(٢) . وَلَمْ
يَخْرُجِ الْعَبَّاسُ مَعَ قُرَيْشٍ إِلَى الْحُدَيْبِيَّةِ ، وَإِنَّمَا بَقِيَ فِي مَكَّةَ ،
وَكَانَ يُسَاعِدُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بَقُوا فِي مَكَّةَ وَلَمْ يُهَاجِرُوا .

وَقَوِيَتِ الدَّوْلَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ بَعْدَ صَلَاحِ

(١) الطبقات ٤ / ١٠ .

(٢) أنظر الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، وطبقات ابن
سعد ، وسير أعلام النبلاء .

الْحُدَيْبِيَّةَ وَفَتَحَ خَيْبَرَ، وَنَقَضَتْ قُرَيْشُ عَهْدَهَا فَسَارَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ دَوْرُ الْعَبَّاسِ قَدْ انْتَهَى إِذْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِجَيْشٍ لَا قِبَلَ لِقُرَيْشٍ بِهِ، فَخَرَجَ الْعَبَّاسُ مَعَ أَهْلِهِ مُهَاجِرًا عِنْدَهَا، فَالْتَقَى بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالْجُحْفَةِ وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى مَكَّةَ فَاتِحًا، فَرَجَعَ الْعَبَّاسُ مَعَهُ، وَتَابَعَ أَهْلُ الْعَبَّاسِ طَرِيقَهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُتَوَرَّةِ.

كَمَا اَلْتَقَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِبَنِي الْعُقَابِ فِي طَرِيقِهِ إِلَى مَكَّةَ مَعَ ابْنِ عَمِّهِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَمَعَ ابْنِ عَمَّتِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ الْمَخْزُومِيِّ، وَأُمُّهُ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَأَسْلَمَا بَعْدَ أَنْ كَلَّمَتْ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيهِمَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ أُمُّ سَلَمَةَ، وَهِيَ أُخْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ لِأَبِيهِ.

فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَرَّ الظُّهْرَانِ، قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقُلْتُ: وَاصْبَاحَ قُرَيْشٍ! وَاللَّهِ لَئِنْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَكَّةَ عَنَوةً قَبْلَ أَنْ يَأْتُوهُ فَيَسْتَأْمِنُوهُ إِنَّهُ لَهْلَاكُ قُرَيْشٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ. قَالَ: فَجَلَسْتُ عَلَى بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

وَسَلَّمَ، الْبَيْضَاءِ، فَخَرَجْتُ عَلَيْهَا. قَالَ: حَتَّى جِئْتُ الْأَرَاكَ،
فَقُلْتُ: لَعَلِّي أَجِدُ بَعْضَ الْحَطَّابَةِ أَوْ صَاحِبَ لَبَنٍ أَوْ ذَا حَاجَةٍ
يَأْتِي مَكَّةَ فَيُخْبِرُهُمْ بِمَكَانِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
لِيُخْرِجُوا إِلَيْهِ فَيَسْتَأْمِنُوهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا عَلَيْهِمْ عَنُودًا. قَالَ:
فَوَاللَّهِ إِنِّي لَا أَسِيرُ عَلَيْهَا، وَالْتِمِسُ مَا خَرَجْتُ لَهُ، إِذْ سَمِعْتُ
كَلَامَ أَبِي سُفْيَانَ وَبَدِيلِ بْنِ وَرْقَاءَ، وَهُمَا يَتَرَاكِعَانِ، وَأَبُو
سُفْيَانَ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ كَاللَّيْلَةِ نِيرَانًا قَطُّ وَلَا عَسْكَرًا! قَالَ:
يَقُولُ بَدِيلُ: هَذِهِ وَاللَّهِ خُرَاعَةٌ حَشَمَتْهَا الْحَرْبُ قَالَ: يَقُولُ
أَبُو سُفْيَانَ: خُرَاعَةٌ أَذْلُ وَأَقْلُ مِنْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ نِيرَانُهَا
وَعَسْكَرُهَا؛ قَالَ: فَعَرِفْتُ صَوْتَهُ؛ فَقُلْتُ: يَا أَبَا حَنْظَلَةَ، فَعَرِفَ
صَوْتِي، فَقَالَ: أَبُو الْفَضْلِ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ؛ قَالَ: مَا لَكَ؟
فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي؛ قَالَ: قُلْتُ: وَيَحْكُ يَا أَبَا سُفْيَانَ! هَذَا
رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي النَّاسِ، وَاصْبَحَ
قُرَيْشٍ وَاللَّهِ! قَالَ: فَمَا الْحِيلَةُ؟ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي؛ قَالَ:
قُلْتُ: وَاللَّهِ لَئِنْ ظَفِرَ بِكَ لَيَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ، فَارْكَبْ فِي عَجْزِ
هَذِهِ الْبَغْلَةِ حَتَّى آتِي بِكَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
فَأَسْتَأْمِنُهُ لَكَ؛ قَالَ: فَارْكَبْ خَلْفِي وَرَجَعَ صَاحِبَاهُ؛ قَالَ:
فَجِئْتُ بِهِ، كُلَّمَا مَرَرْتُ بِنَارٍ مِنْ نِيرَانِ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا: مَنْ
هَذَا؟ فَإِذَا رَأَوْا بَغْلَةَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَا

عَلَيْهَا، قَالُوا: عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى بَغْلَتِهِ، حَتَّى مَرَرْتُ بِنَارِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ وَقَامَ إِلَيَّ، فَلَمَّا رَأَى أَبَا سُفْيَانَ عَلَى عَجْزِ الدَّابَّةِ قَالَ: أَبُو سُفْيَانَ عَدُوُّ اللَّهِ! الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَكَّنَ مِنْكَ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلَا عَهْدٍ، ثُمَّ خَرَجَ يَشْتَدُّ نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَكَضْتُ الْبَغْلَةَ، فَسَبَقْتُهُ بِمَا تَسْبِقُ الدَّابَّةُ الْبَطِيئَةُ الرَّجُلَ الْبَطِيءَ. قَالَ: فَاقْتَحَمْتُ عَنْ الْبَغْلَةِ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ قَدْ أَمَكَّنَ اللَّهُ مِنْهُ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلَا عَهْدٍ، فَدَعْنِي فَلَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؛ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ أَجَرْتُهُ، ثُمَّ جَلَسْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذْتُ بِرَأْسِهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا يُنَاجِيهِ اللَّيْلَةَ دُونِي رَجُلٌ، فَلَمَّا أَكْثَرَ عُمَرُ فِي شَأْنِهِ، قَالَ: قُلْتُ: مَهْلًا يَا عُمَرُ، فَوَاللَّهِ لَوْ كَانَ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ بَنٍ كَعَبٍ مَا قُلْتُ هَذَا، وَلَكِنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ مِنْ رِجَالِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، فَقَالَ: مَهْلًا يَا عَبَّاسُ، فَوَاللَّهِ لَا إِسْلَامَ لَكَ يَوْمَ أُسْلِمْتَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ لَوْ أُسْلِمَ، وَمَا بِي إِلَّا أَنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ إِسْلَامَكَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ لَوْ أُسْلِمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْهَبَ بِهِ يَا عَبَّاسُ إِلَى رَحْلِكَ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ
فَأْتَيْتَنِي بِهِ، قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ إِلَى رَحْلِي، فَبَاتَ عِنْدِي، فَلَمَّا
أَصْبَحَ غَدَوْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا
رَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: وَيْحَكَ يَا أَبَا
سُفْيَانَ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ قَالَ: يَا أَبِی
أَنْتَ وَأُمِّي، مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ! وَاللَّهِ لَقَدْ ظَنَنْتُ
أَنْ لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ غَيْرُهُ لَقَدْ أَغْنَى عَنِّي شَيْئًا بَعْدُ، قَالَ:
وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ! أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّي رَسُولُ اللَّهِ؟
قَالَ: يَا أَبِی أَنْتَ وَأُمِّي، مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ! أَمَّا هَذِهِ
وَاللَّهِ فَإِنَّ فِي النَّفْسِ مِنْهَا حَتَّى الْآنَ شَيْئًا. فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ:
وَيْحَكَ! أَسْلِمَ وَاشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ
قَبْلَ أَنْ تُضْرَبَ عُنُقُكَ. قَالَ: فَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ، فَأَسْلَمَ؛
قَالَ الْعَبَّاسُ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ
هَذَا الْفَخْرَ، فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا، قَالَ: نَعَمْ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي
سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ
الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ، فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَنْصَرِفَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عَبَّاسُ احْبِسْهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي عِنْدَ
خَطْمِ الْجَبَلِ، حَتَّى تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ اللَّهِ فَيَرَاهَا. قَالَ: فَخَرَجْتُ
حَتَّى حَبَسْتُهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي، حَيْثُ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ أَحْبِسَهُ. قَالَ: وَمَرَّتِ الْقَبَائِلُ عَلَى رَايَاتِهَا، كُلَّمَا مَرَّتْ قَبِيلَةٌ قَالَ: يَا عَبَّاسُ، مَنْ هَذِهِ؟ فَأَقُولُ: سُلَيْمٌ، فَيَقُولُ: مَالِي وَلَسُلَيْمٌ، ثُمَّ تَمُرُّ الْقَبِيلَةُ فَيَقُولُ: يَا عَبَّاسُ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَأَقُولُ: مُزَيْنَةُ، فَيَقُولُ: مَالِي وَلِمُزَيْنَةُ، حَتَّى نَفَذَتْ الْقَبَائِلُ، مَا تَمُرُّ بِهِ قَبِيلَةٌ إِلَّا وَيَسْأَلُنِي عَنْهَا، فَإِذَا أَخْبَرْتُهُ بِهِمْ، قَالَ: مَالِي وَلِبَنِي فَلَانٍ، حَتَّى مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي كَتِيبَتِهِ الْخَضْرَاءُ فِيهَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لَا يَرَى مِنْهُمْ إِلَّا الْحَدَقَ مِنَ الْحَدِيدِ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ. يَا عَبَّاسُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: قُلْتُ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ؛ قَالَ: مَا لَأَحَدٍ بِهِؤُلَاءِ قِيلٌ وَلَا طَاقَةٌ؛ وَاللَّهِ يَا أَبَا الْفَضْلِ، لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابْنِ أَخِيكَ الْغَدَاةَ عَظِيمًا، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَا سَفْيَانَ، إِنَّهَا النُّبُوَّةُ. قَالَ: فَنَعَمْ إِذَنْ.

قَالَ: قُلْتُ: النَّجَاءُ إِلَى قَوْمِكَ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، هَذَا مُحَمَّدٌ قَدْ جَاءَكُمْ فِيمَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، فَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سَفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ فَأَخَذَتْ بِشَارِبِهِ، فَقَالَتْ: اقْتُلُوا الْحِمِيَةَ الدَّسِيمَ الْأَحْمَسَ قُبْحَ مِنْ طَلِيعَةِ قَوْمٍ! قَالَ: وَيَلَكُمْ لَا تَغْرَنَكُمْ هَذِهِ مِنْ

أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَكُمْ مَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، فَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سَفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، قَالُوا: قَاتَلَكَ اللَّهُ، وَمَا تُغْنِي عَنَّا دَارُكَ، قَالَ: وَمَنْ أَعْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ إِلَى دُورِهِمْ وَإِلَى الْمَسْجِدِ^(١).

وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَكَّةَ فَاتِحاً، وَعَفَا عَنْ أَهْلِهَا، بِاسْتِثْنَاءِ نَفَرٍ سَمَّاهُمْ، ثُمَّ جَاءُوا بَعْدَ مُدَّةٍ مُسْتَأْمِنِينَ مُسْلِمِينَ، وَدَخَلَ الْبَيْتَ فَطَافَ بِهِ عَلَى رَاحِلَتِهِ، وَحَطَّمَ مَا فِيهِ مِنْ أَصْنَامٍ، وَكَانَ يَقُولُ: جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلُ كَانَ زَهُوقاً. وَأَزَالَ كُلَّ مَعَالِمِ الشِّرْكِ وَالْوَتَنَِّةِ مِنْ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ.

الْعَبَّاسُ فِي حُنَيْنٍ :

لَمَّا سَمِعَتْ هَوَازِنُ بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ مَكَّةَ، جَمَعَهَا مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ النَّضْرِيُّ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مَعَ هَوَازِنَ ثَقِيفُ كُلُّهَا. فَلَمَّا عَلِمَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَرَجَ لِيَلْقَاهُمْ، وَمَعَهُ أَلْفَانِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ مَعَ عَشْرَةِ آلَافٍ مِنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَهُ

(١) انظر سيرة ابن هشام.

فَفَتَحَ اللَّهُ بِهِمْ مَكَّةَ ، فَكَانُوا أَثْنِي عَشَرَ أَلْفًا ، وَاسْتَعْمَلَ رَسُولُ
 اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَتَّابَ بْنَ أَسِيدَ بْنِ أَبِي
 الْعِيصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ عَلَى مَكَّةَ ، أَمِيرًا عَلَى مَنْ
 تَخَلَّفَ عَنْهُ مِنَ النَّاسِ ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ ، عَلَى وَجْهِهِ يُرِيدُ لِقَاءَ هَوَازِنَ .

قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : لَمَّا اسْتَقْبَلْنَا وَادِي حُنَيْنٍ انْحَدَرْنَا
 فِي وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ تِهَامَةَ أَجُوفَ حَطُوطٍ ، إِنَّمَا نَنْحَدِرُ فِيهِ
 انْحِدَارًا ، قَالَ : وَفِي عَمَايَةِ الصُّبْحِ ، وَكَانَ الْقَوْمُ قَدْ سَبَقُونَا
 إِلَى الْوَادِي ، فَكَمْثُوا لَنَا فِي شِعَابِهِ وَأَحْنَائِهِ وَمَضَائِقِهِ ، وَقَدْ
 أَجْمَعُوا وَتَهَيَّئُوا وَأَعَدُّوا ، فَوَاللَّهِ مَا رَاعَنَا وَنَحْنُ مُنْحَطُّونَ إِلَّا
 الْكَتَائِبَ قَدْ شَدُّوا عَلَيْنَا شِدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، وَانْشَمَرَ النَّاسُ
 رَاجِعِينَ ، لَا يَلُوي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ .

وَأَنحَازَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ذَاتَ
 الْيَمِينِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيْنَ أَيُّهَا النَّاسُ؟ هَلُمُّوا إِلَيَّ ، أَنَا رَسُولُ
 اللَّهِ ، أَنَا مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ . قَالَ : فَلَا شَيْءَ ، حُمِلَتِ الْإِبِلُ
 بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ، فَانْطَلَقَ النَّاسُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ بَقِيَ مَعَ رَسُولِ
 اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، نَفَرٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
 وَأَهْلِ بَيْتِهِ .

وَفِيمَنْ ثَبَتَ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَمِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ، وَابْنُهُ، وَالْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ، وَرَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ، وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَأَيْمَنُ بْنُ أَيْمَنٍ بْنُ عُبَيْدٍ، قُتِلَ يَوْمَئِذٍ^(١).

وَعَنِ الْعَبَّاسِ أَنَّهُ قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمَ حُتَيْنٍ فَلَزِمْتُهُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَمْ تُفَارِقْهُ، وَالنَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى بَغْلَةٍ بَيْضَاءَ أَهْدَاهَا لَهُ فَرَوْهُ بَنُ نَفَاثَةَ الْجُذَامِيِّ. فَلَمَّا التَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكَفَّارُ وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ وَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ نَحْوَ الْكَفَّارِ قَالَ عَبَّاسٌ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَكْفُهَا إِرَادَةً أَنْ لَا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عَبَّاسُ نَادِ يَا أَصْحَابَ السَّمُرَةِ. قَالَ عَبَّاسٌ: وَكُنْتُ رَجُلًا حَيًّا فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ قَالَ فَوَاللَّهِ لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا

(١) انظر سيرة ابن هشام.

صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقْرِ عَلَى أَوْلَادِهَا فَقَالُوا: يَا لَيْتَكَ يَا لَيْتَكَ. قَالَ فَاقْتَتَلُوا هُمْ وَالْكَفَّارَ وَالِدَعْوَةَ فِي الْأَنْصَارِ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، ثُمَّ قَصُرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ فَقَالُوا: يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ يَا بَنِي الْحَارِثِ. قَالَ فَانْظُرَ رَسُولُ اللَّهِ، ! صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَلَى بَعْغَتِهِ وَهُوَ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوُطَيْسُ، قَالَ ثُمَّ أَخَذَ حُصَيَّاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وَجُوهَ الْكَفَّارِ ثُمَّ قَالَ: انْهَزِمُوا وَرَبُّ مُحَمَّدٍ! قَالَ فَذَهَبَتْ أَنْظَرُ إِلَى الْقِتَالِ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى، قَالَ فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِحُصَيَّاتِهِ ثُمَّ رَكِبَ فَإِذَا حَدُّهُمْ كَلِيلٌ وَأَمْرُهُمْ مُدْبِرٌ حَتَّى هَزَمَهُمُ اللَّهُ^(١).

وَتَعَقَّبَ الْمُسْلِمُونَ مَنْ فَرَّ فِي كُلِّ جِهَةٍ، وَقَدْ سَارَ أَكْثَرُ الْمُنْهَزِمِينَ إِلَى الطَّائِفِ. وَجُمِعَتْ سَبَايَا حُنَيْنٍ وَأَمْوَالُهَا فَحُبِسَتْ بِالْجَعْرَانَةِ.

وَلَحِقَ الْمُسْلِمُونَ الْمُنْهَزِمِينَ إِلَى الطَّائِفِ وَكَانُوا قَدْ تَحَصَّنُوا

(١) انظر طبقات ابن سعد.

بِهَا وَأَغْلَقُوا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَهَا فَكَانُوا يَرْمُونَ الْمُسْلِمِينَ بِالنَّبَالِ
فَقَتَّلُوا عَدَدًا مِنْهُمْ .

وَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَنْ الطَّائِفِ
فِي شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ عَامِ ثَمَانِيَةِ ، وَبَقِيَ أَهْلُ الطَّائِفِ عَلَى
شِرْكِهِمْ حَتَّى شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ الْعَامِ التَّاسِعِ حَيْثُ دَخَلُوا فِي
الْإِسْلَامِ . وَعِنْدَمَا وَصَلَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
إِلَى الْجِعْرَانَةِ وَرَزَعَ الْغَنَائِمَ ، وَأَعْطَى الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ ، وَكَانَ
قَدْ رَدَّ سَبَايَا حُنَيْنٍ إِلَى أَهْلِيهِمْ .

وَاعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مِنَ الْجِعْرَانَةِ ،
وَلَمَّا فَرَغَ مِنْ عُمْرَتِهِ انْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَاسْتَخْلَفَ
عَتَابَ بْنَ أُسَيْدٍ عَلَى مَكَّةَ ، وَخَلَفَ مَعَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يُفَقِّهُ
النَّاسَ فِي الدِّينِ ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ . وَوَصَلَ رَسُولُ اللَّهِ ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَى الْمَدِينَةِ فِي أَوَائِلِ ذِي الْحِجَّةِ وَمَعَهُ
عَمُّهُ الْعَبَّاسُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

الْعَبَّاسُ فِي الْمَدِينَةِ :

لَمَّا قَدِمَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَتَوَفَّلَ بْنُ الْحَارِثِ
الْمَدِينَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مُهَاجِرِينَ

آخَى بَيْنَهُمَا وَأَقْطَعَهُمَا جَمِيعاً بِالْمَدِينَةِ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ وَفَرَغَ
 بَيْنَهُمَا بِحَائِطٍ فَكَانَا مُتَجَاوِرَيْنِ فِي مَوْضِعٍ ، وَكَانَا شَرِيكَيْنِ
 فِي الْجَاهِلِيَّةِ مُتَّفَاوِضَيْنِ فِي الْمَالِ مُتَحَابِّينِ مُتَصَافِيَيْنِ ،
 وَكَانَتْ دَارُ نُوْفَلٍ الَّتِي أَقْطَعَهُ إِيَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي مَوْضِعِ رَحْبَةِ الْفَضَاءِ وَمَا يَلِيهَا إِلَى الْمَسْجِدِ
 مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهِيَ الْيَوْمَ رَحْبَةُ
 الْفَضَاءِ ، وَهِيَ تَقَابِلَ دَارِ الْإِمَارَةِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا الْيَوْمَ دَارُ
 مَرْوَانَ . وَكَانَتْ دَارُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الَّتِي أَقْطَعَهُ
 إِيَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَدِيدَهَا وَهِيَ الَّتِي
 فِي دَارِ مَرْوَانَ إِلَى الْمَسْجِدِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ ، وَهِيَ دَارُ الْإِمَارَةِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا دَارُ مَرْوَانَ . وَأَقْطَعَ الْعَبَّاسُ
 أَيْضاً دَارَهُ الْأُخْرَى الَّتِي بِالسُّوقِ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يُسَمَّى
 مُحْرَزَةَ ابْنِ عَبَّاسٍ ^(١) .

كَانَ الْعَبَّاسُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فِي الْمَدِينَةِ أَيَّامَ رَسُولِ
 اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَعْدَهُ مَوْضِعَ التَّكْرِيمِ
 وَالْإِحْتِرَامِ لِدَوْرِهِ الَّذِي قَامَ بِهِ لِيُخْدِمَةَ الْإِسْلَامِ وَلِإِيْمَانِهِ

(١) طبقات ابن سعد .

الْعَمِيقِ ، وَحُبُّ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَهُ ،
وَلِقَرَابَتِهِ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُجِلُّ
الْعَبَّاسَ إِجْلَالَ الْوَالِدِ .

لَمَّا قَدِمَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفِ الْجُمَحِيِّ قَالَ لَهُ رَسُولُ
اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَلَى مَنْ نَزَلْتَ يَا أَبَا وَهَبٍ ؟ قَالَ :
نَزَلْتُ عَلَى الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، قَالَ : نَزَلْتَ عَلَى أَشَدِّ
قَرِيشٍ حُبًّا لِقَرِيشٍ .

وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَلَى عَمِّهِ
الْعَبَّاسِ ، وَهُوَ يَشْتَكِي ، فَتَمَنَّى عَبَّاسُ الْمَوْتَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ
اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ لَا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ
فَإِنْ تَكُنْ مُحْسِنًا فَإِنْ تَوَخَّرَ تَزِدْ إِحْسَانًا إِلَى إِحْسَانِكَ خَيْرًا لَكَ ،
وَإِنْ تَكُنْ مُسِيئًا فَإِنْ تَوَخَّرَ فَتَسْتَعِيبُ مِنْ إِسَاءَتِكَ فَلَا تَتَمَنَّ
الْمَوْتَ .

وَوَقَعَ رَجُلٌ فِي أَبٍ لِلْعَبَّاسِ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَطَمَهُ
الْعَبَّاسُ فَاجْتَمَعَ قَوْمُهُ فَقَالُوا : وَاللَّهِ لِنَلْطِمَنَّهُ كَمَا لَطَمَهُ . وَلَبِسُوا
السَّلَاحَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَاءَ
فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمَدَ اللَّهَ وَاتَّسَى عَلَيْهِ وَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّ
النَّاسِ تَعْلَمُونَ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ ؟ قَالُوا : أَنْتَ ، قَالَ : فَإِنَّ

الْعَبَّاسَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، لَا تَسُبُّوا أَمْوَاتَنَا فَتُؤْذُوا أَحْيَاءَنَا. فَجَاءَ الْقَوْمُ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَعُوذُ مِنْ غَضَبِكَ، اسْتَغْفِرْ لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ.

وَلَقِيَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ: يَا أَبَا الْفَضْلِ أَرَأَيْتَ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ بْنَ هَاشِمٍ وَالْغَيْطَلَةَ كَاهِنَةَ بَنِي سَهْمٍ جَمَعَهُمَا اللَّهُ جَمِيعًا فِي النَّارِ؟ فَصَفَحَ عَنْهُ، ثُمَّ لَقِيَهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ فَصَفَحَ عَنْهُ، ثُمَّ لَقِيَهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ فَفَرَعَ الْعَبَّاسُ يَدَهُ فَوَجَأَ أَنْفَهُ فَكَسَرَهُ، فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ كَمَا هُوَ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ الْعَبَّاسُ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَجَاءَهُ فَقَالَ: مَا أَرَدْتَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ فِي النَّارِ وَلَكِنَّهُ لَقِينِي فَقَالَ: يَا أَبَا الْفَضْلِ أَرَأَيْتَ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ بْنَ هَاشِمٍ وَالْغَيْطَلَةَ كَاهِنَةَ بَنِي سَهْمٍ جَمَعَهُمَا اللَّهُ جَمِيعًا فِي النَّارِ؟ فَصَفَحْتُ عَنْهُ مِرَارًا ثُمَّ وَاللَّهِ مَا مَلَكَتُ نَفْسِي وَمَا إِيَّاهُ أَرَادَ وَلَكِنَّهُ أَرَادَنِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا بَالُ أَحَدِكُمْ يُؤْذِي أَخَاهُ فِي الْأَمْرِ وَإِنْ كَانَ حَقًّا؟.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَالُ رِجَالٍ يُؤْذُونَنِي فِي الْعَبَّاسِ، وَإِنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنُوءُ أَبِيهِ، مَنْ آذَى

الْعَبَّاسَ فَقَدْ أَذَانِي»^(١) .

وَقَالَ الْعَبَّاسُ: كُنَّا نَلْقَى النَّفَرَ مِنْ قُرَيْشٍ، وَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ،
فَيَقْطَعُونَ حَدِيثَهُمْ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «وَاللَّهِ لَا يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الْإِيمَانُ حَتَّى
يُحِبَّكُمْ لِلَّهِ وَلِقَرَابَتِي»^(٢) .

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَعَلَ
عَلَى الْعَبَّاسِ وَوَلَدِهِ كِسَاءً، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْعَبَّاسِ
وَوَلَدِهِ مَغْفِرَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، لَا تُغَادِرْ ذَنْبًا. اللَّهُمَّ اخْلُفْهُ فِي
وَلَدِهِ»^(٣) .

قَالَ سَهْلٌ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
فِي الْقَيْظِ، فَقَامَ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، فَقَامَ الْعَبَّاسُ يُسْتَرُّهُ بِكِسَاءٍ مِنْ
صُوفٍ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اسْتُرِ الْعَبَّاسَ وَوَلَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٤) .

وَبَعَثَ الْعَلَاءُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِمَالٍ ثَمَانِينَ أَلْفًا مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَتُشِرَتْ عَلَى

(١) أخرجه الترمذي في المناقب رقم (٣٧٥٨) .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢ / ٨٨ .

(٣) رواه أبو يعلى في مسنده .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣ / ٣٢٦ .

حَصِيرٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَقَفَ، وَجَاءَ
النَّاسُ، فَمَا كَانَ يَوْمِيذٍ عَدَدٌ وَلَا وَزَنٌ، مَا كَانَ إِلَّا قَبْضًا، فَجَاءَ
الْعَبَّاسُ بِخَمِيصَةٍ عَلَيْهِ، فَأَخَذَ، فَذَهَبَ يَقُومُ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَرَفَعَ
رَأْسَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: ارْفَعْ عَلَيَّ.
فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى خَرَجَ ضَاحِكُهُ،
فَقَالَ: أَعِذْ فِي الْمَالِ طَائِفَةً، وَقُمْ بِمَا تَطِيقُ. فَفَعَلَ. فَجَعَلَ
الْعَبَّاسُ يَقُولُ - وَهُوَ مُنْطَلِقٌ - أَمَّا أَحَدَى اللَّتَيْنِ وَعَدَنَا اللَّهُ فَقَدْ
أُنْجِزْنَا.

يَعْنِي قَوْلُهُ ﴿قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ
فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ فَهَذَا
خَيْرٌ مِمَّا أُخِذَ مِنِّي، وَلَا أَدْرِي مَا يُصْنَعُ فِي الْآخِرَةِ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قُلْتُ
لِلْعَبَّاسِ: سَلِ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْتَعْمِلَكَ عَلَى
الصَّدَقَةِ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ: «مَا كُنْتُ لِأَسْتَعْمِلَكَ عَلَى غُسَالَةِ ذُنُوبِ
النَّاسِ».

وَقَالَ الْعَبَّاسُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تُؤْمَرُنِي
عَلَى إِمَارَةٍ؟ فَقَالَ: «نَفْسُ تُنْجِيهَا خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا».

وَأَتَى الْعَبَّاسُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا

رَسُولَ اللَّهِ أَنَا عَمَّكَ، كَبُرْتُ سِنِّي، وَاقْتَرَبَ أَجَلِي، فَعَلَّمَنِي شَيْئًا يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ، فَقَالَ: «يَا عَبَّاسُ أَنْتَ عَمِّي وَلَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ شَيْئًا وَلَكِنْ سَلْ رَبَّكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ».

وَشَهِدَ الْعَبَّاسُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، غَزْوَةَ تَبُوكَ فِي شَهْرِ رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّاسِعَةِ لِلْهِجْرَةِ.

وَشَهِدَ الْعَبَّاسُ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الْعَبَّاسُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ :

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: قُلْتُ لِلْعَبَّاسِ سَلْ لَنَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْحِجَابَةَ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُعْطِيَكُمْ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْهَا، السَّقَايَةَ بِرَوَائِكُمْ وَلَا تُزْرُوا بِهَا.

اسْتَأْذَنَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَبِيتَ لَيْالِي مَنْى بِمَكَّةَ مِنْ أَجْلِ سِقَايَتِهِ فَأُذِنَ لَهُ.

طَافَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى نَاقَتِهِ بِالْبَيْتِ

مَعَهُ مِخْجَنٌ يَسْتَلِمُ بِهِ الْحَجَرَ كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَتَى السَّقَايَةَ
يَسْتَسْقِي فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَأْتِيكَ بِمَاءٍ لَمْ
تَمْسَهُ الْأَيْدِي؟ قَالَ: بَلَى فَاسْقُونِي، فَسَقَوْهُ ثُمَّ أَتَى زَمْزَمَ
فَقَالَ: اسْتَقُوا لِي مِنْهَا دَلْوًا. فَأَخْرَجُوا مِنْهَا دَلْوًا فَمَضَمَضَ مِنْهُ
ثُمَّ مَجَّهَ مِنْ فِيهِ ثُمَّ قَالَ: أَعِيدُوهُ فِيهَا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّكُمْ لَعَلَى
عَمَلٍ صَالِحٍ، ثُمَّ قَالَ: لَوْلَا أَنْ تُغْلَبُوا عَلَيْهِ لَنَزَلْتُ فَتَزَعْتُ
مَعَكُمْ.

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ مَا تَسْقُونَ النَّاسَ
مِنْ نَبِيذِ هَذَا الزَّبِيبِ، أَسِنَّةٌ تَتَّبِعُونَهَا أَمْ تَجِدُونَ هَذَا أَهْوَنَ
عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّبَنِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى الْعَبَّاسَ وَهُوَ يَسْقِي النَّاسَ فَقَالَ: اسْقِنِي،
فَدَعَا الْعَبَّاسُ بِعِيسَاسٍ مِنْ نَبِيذٍ فَتَنَاولَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عُسًا مِنْهَا فَشَرِبَ ثُمَّ قَالَ: أَحْسَنْتُمْ هَكَذَا اصْنَعُوا،
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَمَا يَسْرُنِي أَنْ سَقَايَتَهَا جَرَّتْ عَلَيَّ لَبَنًا وَعَسَلًا
مَكَانَ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَحْسَنْتُمْ هَكَذَا
افْعَلُوا.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ
عَبْدِ الْمُطَّلِبِ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي

تَعْجِيلِ صَدَقَتِهِ قَبْلَ أَنْ تَحِلَّ فَرَحُصَ لَهُ فِي ذَلِكَ .

وَمِمَّا قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خُطْبَةِ حَجَّةِ الْوَدَاعِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْعَبَّاسِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَأَنَّ كُلَّ رَبٍّ مَوْضُوعٌ وَلَكِنْ لَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ، لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ. قَضَى اللَّهُ أَنَّهُ لَا رَبَّاءَ، وَإِنَّ رَبَّاءَ عَبَّاسٍ بَنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ» .

الْعَبَّاسُ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ:

اِنْتَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، وَهُوَ رَاضٍ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّ الرِّضَا .

وَبَايَعَ الْمُسْلِمُونَ أَبَا بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خَلِيفَةً لِلْمُسْلِمِينَ، وَبَايَعَ الْعَبَّاسُ وَلَمْ يَتَخَلَّفْ كَمَا وَرَدَ فِي بَعْضِ الرُّوَايَاتِ . وَأَمَّا رِوَايَةُ: أَنَّ الْعَبَّاسَ قَالَ لِعَلِيِّ يَوْمَهَا: اْمُدُّ يَدَكَ أَبَايَعُكَ فَلَيْسَتْ صَحِيحَةً، إِذْ لَمْ يَتَحَدَّثِ الْمُسْلِمُونَ عَنْ الْبَيْعَةِ إِلَّا فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَلَمْ يَخْرُجِ الْمُسْلِمُونَ مِنْهَا إِلَّا وَقَدْ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ .

وَإِذَا كَانَ حَدِيثُ الْعَبَّاسِ لِعَلِيِّ بَعْدَ ذَلِكَ، فَلَا يَقْبَلُ ذَلِكَ الْعَقْلُ، إِذْ لَا يُمَكِّنُ لِلْعَبَّاسِ وَلَا لِعَلِيِّ أَنْ يَعْمَلَ أَحَدُهُمَا أَوْ

كِلَاهُمَا عَلَى تَفْرِيقِ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكِلَاهُمَا يَعْلَمُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ » . ثُمَّ إِنَّ الْعَبَّاسَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَيْسَ عَلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ مِنَ السَّدَاجَةِ لِيُظَنَّ أَنَّ بَيْعَتَهُ لِرَجُلٍ كَانَتْ مِنْ كَانٍ يُمَكِّنُ أَنْ تُغَيَّرَ مَجْرَى التَّارِيخِ ، وَيَنْقُضُ الْمُسْلِمُونَ بَيْعَتَهُمْ ، وَكَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ عَلَيٌّ .

الْعَبَّاسُ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ :

كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَعْرِفُ لِلْعَبَّاسِ قَدْرَهُ وَيُنْزِلُهُ مَنْزِلَتَهُ .

كَانَ لِلْعَبَّاسِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، مِيزَابٌ عَلَى طَرِيقِ عُمَرَ ، فَلَبِسَ عُمَرُ ثِيَابَهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَقَدْ كَانَ ذُبِحَ لِلْعَبَّاسِ فَرْخَانِ ، فَلَمَّا وَافَى الْمِيزَابَ صُبَّ فِيهِ مَاءٌ فِيهِ مِنْ دَمِ الْفَرْخَيْنِ فَأَصَابَ عُمَرَ فَأَمَرَ بِقَلْعِهِ ، ثُمَّ رَجَعَ عُمَرُ فَطَرَحَ ثِيَابَهُ وَلَبِسَ غَيْرَهَا ثُمَّ جَاءَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ ، فَأَتَاهُ الْعَبَّاسُ فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنَّهُ لَلْمَوْضِعُ الَّذِي وَضَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ عُمَرُ لِلْعَبَّاسِ : فَأَنَا أَعِزُّمُ عَلَيْكَ لِمَا أَصْعَدْتَ عَلَى ظَهْرِي حَتَّى

تَضَعُهُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي وَضَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَفَعَلَ ذَلِكَ الْعَبَّاسُ^(١).

لَمَّا كَثَرَ الْمُسْلِمُونَ فِي عَهْدِ عُمَرَ ضَاقَ بِهِمُ الْمَسْجِدُ فَاشْتَرَى عُمَرُ مَا حَوْلَ الْمَسْجِدِ مِنَ الدُّورِ إِلَّا دَارَ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَحُجْرَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ عُمَرُ لِلْعَبَّاسِ: يَا أَبَا الْفَضْلِ إِنَّ مَسْجِدَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ ضَاقَ بِهِمْ وَقَدْ ابْتِغَتْ مَا حَوْلَهُ مِنَ الْمَنَازِلِ تُوسِّعُ بِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِلَّا دَارَكَ وَحُجْرَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَمَّا حُجْرُ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا سَبِيلَ إِلَيْهَا وَأَمَّا دَارُكَ فَبِعَيْنِهَا بِمَا شِئْتَ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ أَوْسَعُ بِهَا مَسْجِدَهُمْ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: اخْتَرْ مِنِّي إِحْدَى ثَلَاثَ، إِمَّا أَنْ تَبْعِنِيهَا بِمَا شِئْتَ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِمَّا أَنْ أُخْطِطُكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَبْنِيهَا لَكَ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِمَّا أَنْ تَصَدَّقَ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَتُوسِّعَ بِهَا فِي مَسْجِدِهِمْ، فَقَالَ: لَا وَلَا وَاحِدَةً مِنْهَا، فَقَالَ عُمَرُ: اجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَنْ شِئْتَ، فَقَالَ: أَبِيُّ بْنُ كَعْبٍ. فَانْطَلَقَا إِلَى أَبِيِّ فَقَصَّصَا عَلَيْهِ الْقِصَّةَ فَقَالَ أَبِيُّ: إِنَّ شِئْتُمَا حَدِّثْتُمَا بِحَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

(١) الطبقات .

فَقَالَا: حَدِّثْنَا، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى دَاوُدَ أَنْ ابْنِ لِي بَيْتًا أَذْكُرُ فِيهِ، فَخَطَّ لَهُ هَذِهِ الْخِطَّةَ خِطَّةَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَإِذَا تَرَبَّعَهَا بَيْتُ رَجُلٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسَأَلَهُ دَاوُدُ أَنْ يَبِيعَهُ إِيَّاهُ فَأَبَى، فَحَدَّثَ دَاوُدُ نَفْسَهُ أَنْ يَأْخُذَهُ مِنْهُ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ يَا دَاوُدُ أَمَرْتُكَ أَنْ تَبْنِيَ لِي بَيْتًا أَذْكُرُ فِيهِ فَأَرَدْتُ أَنْ تُدْخِلَ فِي بَيْتِي الْغَضَبَ وَلَيْسَ مِنْ شَأْنِي الْغَضَبُ، وَإِنَّ عَقُوبَتَكَ أَنْ لَا تَبْنِيَهُ، قَالَ: يَا رَبُّ فَمِنْ وَلَدِي؟ قَالَ: مِنْ وَلَدِكَ». قَالَ: فَأَخَذَ عُمَرُ بِمَجَامِعِ ثِيَابِ أَبِي بَنٍ كَعْبٍ وَقَالَ: جِئْتُكَ بِشَيْءٍ فَجِئْتُ بِمَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ، لَتَخْرُجَنَّ مِمَّا قُلْتُ. فَجَاءَ يَقُودُهُ حَتَّى أَدْخَلَهُ الْمَسْجِدَ فَأَوْفَقَهُ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيهِمْ أَبُو ذَرٍّ فَقَالَ: إِنِّي نَشَدْتُ اللَّهَ رَجُلًا سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَذْكُرُ حَدِيثَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ حِينَ أَمَرَ اللَّهُ دَاوُدَ أَنْ يَبْنِيَهُ إِلَّا ذَكَرَهُ. فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا سَمِعْتُهُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا سَمِعْتُهُ يَعْنِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ، فَأَرْسَلَ عُمَرُ ابْنًا، قَالَ، وَأَقْبَلَ أَبِي عَلَى عُمَرَ فَقَالَ: يَا عُمَرُ أَتَتَّهِمُنِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ عُمَرُ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ لَا وَاللَّهِ مَا أَتَّهِمْتُكَ عَلَيْهِ وَلَكِنِّي كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ الْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَسَلَّمَ، ظَاهِرًا. قَالَ، وَقَالَ عُمَرُ لِلْعَبَّاسِ: اذْهَبْ فَلَا أَعْرِضُ لَكَ فِي دَارِكَ. فَقَالَ الْعَبَّاسُ: أَمَّا إِذْ فَعَلْتَ فَإِنِّي قَدْ تَصَدَّقْتُ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَوْسَعُ بِهَا عَلَيْهِمْ فِي مَسْجِدِهِمْ فَأَمَّا وَأَنْتَ تَخَاصِمُنِي فَلَا. قَالَ فَخَطَّ عُمَرُ لَهُمْ دَارَهُمُ الَّتِي هِيَ لَهُمُ الْيَوْمَ وَبَنَاهَا مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ^(١).

وَأَصَابَ النَّاسَ قَحْطٌ فَخَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَسْتَسْقِي فَأَخَذَ بِيَدِ الْعَبَّاسِ فَاسْتَقْبَلَ بِهِ الْقِبْلَةَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بَنَيْنَا، عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِذَا قُحِطْنَا فَتَسْقِنَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بَعَمَّ نَبِينَا، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَاسْقِنَا. فَمَا رَجَعُوا حَتَّى سُقُوا^(٢).

وَفَرَضَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ خَمْسَةَ آلَافٍ كَفَرَايِضَ أَهْلِ بَدْرٍ وَلَمْ يُفَضَّلْ أَحَدًا عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ إِلَّا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٣).

وَلَمَّا دَوَّنَ عُمَرُ الدِّيَّانَ كَانَ أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِهِ فِيهِ الْمَدْعَى بَنِي هَاشِمٍ، ثُمَّ كَانَ أَوَّلُ بَنِي هَاشِمٍ يُدْعَى الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِي وَلَايَةِ عُمَرَ وَعُثْمَانَ^(٤).

(١) طبقات ابن سعد.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

تَحَفَّى الْعَبَّاسُ عُمَرَ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ جَاءَكَ عَمُّ مُوسَى مُسْلِمًا مَا كُنْتَ صَانِعًا بِهِ؟ قَالَ: كُنْتُ وَاللَّهِ مُحْسِنًا إِلَيْهِ، قَالَ: فَأَنَا عَمُّ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: وَمَا رَأَيْتُكَ يَا أَبَا الْفَضْلِ؟ فَوَاللَّهِ لَا بُدَّكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَبِي، قَالَ: اللَّهُ اللَّهُ لِأَنِّي كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ أَحَبُّ إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ أَبِي فَأَنَا أُؤْثِرُ حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى حُبِّي^(١).

وَبَقِيَ فِي بَيْتِ مَالِ عُمَرَ شَيْءٌ بَعْدَ مَا قُسِمَ بَيْنَ النَّاسِ فَقَالَ الْعَبَّاسُ لِعُمَرَ وَلِلنَّاسِ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ كَانَ فِيكُمْ عَمُّ مُوسَى أَكُنْتُمْ تُكْرِمُونَهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَأَنَا أَحَقُّ بِهِ، أَنَا عَمُّ نَبِيِّكُمْ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَلَّمَ عُمَرُ النَّاسَ فَأَعْطَوْهُ تِلْكَ الْبَقِيَّةَ الَّتِي بَقِيَتْ^(٢).

وَلَمَّا احْتَضَرَ عُمَرُ بَعْدَ أَنْ طُعِنَ أَمَرَ مَهْنِيًّا أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَأَمَرَهُ أَنْ يَجْعَلَ لِلنَّاسِ طَعَامًا فَيُطْعَمُوا (حَتَّى يَسْتَخْلِفُوا إِنْسَانًا). فَلَمَّا رَجَعُوا مِنَ الْجَنَازَةِ جِيءَ بِالطَّعَامِ وَوُضِعَتِ الْمَوَائِدُ فَأَمْسَكَ النَّاسُ عَنْهَا (لِلْحُزْنِ الَّذِي هُمْ فِيهِ)

(١) المصدر السابق نفسه .

(٢) المصدر السابق نفسه .

فَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ مَاتَ فَأَكَلْنَا بَعْدَهُ وَشَرِبْنَا، وَمَاتَ أَبُو بَكْرٍ فَأَكَلْنَا بَعْدَهُ وَشَرِبْنَا، وَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْأَجْلِ فَكُلُوا مِنْ هَذَا الطَّعَامِ. ثُمَّ مَدَّ الْعَبَّاسُ يَدَهُ فَأَكَلَ، وَمَدَّ النَّاسُ أَيْدِيَهُمْ فَأَكَلُوا^(١).

وَقَدِمَ الْعَبَّاسُ الشَّامَ مَعَ عُمَرَ. فَلَمَّا اقْتَرَبَ عُمَرُ مِنَ الشَّامِ تَنَحَّى وَمَعَهُ غُلَامُهُ، فَعَمَدَ إِلَى مَرْكَبٍ غُلَامِهِ فَرَكِبَهُ، وَعَلَيْهِ فَرُؤُ مَقْلُوبٌ، وَحَوَّلَ غُلَامُهُ عَلَى رَحْلِ نَفْسِهِ. وَإِنَّ الْعَبَّاسَ لَبَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى فَرَسٍ عَتِيقٍ، وَكَانَ رَجُلًا جَمِيلًا، فَجَعَلَتِ الْبَطَارِقَةُ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ، فَيُشِيرُ: لَسْتُ بِهِ وَإِنَّهُ ذَاكَ.

وَكَانَتْ سِنُّ الْعَبَّاسِ قَدْ كَبُرَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَشْتَرِكْ بِالْجِهَادِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَاکْتَفَى بِمَا قَامَ بِهِ مِنْ دَوْرِ سَابِقٍ وَمِنْ جِهَادٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الْعَبَّاسُ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ:

بَقِيَتْ مَنَزِلَةُ الْعَبَّاسِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ كَمَا

(١) المصدر السابق نفسه.

هِيَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَتْ عُمُرُهُ قَدْ زَادَتْ عَلَى الثَّمَانِينَ، فَتُوفِّيَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ، وَهُوَ ابْنُ ثَمَانَ وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَلَمَّا مَاتَ بَعَثَتْ بَنُو هَاشِمٍ مُؤَذِّنًا يُؤَذِّنُ أَهْلَ الْعَوَالِي: رَحِمَ اللَّهُ مَنْ شَهِدَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ فَحَشَدَ النَّاسُ وَنَزَلُوا مِنَ الْعَوَالِي.

وَذَهَبَ مَوْلَى لِبْنِي هَاشِمٍ يُؤَذِّنُ بِمَوْتِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بَقِيَاءً، ثُمَّ ذَهَبَ رَسُولُ عُثْمَانَ لِلْغَايَةِ نَفْسَهَا، فَاسْتَقْبَلَ قُرَى الْأَنْصَارِ قَرْيَةً قَرْيَةً حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَافِلَةِ بَنِي حَارِثَةَ وَمَا وَلَاهَا فَحَشَدَ النَّاسُ فَمَا غَادَرْنَا النِّسَاءَ، فَلَمَّا أُتِيَ بِهِ إِلَى مَوْضِعِ الْجَنَائِزِ تَضَاقَقَ فَتَقَدَّمُوا بِهِ إِلَى الْبَقِيعِ، وَلَقَدْ احْتَشَدَتْ جُمُوعٌ كَبِيرَةٌ، حَتَّى النِّسَاءُ وَقَالَتْ أُمُّ عُمَارَةَ: حَضَرْنَا نِسَاءَ الْأَنْصَارِ طَرًّا جَنَازَةَ الْعَبَّاسِ وَكُنَّا أَوَّلَ مَنْ بَكَى عَلَيْهِ وَمَعَنَا الْمُهَاجِرَاتُ الْأَوَّلُ الْمُبَايَعَاتُ.

وَأَرْسَلَ، عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى أَهْلِ الْعَبَّاسِ عِنْدَمَا تُوفِّيَ: إِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ أَحْضَرَ غَسَلَهُ فَعَلْتُ^(١) فَأَذِنُوا لَهُ،

(١) وهذا من أدب عثمان ومراعاته لأقارب المتوفى.

فَحَضَرَ فَكَانَ جَالِسًا نَاحِيَةَ الْبَيْتِ ، وَغَسَّلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ،
وَعَبْدُ اللَّهِ وَعُبَيْدُ اللَّهِ وَقَتْمُ بْنُ الْعَبَّاسِ . وَصَلَّى عَلَيْهِ عُثْمَانُ ،
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكُفِّنَ فِي بُرْدٍ حَبْرَةٍ حَسْبَمَا أَوْصَى بِذَلِكَ .

وَمَا تَخَلَّفَ عَنِ الْجَنَازَةِ أَحَدٌ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ
وَالصَّبْيَانِ .

وَرُوي أَنَّ الْعَبَّاسَ أَعْتَقَ قُبَيْلَ مَوْتِهِ سَبْعِينَ مَمْلُوكًا .

أَوْلَادُهُ :

كَانَ لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مِنَ الْوَلَدِ تِسْعَةُ أَوْلَادٍ مِنَ
الذَّكُورِ وَثَلَاثُ بَنَاتٍ وَهُم :

١ - الْفَضْلُ : وَكَانَ أَكْبَرُ وَلَدِهِ ، وَبِهِ كَانَ يُكْنَى ، وَكَانَ جَمِيلًا ،
وَأَرْدَفَهُ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّتِهِ ، وَمَاتَ
بِالشَّامِ فِي طَاعُونِ عَمَوَاسَ عَامَ ١٨ هـ ، وَلَيْسَ لَهُ عَقِبٌ .

٢ - عَبْدُ اللَّهِ : وَهُوَ حَبْرُ الْأُمَّةِ ، وَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَاتَ بِالطَّائِفِ عَامَ ٦٨ هـ ، وَلَهُ عَقِبٌ .

٣ - عُبَيْدُ اللَّهِ : كَانَ جَوَادًا سَخِيًّا ، مَاتَ بِالْمَدِينَةِ عَامَ ٨٧ هـ .

٤ - عَبْدُ الرَّحْمَنِ : مَاتَ بِالشَّامِ ، وَلَيْسَ لَهُ عَقِبٌ .

٥ - قُتِمُ: كَانَ يُشْبِهُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَرَجَ مُجَاهِدًا إِلَى خُرَاسَانَ، وَمَاتَ بِسَمَرْقَنْدَ عَامَ ٥٧، وَلَيْسَ لَهُ عَقِبٌ. وَوَلَاهُ عَلِيُّ عَلَى مَكَّةَ فَبَقِيَ عَلَيْهَا حَتَّى قُتِلَ عَلِيُّ.

٦ - مَعْبُدٌ: وَخَرَجَ إِلَى إفْرِيقِيَّةَ مُجَاهِدًا، وَاسْتَشْهَدَ هُنَاكَ عَامَ ٣٥ هـ.

٧ - أُمُّ حَبِيبٍ. وَأُمُّ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا لُبَابَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ أُمُّ الْفَضْلِ وَهِيَ أُخْتُ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ لِأُمِّهَا. وَكَانَ يُقَالُ: مَا رَأَيْنَا بَنِي أَبِي وَأُمِّ أَبَعَدَ قُبُورًا مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مِنْ أُمِّ الْفَضْلِ.

وَكَانَ لِلْعَبَّاسِ مِنْ غَيْرِ أُمِّ الْفَضْلِ:

٨ - الْحَارِثُ: وَأُمُّهُ حُجَيْلَةُ بِنْتُ جُنْدُبِ بْنِ الرَّبِيعِ.

٩ - كَثِيرٌ: وَكَانَ فَقِيهًا مُحَدِّثًا.

١٠ - تَمَامٌ: كَانَ مِنْ أَشَدِّ أَهْلِ زَمَانِهِ.

١١ - صَفِيَّةٌ:

١٢ - أُمَيْمَةٌ:

وَأُمُّ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةُ أُمُّ وَلَدٍ.

وَرَوَى الْعَبَّاسُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عِدَّةَ أَحَادِيثَ، مِنْهَا خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ حَدِيثًا فِي
 مُسْنَدِ بَقِيٍّ بْنِ مَخْلَدٍ، وَاتَّفَقَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي حَدِيثِ
 وَاحِدٍ، وَانْفَرَدَ الْبُخَارِيُّ فِي حَدِيثٍ، وَمُسْلِمٌ فِي ثَلَاثَةِ
 أَحَادِيثَ.

وَرَوَى عَنْ الْعَبَّاسِ أَبْنَاؤُهُ عَبْدُ اللَّهِ، وَكَثِيرُ وَعُبَيْدُ اللَّهِ،
 وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَالْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ
 الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَيْرَةَ، وَعَامِرُ بْنُ سَعْدٍ،
 وَإِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَوْفَلٍ، وَمَالِكُ بْنُ أَوْسٍ بْنِ
 الْحَدَّثَانِ، وَنَافِعُ بْنُ جُبَيْرٍ بْنِ مُطْعِمٍ.

بُناة دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ

- ٢٢ -

سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ وَبَعْدُ ،

فَإِنَّ حَادِثَهُ وَاحِدَةً قَدْ تُخَلَّدُ ذِكْرَى رَجُلٍ مَدَى الدَّهْرِ، وَإِنَّ
قِصَّةَ فِيهَا عِبْرَةً لِيُرْوِيَهَا جِيلٌ بَعْدَ جِيلٍ ، وَإِنَّ قَصِيدَةَ فِيهَا حِكْمَةً
لَتُرَدِّدُهَا أَلْسِنَةُ الْبَشَرِ عَلَى مَرِّ السِّنِينَ ، وَإِنَّ الْكَلَامَ الْعَذْبَ
الْمُنَظَّمَ لِيَرْفَعُ قَوْمًا وَيَخْفِضُ آخَرِينَ ، وَيَكْسِبُ أَنْاسًا صِفَةً
لَيْسَتْ مِنْ طَبْعِهِمْ ، وَيُعْطِي غَيْرَهُمْ سِمَةً هُمْ أَعْلَى مِنْهَا وَعَلَى
تَنَاقُضٍ مَعَهَا . فَمَا خَلَّدَ ذِكْرَى مَالِكِ بْنِ الرَّيْبِ إِلَّا قَصِيدَةُ
نُسِبَتْ لَهُ . وَمَا رَفَعَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ إِلَّا شِعْرُ الْمُتَنَبِّيِّ وَهُوَ الَّذِي حَطَّ
مِنْ شَأْنِ كَافُورٍ ، وَلِكُلِّ صِفَةٍ تُخَالِفُ مَا ذَكَرَهُ الْمُتَنَبِّيُّ . وَمَا مِنْ
عَدْلٍ يُعْرَفُ إِلَّا وَيُقَرَّنُ مَعَ ابْنِ الْخَطَّابِ عُمَرَ ، رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ ، وَيُرْوَى جِيلٌ بَعْدَ جِيلٍ قَوْلَتُهُ «مَتَى اسْتَعْبَدْتُمُ النَّاسَ وَقَدْ
وَلَدْتَهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ أَحْرَارًا» .

وَمَا ذُكِرَتْ أَخُوَّةٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا وَتَدَاعَى إِلَى الذَّهْنِ مُبَاشَرَةً سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمَا بُحِثَ فِي الْإِخْلَاصِ إِلَّا وَاتَّجَهَ الْفِكْرُ إِلَى هَذَا الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ أَيْضًا . إِنَّ لَهُ مَوْقِفَيْنِ كَانَا عُنْوَانًا لَهُ ، بَلْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَا شِعَارًا لِكُلِّ مُسْلِمٍ ، أَحَدُهُمَا كَانَ يَوْمَ أَخَى رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِثْرَ اسْتِقْرَارِهِ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ بَعْدَ هِجْرَتِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَكَانَ الثَّانِي قُبَيْلَ إِخْرَازِهِ الشَّهَادَةَ يَوْمَ أُحُدٍ بِلَحْظَاتٍ . ذَلِكَمَا مَوْقِفَانِ خَالِدَانِ إِذَا عُدَّتِ الْمَوَاقِفُ الْخَالِدَةُ كَانَا تَاجًا لَهَا . وَإِذَا بُحِثَ الْمُثُلُ الْعُلْيَا اسْتَقَيَّتْ مِنْ سَعْدِنَا هَذَا وَكَأَنَّهُ النَّبْعُ لَهَا تَتَدَفَّقُ مِنْهُ وَتَصْدُرُ عَنْهُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ .

وَأَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ أَنْ أَوْفَّقَ بِإِعْطَاءِ فِكْرَةٍ عَنْ هَذَا الصَّحَابِيِّ الْكَرِيمِ لِيَكُونَ عُنْوَانُ الْإِخْلَاصِ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَأَسْأَلُهُ تَعَالَى أَنْ يُجَنِّبَنَا الْعَثَرَاتِ ، وَأَنْ يُسَدِّدَ خَطَاَنَا ، وَأَنْ يُلْهِمَنَا الصَّدْقَ فِي الْقَوْلِ ، وَالْإِخْلَاصَ فِي الْعَمَلِ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

كَانَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ مِنْ بَنِي
 الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ أَحَدِ بَطُونِ الْخَزْرَجِ ، وَسَيِّدًا مِنْ
 سَادَاتِهِمْ وَأَحَدَ الْكُتَبَةِ فِيهِمْ ، وَالْكِتَابَةُ قَلِيلَةٌ يَوْمَ ذَلِكَ ، وَأُمُّهُ
 هُزَيْلَةُ بِنْتُ عِنْبَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْقَبِيلَةِ نَفْسُهَا ، وَهِيَ أُمُّ خَارِجَةَ
 ابْنِ زَيْدِ ابْنِ عَمِّ أَبِيهِ وَحَبِيبَةَ بِنْتُ زَيْدِ الْتِي تَزَوَّجَهَا أَبُو بَكْرٍ
 الصَّدِّيقُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَالتِّي أَنْجَبَتْ لَهُ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتُ أَبِي
 بَكْرٍ ، فَسَعْدٌ وَخَارِجَةُ وَحَبِيبَةُ إِخْوَةٌ لِأُمِّ .

إِنَّ الْعُقُولَ السَّلِيمَةَ الْخَيْرَةَ تَسْتَجِيبُ لِلْحَقِّ بِسُرْعَةٍ وَتَلْهَفُ
 إِلَيْهِ ، وَتَطْلُبُهُ وَتَدْعُو لَهُ وَتَسْتَنْيرُ بِهِدَاهُ بَيْنَمَا الْعُقُولُ الْقَاسِيَةُ
 تَتَوَقَّفُ عَنْ قُبُولِ الْحَقِّ وَتَسُدُّ مَنَاوِدَ النُّورِ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَتَحْتَجِبُ
 عَنْهُ وَتَبْقَى مُظْلِمَةً وَفَوْقَ هَذَا تَظَلُّ مُتَمَسِّكَةً بِالْبَاطِلِ مُتَعَتِّةً
 بِالْغَيِّ مُدَافِعَةً عَنْ كُلِّ فُسَادٍ . وَلَقَدْ كَانَ عَقْلُ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ
 مِنَ النَّوْعِ الْأَوَّلِ نَاضِجًا ، وَكَانَ كَبِيرًا وَاسِعًا ، وَفَوَادُهُ يَهْفُو

نَحْوَ السُّمُوِّ وَالْإِرْتِقَاءِ ، فَمَا أَنْ سَمِعَ بِالدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ فِي
مَدِينَتِهِ حَتَّى أَدْرَكَ صَفَاءَهَا وَشَعَرَ بِفُطْرَتِهِ بِصِدْقِهَا وَأَحَسَّ أَنَّهَا
مُبْتَغَاهُ فَأَقْبَلَ نَحْوَهَا مُسْلِمًا مُسْتَسْلِمًا .

وَجَاءَ مُوسِمُ الْحَجِّ وَخَرَجَ سَعْدٌ إِلَيْهِ مَعَ مَنْ خَرَجَ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ مَعَ قَوْمِهِمُ الَّذِينَ لَا يَزَالُونَ عَلَى شِرْكِهِمْ وَوَثْنِيَّتِهِمْ
فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ . وَأَنْطَلَقَ الْحَجِيجُ وَلِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ هَدَفُهُ
وَقَصْدُهُ . وَكَانَتْ نَفْسُ سَعْدٍ تَوَاقِفَةً لِرُؤْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ذَلِكَ النَّبِيُّ الَّذِي يَأْتِيهِ النُّورُ مِنَ السَّمَاءِ ، وَيَدْعُو
إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، وَإِلَى إِنْقَاضِ الْبَشَرِيَّةِ مِمَّا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ
التَّدَنِّيِّ وَالْهُبُوطِ فِي الْفِكْرِ ، فَلَمْ تُصَدِّقْ نَفْسُهُ تِلْكَ السَّاعَةَ الَّتِي
تَلْتَقِي فِيهَا مَعَ حَامِلٍ مِشْعَلٍ ذَلِكَ النُّورِ .

فِي الْعَقَبَةِ :

وَكَانَ مَوْعِدُ اللَّقَاءِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
الْعَقَبَةَ ، مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ الشَّشْرِيقِ فِي الثَّلَاثِ الثَّانِي مِنَ اللَّيْلِ .
وَقَدْ نَامَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ حُجَّاجٍ يَثْرِبَ مَعَ قَوْمِهِمْ فِي رِحَالِهِمْ ،
حَتَّى إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجُوا مِنْ رِحَالِهِمْ لِمِيعَادِ رَسُولِ
اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مُتَسَلِّلِينَ مُسْتَخْفِينَ حَتَّى اجْتَمَعُوا
فِي الشَّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ وَعَدَدُهُمْ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا ، وَمَعَهُمْ

أَمْرَانِ . ثُمَّ جَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 وَمَعَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . فَتَكَلَّمَ الْعَبَّاسُ أَوَّلَ مَنْ
 تَكَلَّمَ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْخَزَرَجِ ، إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ
 عَلِمْتُمْ ، وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا ، مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأِينَا فِيهِ ،
 فَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ وَمَنْعَةٍ فِي بَلَدِهِ ، وَإِنَّهُ قَدْ أَبَى إِلَّا الْإِنْجِيَا
 إِلَيْكُمْ ، وَاللَّهُ حَقُّ بِكُمْ ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَأَفُونَ لَهُ بِمَا
 دَعَوْتُمُوهُ إِلَيْهِ ، وَمَا نِعُوهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ ، فَأَنْتُمْ وَمَا تَحَمَّلْتُمْ مِنْ
 ذَلِكَ . وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ مُسْلِمُوهُ وَخَاذِلُوهُ بَعْدَ الْخُرُوجِ بِهِ
 إِلَيْكُمْ ، فَمِنْ الْآنَ فَدَعُوهُ فَإِنَّهُ فِي عِزٍّ وَمَنْعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَبَلَدِهِ .
 قَالُوا : قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ ، فَتَكَلَّمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَخَذَ لِنَفْسِكَ
 وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ . فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 فَتَلَا الْقُرْآنَ ، وَدَعَا إِلَى اللَّهِ ، وَرَغَّبَ فِي الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ قَالَ :
 أَبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ .
 فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ : نَعَمْ ، وَالَّذِي بَعَثَكَ
 بِالْحَقِّ نَبِيًّا لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَزْرَانَا (نِسَاءَنَا) ، فَبَايَعَنَا يَا
 رَسُولَ اللَّهِ ، فَنَحْنُ وَاللَّهِ أَبْنَاءُ الْحُرُوبِ وَأَهْلُ الْحَلَقَةِ ،
 وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ . فَاعْتَرَضَ الْقَوْلَ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيْهَانِ
 فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ حِبَالًا ، وَإِنَّا
 قَاطِعُوهَا - يَعْنِي الْيَهُودَ - فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ ثُمَّ

أَظْهَرَكَ اللَّهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ وَتَدْعَنَا؟ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: بَلِ الدَّمُ الدَّمُ، وَالْهَذْمُ الْهَذْمُ، أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي، أَحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ، وَأَسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ. أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنِي عَشَرَ نَفِيًّا لِيَكُونُوا عَلَى قَوْمِهِمْ بِمَا فِيهِمْ. فَأَخْرِجُوا مِنْهُمْ اثْنِي عَشَرَ نَفِيًّا، تِسْعَةٌ مِنَ الْخَزَرَجِ، وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوْسِ. وَكَانَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَحَدَ نُقَبَاءِ الْخَزَرَجِ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلنُّقَبَاءِ: أَنْتُمْ عَلَى قَوْمِكُمْ بِمَا فِيهِمْ كُفَلَاءَ، كَكِفَالَةِ الْحَوَارِيِّينَ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَأَنَا كَفِيلٌ عَلَى قَوْمِي يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ.

وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَضْلَةَ الْأَنْصَارِيِّ مِنْ بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ يَوْمَ التَّقْوَا بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالْعَقِبَةِ لِلْبَيْعَةِ: يَا مَعْشَرَ الْخَزَرَجِ، هَلْ تَدْرُونَ عَلَامَ تَبَايَعُونَ هَذَا الرَّجُلَ؟ قَالُوا: نَعَمْ؛ قَالَ: إِنَّكُمْ تَبَايَعُونَهُ عَلَى حَرْبِ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ مِنَ النَّاسِ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ إِذَا نَهَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ مُصِيبَةً، وَأَشْرَافَكُمْ قَتْلًا أَسَلَمْتُمُوهُ، فَمِنْ الْآنَ، فَهُوَ وَاللَّهُ إِنْ فَعَلْتُمْ خِزْيُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَأَفُونَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُمُوهُ إِلَيْهِ عَلَى نَهَكِ الْأَمْوَالِ،

وَقَتْلِ الْأَشْرَافِ، فَخُذُوهُ، فَهُوَ وَاللَّهُ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛
 قَالُوا: فَإِنَّا نَأْخُذُهُ عَلَى مُصِيبَةِ الْأَمْوَالِ، وَقَتْلِ الْأَشْرَافِ؛ فَمَا
 لَنَا بِذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ نَحْنُ وَفِينَا بِذَلِكَ؟ قَالَ: الْجَنَّةُ.
 قَالُوا: ابْسُطْ يَدَكَ، فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعُوهُ. وَكَانَ الْعَبَّاسُ يَقُولُ
 ذَلِكَ لِيَشُدَّ الْعَقْدَ فِي أَغْنَاقِ الْأَنْصَارِ.

كَانَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَسْمَعُ هَذَا وَلَا
 يَتَكَلَّمُ، فَإِنَّ الْكَلَامَ جَمِيلٌ، وَهُوَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ
 أَنْ يَتَكَلَّمُوا لِيُقَالَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَلَا يُحِبُّ أَنْ
 يَظْهَرَ، فَفِي الْكَلَامِ مَا يُغْنِيهِ عَنِ الْحَدِيثِ، وَلَوْ رَأَى مَا
 يَسْتَدْعِي إِلَى الْكَلَامِ لَتَحَدَّثَ وَأَجَادَ وَسَمِعَ لَهُ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ
 الرَّأْيِ وَمِنْ سَادَةِ الْخَزَرَجِ وَلِهَذَا كَانَ اخْتِيَارُهُمْ لَهُ بَيْنَ
 النُّقَبَاءِ.

وَبَعْدَ الْبَيْعَةِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِمَنْ
 بَايَعَهُ: ارْضَوْا إِلَى رِحَالِكُمْ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 نَضْلَةَ، وَقَدْ شَعَرَ بِقُوَّةِ الْإِيمَانِ وَعِزَّةِ الْإِسْلَامِ، وَأَنَّ اللَّهَ
 مَعَهُمْ، وَأَنَّهُمْ قَدْ أَصْبَحُوا أَقْوَى مِنَ الدُّنْيَا كُلِّهَا: وَاللَّهُ الَّذِي
 بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ شِئْتَ لَنَمِيلَنَّ عَلَى أَهْلِ مِنْى غَدًا بِأَسْيَافِنَا؟
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَمْ تُؤْمَرْ بِذَلِكَ،

وَلَكِنْ ارْجِعُوا إِلَىٰ رِحَالِكُمْ . فَارْجِعُوا إِلَىٰ رِحَالِهِمْ ، وَنَامُوا لَمْ يَشْعُرْ بِهِمْ أَحَدٌ ، وَلَمْ يَعْرِفْ مَا تَمَّ رَجُلٌ مِنْ حَاجِبِهِمُ الَّذِينَ لَا يَزَالُونَ عَلَى الشُّرْكِ . وَلَوْ أَحَسَّ بِهِمْ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِمْ لَحَدَّثَتْ مُشْكِلَاتٌ ، وَتَعَقَّدَ الْأَمْرُ ، وَرُبَّمَا أَصْبَحَ مَا فِي الْمَدِينَةِ لَا يَخْتَلِفُ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ فِي مَكَّةَ مِنْ أَذَى الَّذِينَ أَسْلَمُوا وَاضْطَهَادِهِمْ مِنْ قَبْلِ ذَوِيهِمْ وَعَدَمِ إِمْكَانِيَّةِ هِجْرَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَهَذِهِ فَائِدَةُ السَّرِّيَّةِ فِي الْعَمَلِ وَالِدَّعْوَةِ لِتَحْقِيقِ مَا يُخْطِطُ لَهُ بَعِيداً عَنْ أَعْيُنِ الْأَعْدَاءِ ، وَتَنْفِيذِ مَا يُرْسَمُ دُونَ عِلْمِ الْخُصُومِ .

وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ لَمْ يَتْرِكْ أَمراً يَتِمُّ فِيهِ طَاعَةُ اللَّهِ دُونَ أَنْ يُحَاوَلَ إِفْسَادُهُ ، فَقَدْ وَسَّوسَ لِقُرَيْشٍ مَا حَدَثَ ، فَمَا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ حَتَّى جَاءَتْ جَمَاعَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى الْخَزْرَجِ فِي رِحَالِهِمْ فَقَالُوا لَهُمْ : يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ ، إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّكُمْ قَدْ جِئْتُمْ إِلَى صَاحِبِنَا هَذَا تَسْتَخْرِجُونَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا ، وَتُبَايَعُونَهُ عَلَى حَرْبِنَا ، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا مِنْ حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ أَبْغَضُ إِلَيْنَا ، أَنْ تَنْشَبَ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، مِنْكُمْ ، فَقَامَ مُشْرِكُو يَثْرِبَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ هَذَا شَيْءٌ ، وَمَا عَلِمُوا شَيْئاً . وَأَتَى الْقُرَشِيُّونَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَنْ سَلُولٍ فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ جَسِيمٌ ،

مَا كَانَ قَوْمِي لِيَتَفَوَّتُوا عَلَيَّ بِمِثْلِ هَذَا، وَمَا عَلِمْتُهُ كَانَ .
فَانْصَرَفَ الْقُرَشِيُّونَ وَفِي النَّفْسِ شَيْءٌ فَتَقَصَّوْا الْخَبَرَ بَعْدَ أَنْ نَفَرَ
النَّاسُ مِنْ مَنَى فَوَجَدُوا الْأَمْرَ صَحِيحًا . فَخَرَجُوا فِي طَلَبِ
الْقَوْمِ فَأَذْرَكُوا اثْنَيْنِ هُمَا : سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَالْمُنْذِرُ بْنُ عَمْرٍو
وَكِلَاهُمَا مِنَ النُّقَبَاءِ ، وَقَدْ أَفْلَتَ مِنْهُمْ الْمُنْذِرُ ، وَأَخَذُوا سَعْدًا
فَرَبَطُوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ ، وَأَدْخَلُوهُ مَكَّةَ ، وَأَوْجَعُوهُ ضَرْبًا ، فَجَاءَ
إِلَيْهِ جَبْرِ بْنُ مُطْعِمٍ ، وَالْحَارِثُ بْنُ حَرْبٍ ابْنِ أُمَيَّةَ فَخَلَّصَاهُ مِنْ
قُرَيْشٍ إِذْ كَانَ يُجْبِرُ لَهُمَا ، فَعَادَ إِلَى الْمَدِينَةِ .

وَعِنْدَمَا رَجَعَ حُجَّاجٌ يَثْرِبَ إِلَى مَدِينَتِهِمْ أَظْهَرَ الْمُسْلِمُونَ
مِنْهُمْ إِسْلَامَهُمْ . وَفِي مَكَّةَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، أَصْحَابَهُ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَالْهِجْرَةِ إِلَيْهَا ،
وَاللُّحُوقِ بِإِخْوَانِهِمْ مِنَ الْأَنْصَارِ . ثُمَّ أُذِنَ لِرَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بِالْهِجْرَةِ فَهَاجَرَ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ ، وَلَمَّا اسْتَقَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، آخَى
بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ . فَآخَى بَيْنَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَيْنَ ابْنِ
عَمِّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكِلَاهُمَا مُهَاجِرٌ ،
وَآخَى بَيْنَ عَمِّهِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَبَيْنَ مَوْلَى رَسُولِ
اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَكِلَاهُمَا مُهَاجِرٌ ،

وَأَخَى بَيْنَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَكِلَاهُمَا مُهَاجِرٌ، وَأَخَى بَيْنَ بِلَالٍ بْنِ رَبَاحٍ وَبَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْخَثْعَمِيِّ وَكِلَاهُمَا مُهَاجِرٌ، وَأَخَى بَيْنَ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَجَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَجَعْفَرُ غَائِبٌ.

كَانَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَنْتَظِرُ دَوْرَ مُوَاخَاتِهِ وَيَخْشَى أَنْ تَكُونَ مَعَ أَحَدِ الْأَنْصَارِ إِخْوَانِهِ وَبَنِي قَوْمِهِ فَهُوَ رَغْمَ مَحَبَّتِهِ الشَّدِيدَةِ لَهُمْ وَمَحَبَّةِ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ إِلَّا أَنْ كُلَّ وَاحِدٍ يُحِبُّ أَنْ تَكُونَ مُوَاخَاتُهُ مَعَ الْمُهَاجِرِينَ لِمَحَبَّتِهِمْ الشَّدِيدَةِ لَهُمْ بِصِفَتِهِمْ مِنْ قَوْمِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنَ السَّابِقِينَ فِي الْإِسْلَامِ، فَعَسَى أَنْ يَسْتَفِيدُوا أَيْضاً مِنْ تَرْبِيَّتِهِمُ الَّتِي اسْتَفَادُوهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِقُرْبِهِمْ مِنْهُ، وَعَلَّهْمُ يَحْصُلُوا عَلَى بَعْضِ الْعِلْمِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِمَّا اقْتَبَسُوهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَلَيُظْهِرَ الْأَنْصَارُ صِدْقَ مَا بَايَعُوا عَلَيْهِ وَمَا عَاهَدُوا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَلَتُظْهِرَ قُوَّةُ الْإِيمَانِ وَلَتُظْهِرَ الْأُخُوَّةُ الصَّحِيحَةُ الصَّادِقَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ. كَمَا كَانَ يَخْشَى، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنْ تَكُونَ مُوَاخَاتُهُ مَعَ أَحَدِ الْغَائِبِينَ مِثْلَ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ.

وَلَمَّا كَانَتْ مُوَآخَاةُ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ مَعَ أَحَدِ سَادَاتِ
قُرَيْشٍ وَأَحَدِ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ
عُوفٍ كَادَ يَطِيرُ مِنَ الْفَرَحِ أَوْ لَمْ تَكُذْ نَفْسُهُ تُصَدِّقُ مَا تَمَّ،
فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى دَارِهِ، وَقَدَّمَ الطَّعَامَ لَهُمَا، وَلَمْ يَعْرِفْ كَيْفَ
يُكْرِمُهُ؟ كَيْفَ يُعَامِلُهُ؟ مَا هِيَ الطَّرِيقَةُ الْمُثَلَّى لِلْأُخُوَّةِ الصَّادِقَةِ؟
فَقَالَ لَهُ: يَا أَخِي، لِي امْرَأَتَانِ وَأَنْتَ أَخِي فِي اللَّهِ لَا امْرَأَةٌ لَكَ
فَأَنْزِلْ لَكَ عَنْ إِحْدَاهُمَا فَانْظُرْ أَيُّهُمَا أَحْسَنُ لَكَ [وَلَمْ يَكُنِ
الْحِجَابُ قَدْ ضُرِبَ] فَأَثَرُكُهَا فَإِنْ انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا،
وَهُمَا مُسْلِمَتَانِ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ - وَكُلُّهُنَّ مِنْهُمَا مُسْتَعِدَّةٌ
لِلتَّضَحُّجَةِ فِي نَفْسِهَا وَمَا تَمْلِكُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَإِرْضَاءِ إِخْوَانِنَا
فِي اللَّهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَيْنَا. فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لَا، وَاللَّهِ! وَقَالَ
سَعْدٌ: هَلُمَّ إِلَى حَدِيقَتِي أَشَاطِرُكُهَا، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لَا،
بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ. فَانْطَلَقَ
فَاشْتَرَى سَمْنًا وَأَقْطًا وَبَاعَ، وَلَقِيَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، فِي أَحَدِ طُرُقَاتِ الْمَدِينَةِ وَعَلَيْهِ وَضْرٌ مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ
لَهُ: مَهْيِمٌ؟ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى
وَزْنِ نَوَاقٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: أَوْلِمَ وَلَوْ بِشَاؤٍ.

وَكَانَتْ مَعْرَكَةُ بَذْرِ الْكُبْرَى فَشَهِدَهَا سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ، رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُ، وَأَبْلَى فِيهَا الْبَلَاءُ الْوَاسِعَ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ لَّا فِي الْمَعْرَكَةِ
وَلَّا قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا، يَكْرُ عَلَى الْأَعْدَاءِ صَامِتًا، وَتَرَاهُ بَعْدَ
الْقِتَالِ هَادِثًا.

وَاسْتَدَارَ الْعَامُ وَكَانَتْ مَعْرَكَةُ أُحُدٍ، وَكَانَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ
بَيْنَ أُسُودِهَا فَانْطَلَقَ بَيْنَ صُفُوفِ الْمُشْرِكِينَ يَعْمَلُ فِيهِمْ قَتْلًا لَا
يُبَالِي حَتَّى تَنَاقَشَتْهُ رِمَاحُهُمْ وَسُيُوفُهُمْ وَسَقَطَ صَرِيعًا بَيْنَهُمْ،
وَجَلَسَ يَتَقَلَّبُ عَلَى جِرَاحِهِ، وَلَكِنَّهُ لَا يُفَكِّرُ فِي آلَامِهِ وَإِنَّمَا يُفَكِّرُ
فِي رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صَاحِبِ الدَّعْوَةِ الَّتِي
تَتَعَثَّرُ إِنْ أَصَابَهُ مَكْرُوهٌ إِذْ لَا تَزَالُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهَا، وَسَعْدٌ قَدْ
عَاشَ لِلدَّعْوَةِ، وَلَا يَرَى حَيَاتَهُ إِلَّا لَهَا. وَلَمْ يُفَكِّرْ بِالْمَوْتِ إِذْ
يَعْتَقِدُ أَنَّهَا شَهَادَةٌ وَهِيَ مَا يَسْعَى لَهُ، وَيُجِبُ السَّرْعَةَ لِلْوُصُولِ
إِلَى الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ الْمُتَّقِينَ وَالشُّهَدَاءَ، وَلَا يُفَكِّرُ
فِي أَهْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ وَلِيُّهُمْ. وَيُفَكِّرُ وَهُوَ جَرِيحٌ يُنَازِعُ سَكَرَاتِ
الْمَوْتِ فِي رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِي الدَّعْوَةِ
وَفِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ لَا يُفَكِّرُ النَّاسُ عَادَةً إِلَّا بِحَالَتِهِمُ الَّتِي هُمْ
فِيهَا وَالْأَمِيمُ يُقَاسُونَهَا مِنْ جِرَاحِهِمْ، غَيْرَ أَنَّ نَفْسَهُ قَدْ سَمَتْ
فَارْتَفَعَتْ عَنْ ذُنْيَاهُ وَرُوحَهُ قَدْ شَفَّتْ فَلَمْ يَعُدْ يَحْسُ بِالْآلَامِ
وَالْجِرَاحِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعْدَ أَنْ انْتَهَتْ
مَعْرَكَةُ أُحُدٍ: مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ؟ قَالَ رَجُلٌ: أَنَا
يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَطُوفُ بَيْنَ الْقَتْلَى، فَقَالَ لَهُ
سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَتِيَهُ بِخَبْرِكَ، قَالَ: فَاذْهَبْ إِلَيْهِ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي
السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُ أَنِّي قَدْ طُعِنْتُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ طَعْنَةً وَأَنْ قَدْ
انْقَضَتْ مَقَاتِلِي، وَأَخْبِرْ قَوْمَكَ أَنَّهُ لَا عُدْرَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ إِنْ قُتِلَ
رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَحَدٌ مِنْهُمْ حَيٌّ. وَمَاتَ
سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ مِنْ جَرَاحَاتِهِ تِلْكَ. وَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ أَخُوهُ لِأُمِّهِ
خَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ فَدَفِنَا فِي قَبْرِ وَاحِدٍ.

مَاتَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، وَلَيْسَ لَهُ
سِوَى ابْنَتَيْنِ، وَقَدْ ذَهَبَتْ امْرَأَةُ سَعْدٍ عَمْرَةً بِنْتُ حَزْمٍ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
هَاتَانِ ابْنَتَا سَعْدٍ قُتِلَ أَبُوهُمَا يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا، وَإِنْ عَمَّهُمَا أَخَذَ
مَا لَهُمَا فَاسْتَفَادَهُ فَلَمْ يَدَعْ لَهُمَا مَالًا، وَاللَّهِ لَا تُنْكَحَانِ إِلَّا وَلَهُمَا
مَالٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَقْضِي اللَّهُ فِي
ذَلِكَ.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الْمِيرَاثِ، فَدَعَا عَمَّهُمَا فَقَالَ لَهُ: اعْطِ ابْنَتِي

سَعِدِ الثُّلَيْنِ ، وَاَعْطِ أُمَّهُمَا الثُّمْنَ وَلَكَ مَا بَقِيَ .

هَكَذَا كَانَ حُبُّ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَنْهُمْ ،
لِلنَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهَكَذَا كَانَتْ نَظَرَتُهُمْ إِلَى الدُّنْيَا
فَدَانَتْ لَهُمْ وَمَلَكُوهَا ، فَعِنْدَمَا تَغَيَّرَتْ تِلْكَ النَّظَرَةُ مَلَكَتَهُمُ الدُّنْيَا
وَاسْتَعْبَدَتْهُمْ فَعَاشُوا فِيهَا عَبِيدًا أَذِلَّةً .

بُناة دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ

- ٢٣ -

حُبَّاءُ بَنِي الْقَاصِرِ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وُلِدَ عَبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ فِي الْمَدِينَةِ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَمَانٍ
وَنَلَاثِينَ سَنَةً، فَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، بِخَمْسَةِ عَشَرَ عَامًا، وَعَاشَ حَتَّى تُوفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ
وَنَلَاثِينَ لِلْهِجْرَةِ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
فَتَكُونُ حَيَاتُهُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً.

كَانَ رَجُلًا طَوِيلًا، جَسِيمًا، ضَخْمًا، أَسْوَدَ اللَّوْنِ، مَهِيئًا،
قَوِيَّ الْبُنْيَةِ، يَهْتَمُّ بِحُسْنِ لِبَاسِهِ.

أَمَّا أَبُوهُ الصَّامِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ أَصْرَمَ مِنْ بَنِي سَالِمِ بْنِ
عَوْفٍ مِنَ الْخَزْرَجِ فَلَمْ يُدْرِكِ الْإِسْلَامَ، وَقَدْ تُوفِّيَ عَلَى دِينِ
قَوْمِهِ.

وَأَمَّا أُمُّهُ فَهِيَ قُرَّةُ الْعَيْنِ بِنْتُ عَبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ بْنِ مَالِكٍ مِنَ
الْخَزْرَجِ أَيْضًا فَقَدْ أَسْلَمَتْ وَبَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ تُعَرَفْ غَيْرُ أُمِّهِ بِهَذَا الْاسْمِ «قُرَّةُ الْعَيْنِ» فِي

تِلْكَ الْمَرْحَلَةُ . وَهِيَ أُخْتُ الْعَبَّاسِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ نُضْلَةَ
الْأَنْصَارِيِّ الَّذِي شَهِدَ بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ .

فِي الْإِسْلَامِ :

كَانَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، مِنْ أَوَائِلِ الَّذِينَ
أَسْلَمُوا مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَذَلِكَ فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنْ بَعَثَةِ رَسُولِ
اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَيَّ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِسَنَوَاتٍ ثَلَاثٍ .
وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانَ يُوَافِي
الْمَوَاسِمَ فِي كُلِّ عَامٍ ، وَيَتَّبِعُ الْحَاجَّ فِي مَنَازِلِهِمْ ، وَفِي
الْأَسْوَاقِ ، فِي عُكَاظٍ ، وَذِي مَجَنَّةَ ، وَذِي مَجَازٍ ، وَيَعْرِضُ
نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ كُلَّمَا سَنَحَتْ لَهُ الْفُرْصَةُ يَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ
يَمْنَعُوهُ حَتَّى يُبْلَغَ رِسَالَهُ رَبِّهِ ، وَلَهُمُ الْجَنَّةُ ، وَيَقُولُ لَهُمْ : (يَا
أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا ، وَتَمْلِكُوا بِهَا
الْعَرَبَ ، وَتَذِلُّ لَكُمْ الْعَجَمَ ، وَإِذَا آمَنْتُمْ كُنْتُمْ مُلُوكًا فِي
الْجَنَّةِ) . وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ مَنْ يَسْمَعُ مِنْهُ ، وَلَمْ يَجِدْ نَاصِرًا لَهُ إِلَّا
اللَّهُ . وَیَجِدُ أَحْيَانًا الرَّدَّ الْقَبِيحَ بَلْ رُبَّمَا يَصِلُ الْأَمْرُ إِلَى الْأَذَى
إِذْ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ فِيمَا تَقُولُ خَيْرًا لَا تَبْعَكَ أَهْلَكَ فَهُمْ أَعْلَمُ بِكَ
وَأَدْرَى ، حَيْثُ كَانَ عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ عَبْدُ الْعُزَّى بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
يَسِيرُ وَرَاءَهُ وَيُكَذِّبُهُ ، وَيُسَفِّهُ رَأْيَهُ ، وَيَقُولُ لِرِجَالِ الْقَبَائِلِ :

«لَا تَسْمَعُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ صَابِيءٌ كَاذِبٌ» وَيَقُولُ أحياناً «إِنَّهُ
مَجْنُونٌ» .

وَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ لِدِينِهِ أَنْ يَنْتَشِرَ وَلِنَبِيِّهِ أَنْ يَنْتَصِرَ، وَأَنْ يُنْجِزَهُ مَا
وَعَدَهُ، وَكَانَ قَدْ كَتَبَ لِلْأَنْصَارِ هَذَا الْخَيْرَ الْعَمِيمَ، فَوَجَّهَهُ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى نَفَرٍ مِنْهُمْ وَهُمْ يَخْلُقُونَ رُؤُوسَهُمْ فَجَلَسَ
إِلَيْهِمْ عَلَى حِينٍ غَفَلَةٍ مِنْ عَمِّهِ أَبِي لَهَبٍ وَمِنْ قَوْمِهِ قُرَيْشٍ بَلْ
أَعْمَاهُمْ اللَّهُ عَنْهُ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
هَؤُلَاءِ الْأَنْصَارَ إِلَى اللَّهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، فَاسْتَجَابُوا إِلَيْهِ،
وَصَدَّقُوهُ، وَكَانُوا دُونَ الْعَشْرَةِ - عَلَى اخْتِلَافٍ فِي الرُّوَايَاتِ -
وَكَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ عِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، وَكُلُّهُمْ مِنَ الْخَزَرَجِ .

وَعِنْدَمَا عَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْإِسْلَامَ
عَلَى هَؤُلَاءِ الْخَزَرَجِ أَسْلَمُوا، فَقَالَ لَهُمْ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: (تَمْنَعُونَ لِي ظَهْرِي حَتَّى أُبْلَغَ رِسَالَةَ رَبِّي؟) . فَقَالُوا
لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَحْنُ مُجْتَهِدُونَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَنَحْنُ أَعْدَاءُ
مُتَبَاغِضُونَ، وَإِنَّمَا كَانَتْ وَقْعَةُ بُعَاثٍ^(١) عَامَ الْأَوَّلِ، يَوْمٌ مِنْ
أَيَّامِنَا اقْتَتَلْنَا فِيهِ، فَإِنْ تَقَدَّمَ، وَنَحْنُ كَذَا، لَا يَكُونُ لَنَا عَلَيْكَ

(١) بعث: يوم من الأيام التي اُقتل فيها الخزرج والأوس، ودارت الدائرة
على الخزرج، وكاد الأوس يستأصلونهم .

اجْتِمَاعُ، فَدَعْنَا حَتَّى نَرْجِعَ إِلَى عَشَائِرِنَا، لَعَلَّ اللَّهَ يُصْلِحُ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَمَوْعِدُكَ الْمَوْسِمُ الْمُقْبِلُ.

وَرَجَعَ هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَدَعُوا قَوْمَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَأَسْلَمَ عَدَدٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا فِيهَا ذِكْرٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمُنْذُ أَنْ أَسْلَمَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ارْتَبَطَ بِالْإِسْلَامِ ارْتِبَاطًا وَثِيقًا، وَتَعَلَّقَ بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَعَلُّقًا شَدِيدًا فَلَمْ يَكُنْ مَشْهُدٌ مِنْ مَشَاهِدِ الْإِسْلَامِ إِلَّا وَحَضَرَهُ، وَلَمْ يَغْزِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، غَزْوَةً، وَلَمْ يَسِرْ إِلَى مَكَانٍ إِلَّا وَكَانَ مَعَهُ.

فِي الْعَقَبَةِ الْأُولَى:

وَاسْتَدَارَ الْعَامُ عَلَى إِسْلَامِ تِلْكَ الْفِئَةِ الْمُؤْمِنَةِ الْقَلِيلَةِ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَسَارَ حُجَّاجُ الْمَدِينَةِ إِلَى الْمَوْسِمِ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ اثْنَا عَشَرَ مُسْلِمًا سَارُوا مَعَ الرِّكْبِ، وَالرِّكْبُ لَا يَعْرِفُ إِسْلَامَهُمْ، وَكَانَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْهُمْ، بَيْنَهُمْ، كَانَ مِنْهُمْ عَشْرَةٌ مِنَ الْخَزَرَجِ وَاثْنَانِ مِنَ الْأَوْسِ، وَالتَّقَى هَؤُلَاءِ

الْمُسْلِمُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالْعَقَبَةِ،
وَبَايَعُوهُ بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ الْأُولَى، أَوْ كَمَا عُرِفَتْ بِبَيْعَةِ النَّسَاءِ. قَالَ
عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنْتُ مِمَّنْ حَضَرَ الْعَقَبَةَ
الْأُولَى، وَكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَبَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى بَيْعَةِ النَّسَاءِ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفْتَرَضَ الْحَرْبُ،
عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْرِقَ، وَلَا نَزْنِيَ، وَلَا نَقْتُلَ
أَوْلَادَنَا، وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلَا
نَعْصِيَهُ فِي مَعْرُوفٍ. فَإِنْ وَقِفْتُمْ فَلَكُمْ الْجَنَّةُ، وَإِنْ غَشِيْتُمْ مِنْ
ذَلِكَ شَيْئًا فَأَمَرُكُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَ وَإِنْ شَاءَ
غَفَرَ.

وَقَدْ سُمِّيَتْ هَذِهِ الْبَيْعَةُ بِبَيْعَةِ النَّسَاءِ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَاتِ كُنَّ إِذَا
هَاجَرْنَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُمْتَحَنْنَ بِهَذَا
حَسَبَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ
يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا
يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ
وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعِهِنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١).

(١) سورة الممتحنة الآية ١٢.

وَلَمَّا انْصَرَفَ الْأَنْصَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعَثَ مَعَهُمْ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقْرِئَهُمُ الْقُرْآنَ، وَيُعَلِّمَهُمُ الْإِسْلَامَ، وَيُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ، فَكَانَ يُسَمَّى مُصْعَبُ بِالْمَدِينَةِ بِالْمُقْرِئِ، وَكَانَ مَنْزِلُهُ عَلَى أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ.

وَقَدْ وَصَلَ عَدَدُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَرْبَعِينَ مُسْلِمًا وَكَانَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ أَوَّلَ مَنْ جَمَعَ بِهِمْ فِي الْمَدِينَةِ وَبَدَأَ الْعَدَدُ يَزْدَادُ، وَمَا جَاءَ الْمَوْسِمُ إِلَّا وَكَثُرَ الْمُسْلِمُونَ فَخَرَجَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ مُسْلِمًا إِلَى الْحَجِّ مَعَ امْرَأَتَيْنِ وَكَانَ مَوْعِدُهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالْعَقَبَةِ بِأَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ بَعْدَ انْقِضَاءِ الثَّلَاثِ الْأَوَّلِ مِنَ اللَّيْلِ. أَمَّا عَدَدُ حَاجِجِ الْمَدِينَةِ مُسْلِمُهُمْ وَمُشْرِكُهُمْ فَقَدْ بَلَغَ خَمْسَمِائَةَ حَاجٍّ. وَحِينَ وَعَدَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَنْبَهُوا نَائِمًا وَلَا يَنْتَظِرُوا غَائِبًا.

فِي الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ :

فَلَمَّا هَدَأَ اللَّيْلُ وَنَامَ النَّاسُ قَامَ الْمُسْلِمُونَ يَتَسَلَّلُونَ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَيْنِ لِمِعَادِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا

اجْتَمَعُوا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَهُ عَمُّهُ
الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَكَانَ أَوَّلَ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَتَكَلَّمَ مِنَ
الْأَنْصَارِ مَنْ تَكَلَّمَ، ثُمَّ تَمَّتْ بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي فِيهَا النَّصْرُ
وَالْحِمَايَةُ، قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَبَايِعُكُمْ عَلَى
أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ. فَقَالُوا: يَا
رَسُولَ اللَّهِ تُبَايِعُكَ. فَقَالَ: (تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ
فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ
بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ، لَا تَخَافُوا
فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ
عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ، وَأَزْوَاجَكُمْ، وَأَبْنَاءَكُمْ،
وَلَكُمْ الْجَنَّةُ)، فَبَايَعُوهُ عَلَى ذَلِكَ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِلْأَنْصَارِ:
أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيًّا، لِيَكُونُوا عَلَى قَوْمِهِمْ بِمَا
فِيهِمْ، فَأَخْرِجُوا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيًّا، تِسْعَةً مِنَ الْخَزَرَجِ،
وثَلَاثَةً مِنَ الْأَوْسِ، وَكَانَ عَبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ، أَحَدَ نَقَبَاءِ الْخَزَرَجِ.

فِي الْمَدِينَةِ:

وَرَجَعَ الْأَنْصَارُ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ مَعَهُ فِي مَكَّةَ بِالْهِجْرَةِ إِلَى إِخْوَانِهِمْ فِي الْمَدِينَةِ فَبَدَأَتْ هِجْرَةُ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى الْمَدِينَةِ، وَآخَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَتْ مُوَاخَاةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ مَعَ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ كَنَازِ بْنِ الْحُصَيْنِ. وَكَانَتْ هَذِهِ الْمُواخَاةُ بِمَثَابَةِ صَهْرِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعاً فِي كُتْلَةٍ وَاحِدَةٍ أَمَامَ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ وَادَعَ يَهُودَ فَكَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ جَمِيعُهُمْ قُوَّةً تَقِفُ أَمَامَ أَيِّ غَزْوٍ وَلِمَدِينَتِهِمْ أَوْ أَيِّ هُجُومٍ تَتَعَرَّضُ لَهُ سِوَاءِ أَكَانَ مِنْ قُرَيْشٍ أَمْ مِنْ أَيْةٍ قَبِيلَةٍ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ أَوْ أَيْةٍ فِتْنَةٍ مِنَ النَّاسِ.

أَصْبَحَتِ الْمَدِينَةُ دَاراً لِلْإِسْلَامِ وَمَعْقِلاً يَلْجَأُونَ إِلَيْهِ، وَعِنْدَهَا شَرَعُ اللَّهِ جِهَادَ الْأَعْدَاءِ إِذْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْذَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيعَ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(١).

بَدَأَ الْمُسْلِمُونَ يَسْتَعِدُّونَ لِلْجِهَادِ فَمَسَحُوا الْأَرْضَ الَّتِي

تَوَقُّعُوا أَنْ تَكُونَ مِيدَانًا لِّلْقِتَالِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ ، مَسْحُوحًا
بِالسَّرَايَا وَالْغَزَوَاتِ الَّتِي جَاسَتْهَا ، وَتَعَرَّفُوا عَلَى سُكَّانِهَا مِنْ
الْقَبَائِلِ ، وَعَقَدُوا اتِّفَاقَاتٍ مَعَ بَعْضِ هَذِهِ الْقَبَائِلِ ، وَأَظْهَرُوا
قُوَّتَهُمْ لِقُرَيْشٍ وَأَبْدُوا فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ اسْتِعْدَادَهُمْ لِلنِّزَالِ
بِتَعَرُّضِهِمْ لِلْقَوَافِلِ الْغَادِيَةِ وَالرَّائِحَةِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالشَّامِ حَتَّى إِذَا
قَضَى اللَّهُ وَقُوعَ الْقِتَالِ تَعَرَّضَ الْمُسْلِمُونَ لِعِيرِ أَبِي سُفْيَانَ لِكَيْهَا
نَجَتْ ، وَهَبَّتْ قُرَيْشٌ لِإِنْقَازِ قَافِلَتَيْهَا وَعَمِلَتْ عَلَى تَأْدِيبِ
الْمُسْلِمِينَ عَلَى زَعْمِهَا فَكَانَ الْقِتَالُ ، وَانْتَصَرَ الْحَقُّ وَهُزِمَ
الْبَاطِلُ ، وَكَانَتْ الْخَسَارَةُ الْجَسِيمَةُ لِقُرَيْشٍ إِذْ خَلَفَتْ عَلَى
أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ صَنَادِيدَ الشُّرْكِ وَأَبْطَالَ الْكُفْرِ صَرَغَى ، وَسَلَّمَتْ
زُعَمَاءُ الْبَاطِلِ وَكِبَارُ الطُّغَاةِ أُسْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ . وَكَانَ
عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، بَطَلًا مِنْ أَبْطَالِ
الْمُسْلِمِينَ فِي بَدْرٍ .

وَرَجَعَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ يَسُوقُونَ أَمَامَهُمُ الْأَسَارَى ،
وَيَحْمِلُونَ مَعَهُمُ الْغَنَائِمَ ، وَرَأَى ذَلِكَ الْمُنَافِقُونَ فَكَانَتْ صَدَمَةً
إِلَيْهِمْ كَبِيرَةً وَكَانُوا قَدْ كَذَّبُوا الْبَشِيرَ الَّذِي جَاءَهُمْ مِنْ بَدْرٍ إِثْرَ
مَعْرَكَتِهَا مِنْ قِبَلِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذْ كَانَ
قَدْ بَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ بَشِيرًا إِلَى أَهْلِ الْعَالِيَةِ وَزَيْدَ بْنَ

حَارِثَةَ إِلَى أَهْلِ السَّافِلَةِ فَكَذَّبُوهُمَا . وَشَاهَدَ يَهُودُ مَا أَصَابَ
الْمُسْلِمُونَ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَكَانَتْ لَطْمَةً عَنِيْفَةً لَهُمْ أَذْهَلَتْهُمْ فَرَأَوْا
أَنْ يَتَّقَوْا بِكَلَامِهِمْ وَيَفْتَخِرُوا بِقَوْلِهِمْ خَوْفًا وَجَزَعًا فَقَالَ قَائِلُهُمْ
وَهُوَ مَالِكُ بْنُ الصَّيْفِ مِنْ بَنِي قَيْثَقَافٍ رَدًّا عَلَى حُلَفَائِهِمْ مِنْ
الْخَزْرَجِ حِينَ قَالُوا لَهُمْ : أَسْلِمُوا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ يَوْمَ
مِثْلِ يَوْمِ بَذْرِ ، قَالَ : أَغْرَكُمُ إِنْ أَصَبْتُمْ رَهْطًا مِنْ قُرَيْشٍ لَا
عِلْمَ لَهُمْ بِالْقِتَالِ ، أَمَا لَوْ أَسْرَرْنَا الْعَزِيمَةَ أَنْ نَسْتَجِيعَ عَلَيْكُمْ لَمْ
يَكُنْ لَكُمْ يَدٌ أَنْ تُقَاتِلُونَا . وَمَا أَنْ يَسْمَعَ عَبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ،
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، هَذَا الْقَوْلَ مِنْ حُلَفَائِهِ الْيَهُودِ حَتَّى يَتَحَرَّكَ
الْإِيْمَانُ فِي نَفْسِهِ وَيَرْتَفِعَ عَنِ الدُّنْيَا وَمَتَاعِهَا ، وَيُسْرِعَ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَقُولُ لَهُ : يَا رَسُولَ
اللَّهِ ، إِنَّ أَوْلِيَاءِي مِنَ الْيَهُودِ كَانَتْ شَدِيدَةً نَفْسُهُمْ ، كَثِيرًا
سِلَاحُهُمْ ، شَدِيدَةً شَوْكَتُهُمْ ، وَإِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ
وَلَايَةِ يَهُودٍ وَلَا مَوْلَى لِي إِلَّا اللَّهُ وَرَسُولُهُ . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
أَبِي بَنْ سُلُولٍ مِنَ الْخَزْرَجِ وَكَانَ زَعِيمًا مِنْ زُعَمَائِهِمْ وَلَهُ
مَوَالِي مِنْ يَهُودٍ كَمَا لِعَبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ لَكِنِّي لَا أَبْرَأُ مِنْ وَلَايَةِ
يَهُودٍ إِنِّي رَجُلٌ لَا بُدَّ لِي مِنْهُمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يَا أَبَا الْحَبَابِ أَرَأَيْتَ الَّذِي نَفَسَتْ بِهِ مِنْ وَلَايَةِ
يَهُودٍ عَلَى عَبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ فَهُوَ لَكَ دُونَهُ) فَقَالَ : إِذَنْ أَقْبَلُ ،

فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا
الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ
مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . فَتَرَى الَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا
دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى
مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ . وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ
الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ
فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿١﴾ .

وَقِيلَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، رَأَى الشَّرَّ
مِنْ بَنِي قَيْنِقَاعَ فَجَمَعَهُمْ بِسُوقِهِمْ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿يَا مَعْشَرَ يَهُودَ ،
احْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مِثْلَ مَا نَزَلَ بِقُرَيْشٍ مِنَ النِّقْمَةِ ، وَأَسْلِمُوا ،
فَإِنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ أَنِّي نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ، تَجِدُونَ ذَلِكَ فِي كِتَابِكُمْ
وَعَهْدِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ؛ قَالُوا : يَا مُحَمَّدُ : إِنَّكَ تَرَى أَنَّا قَوْمُكَ ! لَا
يَغُرَّنكَ أَنَّكَ لَقِيتَ قَوْمًا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ ، فَأَصَبْتَ مِنْهُمْ
فُرْصَةً ، إِنَّا وَاللَّهِ لَئِنْ حَارَبْنَاكَ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ . فَأَنْزَلَ
اللَّهُ فِيهِمْ : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ
وَبِئْسَ الْمِهَادُ . قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَةِ الْقِتَاءِ ، فَتَهُ تُقَاتِلُ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ
بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١١﴾ .

وَقِيلَ: إِنَّ امْرَأَةً مِنَ الْعَرَبِ قَدِمَتْ بِجَلْبٍ لَهَا، فَبَاعَتْهُ
بِسُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعٍ، وَجَلَسَتْ إِلَى صَائِغٍ بِهَا، فَجَعَلُوا
يُرِيدُونَهَا عَلَى كَشْفِ وَجْهِهَا، فَأَبَتْ، فَعَمَدَ الصَّائِغُ إِلَى طَرَفِ
ثَوْبِهَا، فَعَقَدَهُ إِلَى ظَهْرِهَا، فَلَمَّا قَامَتْ انْكَشَفَتْ سَوَائِهَا،
فَضَحِكُوا بِهَا، فَصَاحَتْ. فَوَثَبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى
الصَّائِغِ فَقَتَلَهُ، وَكَانَ يَهُودِيًّا، وَشَدَّتِ الْيَهُودُ عَلَى الْمُسْلِمِ
فَقَتَلُوهُ، فَاسْتَصْرَخَ أَهْلُ الْمُسْلِمِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْيَهُودِ،
فَغَضِبَ الْمُسْلِمُونَ، فَوَقَعَ الشَّرُّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي قَيْنُقَاعٍ .

فَحَاصِرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى نَزَلُوا
عَلَى حُكْمِهِ، فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنٍ سَلُولٍ، حِينَ
أَمَكَنَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَحْسِنُ فِي مَوَالِيٍّ، وَكَانُوا
حُلَفَاءَ الْخَزْرَجِ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَحْسِنُ فِي مَوَالِيٍّ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ،
فَادْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِ دِرْعِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرْسِلْنِي،

وَعُذِبَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى رَأَوْا لَوَجْهَهُ
ظُلُلًا، ثُمَّ قَالَ: وَيْحَكَ أَرْسِلْنِي؛ قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَرْسِلُكَ حَتَّى
تُحْسِنَ فِي مَوَالِيَّ، أَرْبَعُمِائَةِ حَاسِرٍ، وَثَلَاثُمِائَةِ دَارِعٍ قَدْ
مَنْعُونِي مِنَ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، تَخَصُّدُهُمْ فِي عِدَاةٍ وَاحِدَةٍ، إِنِّي
وَاللَّهِ أَمْرُؤُ أَخْشَى الدَّوَائِرِ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: هُمْ لَكَ.

وَقَدْ اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى
الْمَدِينَةِ أَثْنَاءَ حِصَارِ بَنِي قَيْنَقَاعٍ الَّذِي اسْتَمَرَ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً
بَشِيرَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ. وَقَدْ تَشَبَّثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنْ سُلُولٍ
بِبَنِي قَيْنَقَاعٍ، وَقَامَ دُونَهُمْ، وَمَشَى عِبَادَةُ بَنِ الصَّامِتِ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ لَهُ مِنْ حَلِفِهِمْ مِثْلُ
الَّذِي لَهُمْ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي، فَخَلَعَهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَبَرَّأَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِلَى رَسُولِ
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ حَلِفِهِمْ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ
اللَّهِ، أَتَوَلَّى اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَأَبْرَأُ مِنْ حَلْفِ هَؤُلَاءِ
الْكُفَّارِ وَلَا يَتِيهِمْ. وَفِي هَذَا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ، بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي

الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ . وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ . إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١١﴾ . وَأَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَنِي قَيْنُقَاعٍ مِنَ الْمَدِينَةِ .

وَشَهِدَ عُبَادَةُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَدْ حَضَرَ بَعْدَ بَدْرٍ ، أُحُدًا ، وَالْخَنْدَقَ ، وَصُلْحَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وَفَتْحَ خَيْبَرَ . . .

وَاسْتَعْمَلَهُ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَلَى جَبَايَةِ

الصَّدَقَاتِ، وَقَالَ لَهُ: اتَّقِ اللَّهَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ، اتَّقِ اللَّهَ، لَا
تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِبَعِيرٍ تَحْمِلُهُ لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةٌ لَهَا خَوَارٌ، أَوْ
شَاةٌ لَهَا ثَوَاجٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ؟ قَالَ:
إِي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ ذَلِكَ لِكَذَلِكَ، إِلَّا مَنْ رَجِمَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ، قَالَ: فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَعْمَلُ عَلَى اثْنَيْنِ أَبَدًا.
وَتُوَفِّي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَنْهُ
رَاضٍ.

فِي الشَّامِ:

خَرَجَ عَبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ مَعَ الْجِيُوشِ الْفَاتِحَةِ إِلَى الشَّامِ،
وَاسْتَقَرَّ هُنَاكَ. وَكَتَبَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ أَمِيرُ الشَّامِ إِلَى
عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا يَقُولُ فِيهِ: إِنَّ أَهْلَ
الشَّامِ بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ يُعَلِّمُهُمُ الْإِسْلَامَ، وَيُفَقِّهُهُمْ فِي الدِّينِ،
فَأَشَارَ عُمَرُ إِلَى يَزِيدَ بِأَنْ يَكُونَ الْمُرْشِدُونَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ،
وَعَبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، وَأَبَا الدَّرْدَاءِ.

وَلَّى أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ أَمِيرُ جِيُوشِ الشَّامِ عَبَادَةَ بْنَ
الصَّامِتِ إِمْرَةً حِمَصَ، ثُمَّ صَرَفَهُ إِلَى الْجِهَادِ فَفَتَحَ اللَّاذِقِيَّةَ،
وَجَبْلَةَ، وَأَنْطَرُطُوسَ (طَرُطُوسَ) سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ.

فِي مِصْرَ:

وَلَمَّا تُوَفِّي أَبُو عُبَيْدَةَ بِطَاعُونَ عَمَّوَسَ سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ
أَعَادَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى إِمْرَةٍ حِمَصَ ثَانِيَةً ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ
صَرَفَهُ إِلَى الْجِهَادِ حَيْثُ سِيرَهُ إِلَى مِصْرَ، لِأَنَّ عَمْرُو بْنَ
الْعَاصِ كَانَ قَدْ وَجَدَ فِي حِصْنِ بَابِلْيُونِ عَقَبَةً أَمَامَهُ، فَكَتَبَ
إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَمِدُّهُ، وَيَعْلِمُهُ بِذَلِكَ، فَأَمَدَّهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ
رَجُلٍ عَلَى كُلِّ أَلْفٍ رَجُلٍ مِنْهُمْ رَجُلٌ يَقُومُ مَقَامَ الْأَلْفِ:
الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَالْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرُو، وَعَبَادَةُ بْنُ
الصَّامِتِ، وَمَسْلَمَةُ بْنُ مُخَلَّدٍ، وَقِيلَ بَلْ خَارِجَةُ بْنُ حُذَافَةَ
بَدَلًا مِنْ مَسْلَمَةَ وَقَالَ عُمَرُ لَهُ: اْعْلَمْ أَنَّ مَعَكَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا،
وَلَنْ يُغْلِبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قَلِيلَةٍ. فَلَمَّا أَبْطَأَ الْفَتْحُ عَلَى أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ كَتَبَ إِلَى عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ،
أَمَّا بَعْدُ: فَقَدْ عَجِبْتُ لِابْطَأَائِكُمْ عَنْ فَتْحِ مِصْرَ، إِنَّكُمْ تُقَاتِلُونَهُمْ
مُنْذُ سَتَتَيْنِ؛ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا أَحَدَثْتُمْ وَأَحْبَبْتُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَا
أَحَبَّ عَدُوَّكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَنْصُرُ قَوْمًا إِلَّا بِصِدْقِ
نِيَّاتِهِمْ، وَقَدْ كُنْتُ وَجَّهْتُ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ، وَأَعْلَمْتُكَ أَنَّ الرَّجُلَ
مِنْهُمْ مَقَامَ أَلْفِ رَجُلٍ، عَلَى مَا كُنْتُ أَعْرِفُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ
غَيْرَهُمْ مَا غَيْرَهُمْ! فَإِذَا أَنَا كِتَابِي، فَاخْطُبِ النَّاسَ، وَحُضِّهِمْ

عَلَى قِتَالِ عَدُوِّهِمْ ، وَرَعَبُهُمْ فِي الصَّبْرِ وَالنِّيَّةِ ، وَقَدَّمَ أَوْلَيْكَ
الْأَرْبَعَةَ فِي صُدُورِ النَّاسِ ، وَمُرِ النَّاسَ جَمِيعاً أَنْ يَكُونَ لَهُمْ
صَدْمَةٌ كَصَدْمَةِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، وَلِيَكُنْ ذَلِكَ عِنْدَ الزَّوَالِ يَوْمَ
الْجُمُعَةِ ، فَإِنَّهَا سَاعَةٌ تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ فِيهَا ، وَوَقْتُ الْإِجَابَةِ ،
وَلِيُعْجِ النَّاسُ إِلَى اللَّهِ ، وَيَسْأَلُوهُ النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّهِمْ .

فَلَمَّا أَتَى عَمْرَأَ الْكِتَابَ ، جَمَعَ النَّاسَ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ
عُمَرَ ، ثُمَّ دَعَا أَوْلَيْكَ النَّفَرَ ، فَقَدَّمَهُمْ أَمَامَ النَّاسِ ، وَأَمَرَ النَّاسَ
أَنْ يَتَطَهَّرُوا ، وَيُصَلُّوا رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ يَرْغَبُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ،
وَيَسْأَلُوهُ النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّهِمْ ، فَفَعَلُوا فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ .

وَحِينَ حَاصَرَ الْمُسْلِمُونَ حِصْنَ بَابِلْيُونَ وَكَانَ قَوِيّاً وَفِيهِ
جَمَاعَةٌ مِنَ الرُّومِ يُدَافِعُونَ عَنْهُ بِجَانِبِ الْقِبْطِ ، وَالْقِبْطُ قَدْ
حَشَدُوا فِيهِ أَمْهَرَ فُرْسَانِهِمْ وَأَقْوَى أَبْطَالِهِمْ وَعَلَيْهِمُ الْمُقَوْسُ
حَاكِمٌ مِصْرَ ، إِذَا فَقَدْ تَأَخَّرَ الْفَتْحُ وَطَالَ الْحِصَارُ إِذْ دَامَ شَهْراً
كَامِلاً . وَلَمَّا رَأَى الْقِبْطُ عَزِيمَةَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْفَتْحِ
وَإِصْرَارِهِمْ عَلَى دُخُولِ الْحِصْنِ ، وَصَبْرِهِمْ عَلَى الْحِصَارِ
وَقُوَّتِهِمْ فِي الْجِلَادِ خَرَجَ الْمُقَوْسُ وَمَعَهُ أَكَابِرُ الْقِبْطِ مِنْ بَابِ
الْحِصْنِ الْقِبْلِيِّ ، وَتَرَكُوا بِهِ حَامِيَةً لِلدَّفَاعِ عَنْهُ ، وَالتَّجَوُّوا إِلَى
جَزِيرَةٍ فِي النَّيْلِ ، وَأَمَرُوا بِقَطْعِ الْجِسْرِ الَّذِي يَصِلُهَا بِالْبَرِّ ،

وَكَانَ النَّيْلُ فِي أَوْجِ فَيْضَانِهِ، وَكَانَ قَائِدُ حَامِيَةِ الْحِصْنِ مِنْ قِبَلِ الْمُقَوْسِ قَائِدٌ يَدْعَى «الْأَعْرَجُ» فَلَمَّا خَافَ مِنْ اقْتِحَامِ الْمُسْلِمِينَ الْحِصْنَ عَلَيْهِ، رَكِبَ هُوَ وَأَهْلُ الْقُوَّةِ وَالشَّرَفِ مِنْ أَتْبَاعِهِ السُّفْنِ الْمُلَصَّقَةَ بِالْحِصْنِ وَلَحِقُوا بِالْمُقَوْسِ فِي الْجَزِيرَةِ.

رَأَى الْمُقَوْسُ مُفَاوِضَةَ الْمُسْلِمِينَ، وَظَنَّ أَنَّهُ يُمْكِنُهُ تَحْوِيهِهُمْ فَيَقْبَلُونَ الصَّلَحَ، وَيَحْصِلُ عَلَى شُرُوطٍ أَفْضَلَ فَكَتَبَ إِلَى قَائِدِ الْمُسْلِمِينَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ كِتَابًا يَقُولُ فِيهِ: «إِنَّكُمْ قَدْ وَلَجْتُمْ فِي بِلَادِنَا، وَالْحَحْتُمْ عَلَى قِتَالِنَا، وَطَالَ مَقَامُكُمْ فِي أَرْضِنَا، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ عَصَبَةٌ يَسِيرَةٌ، وَقَدْ أَظْلَكُكُمْ الرُّومُ وَجَهَّزُوا إِلَيْكُمْ، وَمَعَهُمْ مِنَ الْعُدَّةِ وَالسَّلَاحِ، وَقَدْ أَحَاطَ بِكُمْ هَذَا النَّيْلُ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ أَسَارَى فِي أَيْدِينَا، فَأَرْسِلُوا إِلَيْنَا رِجَالًا مِنْكُمْ نَسْمَعُ مِنْ كَلَامِهِمْ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَأْتِيَ الْأَمْرُ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ عَلَى مَا تُحِبُّونَ وَنُحِبُّ، وَيَنْقَطِعُ عَنَّا وَعَنْكُمْ هَذَا الْقِتَالُ قَبْلَ أَنْ تَغْشَاكُمْ جُمُوعُ الرُّومِ، فَلَا يَنْفَعُنَا الْكَلَامُ، وَلَا يُقْدِرُ عَلَيْهِ. وَلَعَلَّكُمْ تَنْدُمُوا إِنْ كَانَ الْأَمْرُ مُخَالَفًا لِمَطْلَبِكُمْ وَرَجَائِكُمْ، فَابْعَثُوا إِلَيْنَا رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِكُمْ، نُعَايِلُهُمْ عَلَى مَا نَرْضَى نَحْنُ وَهُمْ بِهِ مِنْ شَيْءٍ».

وَصَلَتْ رُسُلُ الْمُقَوْسِ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ تَحْمِيلُ إِلَيْهِ
كِتَابَ سَيِّدِهَا، فَأَحَبَّ أَنْ يُبْقِيَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ لَيَرَوْا قُوَّتَهُمْ
وَيَعْرِفُوا طَاعَتَهُمْ، فَتَضَعَفَ مَعْنَوِيَّاتُ الْقِبْطِ فَاسْتَبْقَاهُمْ عِنْدَهُ
يَوْمَيْنِ كَامِلَيْنِ مَعَ لِيَالِيَهُمَا حَتَّى خَشِيَ الْمُقَوْسُ عَلَى رُسُلِهِ،
وَتَسَاءَلَ مَعَ نَفْسِهِ وَسَأَلَ أَصْحَابَهُ: «أَتَرُونَ أَنَّهُمْ يَقْتُلُونَ الرُّسُلَ
وَيَحْبِسُونَهُمْ، وَيَسْتَحِلُّونَ ذَلِكَ فِي دِينِهِمْ».

وَبَعْدَ يَوْمَيْنِ أَطْلَقَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ الرُّسُلَ وَمَعَهُمُ الرَّدُّ
إِلَى الْمُقَوْسِ وَفِيهِ: لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ سِوَى خِصَالِ ثَلَاثٍ
عَلَيْكُمْ اخْتِيَارَ إِحْدَاهَا.

١ - الدُّخُولُ فِي الْإِسْلَامِ، وَعِنْدَهَا تَكُونُونَ إِخْوَةً لَنَا، لَكُمْ مَا لَنَا
وَعَلَيْكُمْ مَا عَلَيْنَا.

٢ - إِنْ أَبَيْتُمْ الْإِسْلَامَ، عَلَيْكُمْ إِعْطَاءُ الْجِزْيَةِ عَنْ يَدٍ وَأَنْتُمْ
صَاغِرُونَ.

٣ - وَإِمَّا الْقِتَالُ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ.

وَقَدْ تَنَاسَى الْإِنْذَارَ أَوْ أَفْهَمَهُمْ بِهَذَا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَا يَهْتَمُّونَ
بِإِنْذَارٍ وَلَا يُبَالُونَ بِتَهْدِيدٍ فَهُمْ يَقَاتِلُونَ لِلَّهِ، وَيَطْلُبُونَ النَّصْرَ مِنْهُ
وَحْدَهُ، وَلَا يُبَالُونَ إِلَّا بِرِضَاةِ.

وَصَلَّتْ إِلَى الْمُقَوْسِ رُسُلُهُ فَاسْتَقْبَلَهُمْ بِسُرْعَةٍ وَسَأَلَهُمْ عَنْ
حَالَةِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالُوا: «رَأَيْنَا قَوْمًا الْمَوْتُ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ
الْحَيَاةِ، وَالتَّوَاضُّعُ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ الرَّفْعَةِ، لَيْسَ لِأَحَدِهِمْ فِي
الدُّنْيَا رَغْبَةٌ وَلَا نَهْمَةٌ، وَإِنَّمَا جُلُوسُهُمْ عَلَى التُّرَابِ، وَأَكْلُهُمْ
عَلَى رُكْبِهِمْ، وَأَمِيرُهُمْ كَوَاحِدٍ مِنْهُمْ، مَا يُعْرِفُ رَفِيعُهُمْ مِنْ
وَضِيعِهِمْ، وَلَا السَّيِّدُ فِيهِمْ مِنَ الْعَبْدِ. وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ لَمْ
يَتَخَلَّفْ عَنْهَا مِنْهُمْ أَحَدٌ، يَغْسِلُونَ أَطْرَافَهُمْ بِالْمَاءِ،
وَيَتَخَشَّعُونَ فِي صَلَاتِهِمْ».

وَكَانَ لِهَذَا الْوَصْفِ أَثَرُهُ فِي إِضْعَافِ مَعْنَوِيَّاتِ الْقَبْطِ إِذْ قَالَ
الْمُقَوْسُ بَعْدَ أَنْ سَمِعَ مَا سَمِعَ عَنْ حَالَةِ الْمُسْلِمِينَ: «وَالَّذِي
يُخَلَّفُ بِهِ، لَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ اسْتَقْبَلُوا الْجِبَالَ لَأَزَالُوهَا، وَلَا يَقْوَى
عَلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ أَحَدٌ، وَلَئِنْ لَمْ نَعْتَنِمْ صَلَاحَهُمُ الْيَوْمَ، وَهُمْ
مَحْصُورُونَ بِهَذَا النَّيْلِ، لَمْ يُجِيبُونَا بَعْدَ الْيَوْمِ إِذَا أُمَكَّتَهُمُ
الْأَرْضُ، وَقَفُوا عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ مَوْضِعِهِمْ». وَرَدَّ رُسُلُهُ إِلَى
عَمْرٍو وَطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يَقُولُوا لَهُ: ابْعَثْ إِلَيْنَا رُسُلًا مِنْكُمْ
نُعَامِلُهُمْ وَتَتَدَاعَى نَحْنُ وَهُمْ إِلَى مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ.

بَعَثَ عَمْرٍو بَنِي الْعَاصِ عَشْرَةَ رِجَالٍ عَلَيْهِمْ عِبَادَةُ بَنِي
الصَّامِتِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَكُونَ هُوَ مُتَكَلِّمَ الْقَوْمِ، وَأَلَّا يُجِيبَهُمْ إِلَى

شَيْءٍ دَعُوهُ إِلَّا إِلَىٰ إِحْدَى ثَلَاثٍ: الْإِسْلَامِ، أَوِ الْجَزِيرَةِ أَوِ الْقِتَالِ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ تَقَدَّمَ فِي ذَلِكَ إِلَيَّ، وَأَمَرَنِي أَلَّا أَقْبَلَ شَيْئًا سِوَىٰ خِصْلَةٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ خِصَالٍ.

رَكِبَ الْوَفْدُ السَّفِينَةَ، وَوَصَلَ إِلَى الْجَزِيرَةِ، وَدَخَلَ عَلَى الْمُقَوْقِسِ، وَتَقَدَّمَ عِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ لِيُكَلِّمَهُ فَهَابَهُ الْمُقَوْقِسُ بِسَوَادِهِ وَطُولِهِ، إِذْ كَانَ أَسْوَدَ يَقْرُبُ طُولُهُ مِنَ الْمِثْرَيْنِ، فَقَالَ الْمُقَوْقِسُ: نَحُوا عَنِّي هَذَا الْأَسْوَدَ، وَقَدِّمُوا غَيْرَهُ يُكَلِّمُنِي. فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الْأَسْوَدَ أَفْضَلُنَا رَأْيًا وَعِلْمًا، وَهُوَ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا، وَالْمُقَدَّمُ عَلَيْنَا، وَإِنَّا نَرْجِعُ جَمِيعًا إِلَى قَوْلِهِ وَرَأْيِهِ، وَقَدْ أَمَرَهُ الْأَمِيرُ دُونَنَا بِمَا أَمَرَهُ بِهِ، وَأَمَرْنَا أَلَّا نُحَالِفَ رَأْيَهُ وَقَوْلَهُ.

وَيَبْدُو أَنَّ الْمُقَوْقِسَ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ صُفُوفَ الْوَفْدِ أَوْ يَخْتَبِرَ بِنَفْسِهِ طَاعَتَهُمْ، فَقَالَ: وَكَيْفَ رَضِيتُمْ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْأَسْوَدُ أَفْضَلَكُمْ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ دُونَكُمْ؟ قَالُوا: كَلَّا! وَإِنْ كَانَ أَسْوَدَ كَمَا تَرَى، فَإِنَّهُ مِنْ أَفْضَلِنَا مَوْضِعًا وَأَفْضَلِنَا سَابِقَةً وَعَقْلًا وَرَأْيًا، وَلَيْسَ يُنْكَرُ السَّوَادُ فِينَا.

فَلَمَّا فَشِلَ الْمُقَوْقِسُ فِيمَا أَرَادَ قَالَ لِعِبَادَتِهِ: تَقَدَّمَ يَا أَسْوَدُ

وَكَلَّمَنِي بِرَفْقٍ ، فَإِنِّي أَهَابُ سَوَادَكَ ، وَإِنِ اشْتَدَّ عَلَيَّ كَلَامُكَ ،
أَرَدَدْتُ لَكَ هَيْبَةً .

تَقَدَّمَ عِبَادَةٌ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكَ ،
وَإِنَّ فِيمَنْ خَلَفْتُ مِنْ أَصْحَابِي أَلْفَ رَجُلٍ أَسْوَدُ كُلُّهُمْ مِثْلِي ،
وَأَشَدُّ سَوَادًا مِنِّي وَأَفْطَحُ مَنْظَرًا ، وَلَوْ رَأَيْتَهُمْ لَكُنْتُ أَهْيَبَ لَهُمْ
مِثِّي ، وَأَنَا قَدْ وَلَّيْتُ وَأَذْبَرْتُ شَبَابِي ، وَإِنِّي مَعَ ذَلِكَ بِحَمْدِ اللَّهِ مَا
أَهَابُ مِائَةَ رَجُلٍ مِنْ عَدُوِّي لَوْ اسْتَقْبَلُونِي جَمِيعًا ، وَكَذَا
أَصْحَابِي . وَذَلِكَ إِنَّمَا رَغَبْنَا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَاتَّبَاعَ
رِضْوَانِ اللَّهِ ، وَلَيْسَ غَزْوُنَا عَدُوَّنَا مِمَّنْ حَارَبَ اللَّهُ لِرَغْبَةٍ فِي
الدُّنْيَا ، وَلَا طَلَبًا لِلْاِسْتِكْثَارِ مِنْهَا ؛ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَحْلَلَ
ذَلِكَ لَنَا ، وَجَعَلَ مَا غَنِمْنَا مِنْ ذَلِكَ حَلَالًا ، وَمَا يُبَالِي أَحَدُنَا :
أَكَانَ لَهُ قِنْطَارٌ مِنْ ذَهَبٍ ، أَمْ كَانَ لَا يَمْلِكُ إِلَّا دِرْهَمًا ! لَأَنَّ غَايَةَ
أَحَدِنَا مِنَ الدُّنْيَا أَكْلُهَا يَأْكُلُهَا ، يَسُدُّ بِهَا جُوعَتَهُ ، وَشَمْلَةً
يَلْتَحِفُهَا ، فَإِنْ كَانَ لَا يَمْلِكُ إِلَّا ذَلِكَ كَفَاهُ ، وَإِنْ كَانَ لَهُ قِنْطَارٌ
مِنْ ذَهَبٍ أَتَفَقَّهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، وَاقْتَصَرَ عَلَى هَذَا الَّذِي بِيَدِهِ ،
لَأَنَّ نَعِيمَ الدُّنْيَا لَيْسَ بِنَعِيمٍ ، وَرَخَاءُهَا لَيْسَ بِرَخَاءٍ ، إِنَّمَا
النَّعِيمُ وَالرَّخَاءُ فِي الْآخِرَةِ ، وَبِذَلِكَ أَمَرَنَا رَبُّنَا ، وَأَمَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا ،
وَعَهْدُ إِلَيْنَا أَلَّا تَكُونَ هِمَّةُ أَحَدِنَا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا فِيمَا يُمْسِكُ

جَوَعَتُهُ، وَيَسْتُرُّ عَوْرَتَهُ، وَتَكُونُ هِمَّتُهُ وَشُغْلُهُ فِي رِضَا رَبِّهِ
وَجِهَادِ عَدُوِّهِ.

فَلَمَّا انْتَهَى عِبَادَةُ مِنْ كَلَامِهِ، قَالَ الْمُقَوْسُ لِمَنْ حَوْلَهُ: هَلْ
سَمِعْتُمْ مِثْلَ كَلَامِ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ! لَقَدْ هَبْتُ مِنْظَرَهُ، وَإِنْ قَوْلُهُ
عِنْدِي لِأَهْيَبُ مِنْ مَنْظَرِهِ، إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ أَخْرَجَهُمُ اللَّهُ
لِخَرَابِ الْأَرْضِ، وَمَا أَظُنُّ مَلِكَهُمْ إِلَّا سَيَغْلِبُ عَلَى الْأَرْضِ
كُلُّهَا.

وَعَادَ الْمُقَوْسُ إِلَى التَّهْدِيدِ بِصُورَةٍ هَادِئَةٍ بَعْدَ أَنْ اسْتَجْمَعَ
قَوَاهُ فَقَالَ لِعِبَادَةِ: أَيُّهَا الرَّجُلُ، قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَكَ، وَمَا ذَكَرْتَ
عَنْكَ وَعَنْ أَصْحَابِكَ، وَلَعَمْرِي مَا بَلَغْتُمْ إِلَّا بِمَا ذَكَرْتَ، وَلَا
ظَهَرْتُمْ عَلَى مَنْ ظَهَرْتُمْ عَلَيْهِ إِلَّا لِحُبِّهِمُ الدُّنْيَا وَرَغْبَتِهِمْ فِيهَا،
وَقَدْ تَوَجَّهَ إِلَيْنَا لِقِتَالِكُمْ مِنْ جَمْعِ الرُّومِ مَا لَا يُحْصَى عَدَدُهُ،
قَوْمٌ مَعْرُوفُونَ بِالنَّجْدَةِ وَالشَّدَةِ مِمَّنْ لَا يُبَالِي أَحَدُهُمْ مَنْ لَقِيَ
وَلَا مَنْ قَاتَلَ، وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَنْ تَقْوُوا عَلَيْهِمْ وَلَنْ تَطِيقُوهُمْ
لِضَعْفِكُمْ وَقَلَّتِكُمْ، وَقَدْ أَقَمْتُمْ بَيْنَ أَظْهَرِنَا أَشْهَرًا، وَأَنْتُمْ فِي
ضَيْقٍ وَشِدْوٍ فِي مَعَاشِكُمْ وَحَالِكُمْ، وَنَحْنُ نَرِيقُ عَلَيْكُمْ
لِضَعْفِكُمْ وَقَلَّتِكُمْ وَقَلَّةِ مَا بَأْيَدِيكُمْ، وَنَحْنُ تَطِيبُ أَنْفُسَنَا أَنْ
نُصَالِحَكُمْ عَلَى أَنْ نَفْرِضَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ دِينَارَيْنِ

دِينَارَيْنِ ، وَلَامِيرِكُمْ مِائَةَ دِينَارٍ ، وَلِخَلِيفَتِكُمْ أَلْفَ دِينَارٍ ،
فَتَقْبِضُونَهَا وَتَنْصَرِفُونَ إِلَى بِلَادِكُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْشَاكُمْ مَا لَا قُوَّةَ
لَكُمْ بِهِ .

فَقَالَ عُبَادَةُ: يَا هَذَا لَا تَغُرَّنْ نَفْسَكَ وَلَا أَصْحَابَكَ . أَمَّا مَا
تُخَوِّفُنَا بِهِ مِنْ جَمْعِ الرُّومِ وَعَدَدِهِمْ وَكَثْرَتِهِمْ ، وَأَنَا لَا نَقْوَى
عَلَيْهِمْ ، فَلَعَمْرِي مَا هَذَا الَّذِي تُخَوِّفُنَا بِهِ ، وَلَا بِالَّذِي يَكْسِرُنَا
عَمَّا نَحْنُ فِيهِ . إِنْ كَانَ مَا قُلْتُمْ حَقًّا فَذَلِكَ وَاللَّهِ أَرْغَبُ مَا يَكُونُ
فِي قِتَالِهِمْ ، وَأَشَدُّ لِحِرْصِنَا عَلَيْهِمْ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَعْذَرُ لَنَا عِنْدَ
رَبِّنَا إِذَا قَدِمْنَا عَلَيْهِ ، وَإِنْ قُتِلْنَا مِنْ آخِرِنَا كَانَ أَمَكْنَ لَنَا فِي
رِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَقْرُ لِأَعْيُنِنَا ، وَلَا أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ
ذَلِكَ ، وَإِنَّا مِنْكُمْ حِينَئِذٍ عَلَى إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ .

إِمَّا أَنْ تَعْظُمَ لَنَا بِذَلِكَ غَنِيمَةُ الدُّنْيَا إِنْ ظَفِرْنَا بِكُمْ ، أَوْ غَنِيمَةُ
الْآخِرَةِ إِنْ ظَفِرْتُمْ بِنَا ، وَإِنَّهَا لَأَحَبُّ الْخِصْلَتَيْنِ إِلَيْنَا بَعْدَ
الْاجْتِهَادِ مِنَّا ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لَنَا فِي كِتَابِهِ : ﴿ كُمْ مِنْ فِتْنَةٍ
قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ .

وَمَا مِنَّا رَجُلٌ إِلَّا وَهُوَ يَدْعُو رَبَّهُ صَبَاحًا مَسَاءً أَنْ يَرْزُقَهُ
الشَّهَادَةَ ، وَالْأَيُّ يَرُدُّ إِلَى بَلَدِهِ ، وَلَا إِلَى أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ ، وَلَيْسَ
لِأَحَدٍ مِنَّا هَمٌّ فِيمَا خَلْفَهُ ، وَقَدْ اسْتَوْدَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا رَبَّهُ أَهْلَهُ

وَوَلَدَهُ، وَإِنَّمَا هَمُّنَا مَا أَمَانَا.

وَأَمَّا قَوْلُكَ : إِنَّا فِي ضَيْقٍ وَشِدَّةٍ مِنْ مَعَاشِنَا وَحَالِنَا، فَنَحْنُ فِي أَوْسَعِ السَّعَةِ، لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا كُلُّهَا لَنَا مَا أَرَدْنَا لِأَنْفُسِنَا مِنْهَا أَكْثَرَ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ. فَانْظُرِ الَّذِي تُرِيدُ، فَبَيْنَهُ لَنَا، فَلَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ خِصْلَةٌ نَقْبَلُهَا مِنْكُمْ وَلَا نُجِيبُكَ إِلَيْهَا إِلَّا خِصْلَةٌ مِنْ ثَلَاثٍ، فَاخْتَرِ أَيُّهَا شِئْتَ، وَلَا تُطْمِعْ نَفْسَكَ فِي الْبَاطِلِ ؛ بِذَلِكَ أَمَرَنِي الْأَمِيرُ، وَبِهَا أَمَرَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَهُوَ عَهْدُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ قَبْلُ إِلَيْنَا.

أَمَّا إِنْ أَجَبْتُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ الَّذِي هُوَ الدِّينُ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ غَيْرَهُ، وَهُوَ دِينُ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَمَلَائِكَتِهِ، أَمَرْنَا اللَّهَ أَنْ نَقَاتِلَ مَنْ خَالَفَهُ وَرَغِبَ عَنْهُ حَتَّى يَدْخُلَ فِيهِ، فَإِنْ فَعَلَ كَانَ لَهُ مَا لَنَا وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْنَا، وَكَانَ أَخَانًا فِي دِينِ اللَّهِ، فَإِنْ قَبِلْتَ ذَلِكَ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ فَقَدْ سَعِدْتُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَرَجَعْنَا عَنْ قِتَالِكُمْ، وَلَمْ نَسْتَحِلَّ أَذَاكُمْ وَلَا التَّعَرُّضَ لَكُمْ.

وَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا الْجِزْيَةَ، فَأَدُّوا إِلَيْنَا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ، نَعْمَلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ نَرْضَى بِهِ نَحْنُ وَأَنْتُمْ فِي كُلِّ عَامٍ أَبَدًا مَا بَقِينَا وَبَقِيْتُمْ، وَنَقَاتِلُ عَنْكُمْ مَنْ نَاوَأَكُمْ وَعَرَضَ لَكُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ أَرْضِكُمْ وَدِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَنَقُومُ بِذَلِكَ عَنْكُمْ، إِذْ كُنْتُمْ

فِي ذِمَّتِنَا، وَكَانَ لَكُمْ بِهِ عَهْدُ اللَّهِ عَلَيْنَا.

وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِلَّا الْمُحَاكَمَةُ بِالسَّيْفِ حَتَّى نَمُوتَ عَنْ آخِرِنَا أَوْ نُصِيبَ مَا نُرِيدُ مِنْكُمْ.

هَذَا دِينُنَا الَّذِي نَدِينُ اللَّهَ تَعَالَى بِهِ، وَلَا يَجُوزُ لَنَا فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ غَيْرُهُ، فَانظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ. فَقَالَ الْمُقَوْسُ: هَذَا مِمَّا لَا يَكُونُ أَبَدًا، مَا تُرِيدُونَ إِلَّا أَنْ تَتَّخِذُونَا عِبِيدًا مَا كَانَتْ الدُّنْيَا. فَقَالَ عِبَادَةُ: هُوَ ذَاكَ، فَاخْتَرْنَا مَا شِئْتَ.

فَقَالَ الْمُقَوْسُ: أَفَلَا تُجِيبُونَا إِلَى خِصْلَةٍ غَيْرِ هَذِهِ الْخِصَالِ الثَّلَاثِ؟ فَرَفَعَ عِبَادَةُ يَدَيْهِ، وَقَالَ: لَا، وَرَبُّ السَّمَاءِ وَرَبُّ هَذِهِ الْأَرْضِ وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، مَا لَكُمْ عِنْدَنَا خِصْلَةٌ غَيْرُهَا، فَاخْتَارُوا لِأَنْفُسِكُمْ.

الْتَفَتَ الْمُقَوْسُ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى أَصْحَابِهِ، وَقَالَ: قَدْ فَرَغَ الْقَوْلُ فَمَا تَرَوْنَ؟ فَقَالُوا: أَوْ يَرْضَى أَحَدٌ بِهَذَا الدُّلُّ؟ أَمَّا مَا أَرَادُوا الدُّخُولَ فِي دِينِهِمْ؛ فَهَذَا لَا يَكُونُ أَبَدًا، وَلَا نَتْرُكُ دِينَ الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ، وَنَدْخُلُ فِي دِينٍ لَا نَعْرِفُهُ، وَأَمَّا مَا أَرَادُوا أَنْ يَسُبُّونَا وَيَجْعَلُونَا عِبِيدًا أَبَدًا، فَالْمَوْتُ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ؛ لَوْ رَضُوا أَنْ نُضَاعِفَ لَهُمْ مَا أَعْطَيْنَاهُمْ مِرَارًا، كَانَ أَهْوَنَ عَلَيْنَا.

فَقَالَ الْمُقَوِّسُ لِعِبَادَةِ: قَدْ أَبَى الْقَوْمُ، فَمَا تَرَى؟ فَرَاغَ صَاحِبُكَ، عَلَى أَنْ نُعْطِيَكُمْ فِي مَرَّتِكُمْ هَذِهِ مَا تَمْنَيْتُمْ وَتَنْصَرِفُونَ.

فَقَامَ عِبَادَةُ وَأَصْحَابُهُ.

فَقَالَ الْمُقَوِّسُ لِمَنْ حَوْلَهُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَطِيعُونِي، وَأَجِيبُوا الْقَوْمَ إِلَى خِصْلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ، فَوَاللَّهِ مَا لَكُمْ بِهِمْ طَاقَةٌ! وَإِنْ لَمْ تُجِيبُوا طَائِعِينَ لَتُجِيبَنَّهُمْ إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمَ مِنْهَا كَارِهِينَ.

فَقَالُوا: أَيُّ خِصْلَةٍ نُجِيبُهُمْ إِلَيْهَا؟

قَالَ: إِذَنْ أَخْبِرُكُمْ... أَمَّا دُخُولُكُمْ فِي غَيْرِ دِينِكُمْ، فَلَا أَمْرُكُمْ بِهِ؛ وَأَمَّا قِتَالُهُمْ فَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ، وَلَنْ تَصْبِرُوا صَبْرَهُمْ، وَلَا بُدَّ مِنَ الثَّالِثَةِ.

قَالُوا: فَتَكُونُ لَهُمْ عَبِيدًا أَبَدًا؟ قَالَ: نَعَمْ تَكُونُونَ عَبِيدًا مُسْلَطِينَ فِي بِلَادِكُمْ، آمِنِينَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَذَرَائِكُمْ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَمُوتُوا عَنْ آخِرِكُمْ، وَتَكُونُوا عَبِيدًا، وَتُبَاعُوا وَتَمَزَّقُوا فِي الْبِلَادِ مَسْتَبْعِدِينَ أَبَدًا، أَنْتُمْ وَأَهْلُوكُمْ وَذَرَائِكُمْ.

قَالُوا: فَالْمَوْتُ أَهْوَنُ عَلَيْنَا. وَأَمَرُوا بِقَطْعِ الْجِسْرِ بَيْنَ
الْجَزِيرَةِ وَالْبَرِّ، وَفِي الْحِصْنِ حِصْنٍ بَابِلْيُونِ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ مِنَ
الرُّومِ وَالْقِبْطِ.

وَاسْتَعَدَّ الْمُسْلِمُونَ لِلْقِتَالِ وَهَاجَمُوا الْحِصْنَ بِحِمَاسَةٍ
وَشَجَاعَةٍ فَتَمَكَّنُوا مِنْ فَتْحِهِ، وَقَدْ قَتَلُوا كَثِيرًا مِنْ أَعْدَائِهِمْ
وَأَسَرُّوا الْكَثِيرَ، ثُمَّ طَلَبَ الْمُقَوْسُ عَقْدَ صُلْحٍ مَعَ الْمُسْلِمِينَ،
فَتَمَّ الصُّلْحُ عَلَى فَرَضِ جَزْيَةٍ عَلَى السُّكَّانِ بِمُعَدَلٍ دِينَارَيْنِ
عَلَى الْفَرْدِ الْوَاحِدِ. وَبَقِيَتِ الْأَرْضُ بِيَدِ أَهْلِهَا، وَوُضِعَ الْخَرَجُ
عَلَى الْأَرْضِ، وَالْجَزْيَةُ عَلَى الْأَشْخَاصِ.

وَبَعْدَ أَنْ تَمَكَّنَ الْمُسْلِمُونَ فِي مِصْرَ وَجَّهَهُ عَمْرُو بْنُ
الْعَاصِ عَلَى رَأْسِ حَمَلَةٍ إِلَى الْإِسْكَندَرِيَّةِ فَتَمَّ لَهُ فَتْحُهَا.

الْعَوْدَةُ إِلَى الشَّامِ:

بَعْدَ فَتْحِ مِصْرَ رَجَعَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
إِلَى الشَّامِ، وَأَقَامَ فِي مَنَاطِقَ فِلَسْطِينَ، وَكَانَ أَوَّلَ قَاضٍ
فِيهَا، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَمِيرَ
الشَّامِ. وَكَانَ يَغْزُو بِلَادَ الرُّومِ بَيْنَ الْمُدَّةِ وَالْأُخْرَى، ثُمَّ بَنَى
أُسْطُولًا بَعْدَ أَنْ اسْتَشَارَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُ، وَبَدَأَ يُنْزِلُ الرُّومَ بَحْرًا، وَكَانَ أَوَّلَ غَزْوَةٍ لَهُ غَزْوُ قَبْرِصَ عَامَ ٢٧، وَكَانَ الْغَزْوُ اخْتِيَارِيًّا، فَتَطَوَّعَ فِيهِ فِيمَنْ تَطَوَّعَ عِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، وَكَانَتْ مَعَهُ زَوْجُهُ أُمُّ حَرَامٍ، وَقَدْ تُوفِّيتُ هُنَاكَ بَعْدَ أَنْ وَقَعَتْ عَنْ دَابَّتَيْهَا، وَدُفِنَتْ فِي جَزِيرَةِ قَبْرِصَ.

وَرَجَعَ عِبَادَةُ مِنَ الْجِهَادِ فَأَقَامَ بِالرَّمْلَةِ بِفِلَسْطِينَ وَبَقِيَ فِيهَا حَتَّى تُوفِّيَ عَامَ ٣٤ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَإِمْرَةِ مُعَاوِيَةَ عَلَى الشَّامِ، وَدُفِنَ هُنَاكَ. وَتَقُولُ بَعْضُ الرُّوَايَاتِ أَنَّهُ دُفِنَ فِي الْقُدْسِ، وَبَعْضُهَا تَجْعَلُ وَفَاتَهُ عَامَ ٤٥ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ، وَبَعْضُهَا الْآخَرُ يَجْعَلُ وَفَاتَهُ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ.

فِي الْقِتَالِ :

كَانَ انْضِمَامُ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ إِلَى جَيْشٍ مِنْ جُيُوشِ الْفَتْحِ كَفِيلًا بِزِيَادَةِ مَعْنَوِيَّاتِهِ، إِذْ كَانَ يَتَقَدَّمُ الْمُقَاتِلِينَ، وَيَنْطَلِقُ كَالسَّهْمِ، لَا يُبَالِي بِأَيِّ عَدُوٍّ أَمَامَهُ، وَكَانَ طَوْلُهُ يُسَاعِدُهُ لِيَنَالَ مِنْ خُصُومِهِ قَبْلَ أَنْ يَنَالُوا مِنْهُ هَذَا إِضَافَةً إِلَى شَجَاعَتِهِ، وَطَلَبِهِ لِلشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَشْتَرِكُ فِي هَذِهِ الْمِيزَةِ كَثِيرٌ مِنْ جُنْدِ الْإِسْلَامِ.

وَيُمْكِنُ أَنْ نُضِيفَ إِلَى ذَلِكَ عَدَمَ التَّفَاتِهِ إِلَى الْغَنَائِمِ مَهْمَا

كَثُرَتْ، وَلَا يُبَالِي بِمَا يُخْلِفُهُ الْأَعْدَاءُ مَهْمَا عَظُمَ، فَيَرَوِي أَنَّهُ
كَانَ يُصَلِّيْ أُنْثَاءَ حِصَارِ حِصْنِ بَابِلْيُونَ فِي مِصْرَ، وَفَرَسُهُ
عِنْدَهُ، فَرَأَهُ قَوْمٌ مِنَ الرُّومِ فَطَمِعُوا فِيهِ فَخَرَجُوا إِلَيْهِ، وَعَلَيْهِمْ
حُلِيَّةٌ وَبِزَّةٌ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ، سَلَّمَ مِنَ الصَّلَاةِ، وَوَثَبَ عَلَى
فَرَسِهِ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْهُ وَلُّوا هَارِبِينَ فَتَبِعَهُمْ،
فَجَعَلُوا يُلْقُونَ مَنَاطِقَهُمْ وَمَتَاعَهُمْ لِيُشْغِلُوهُ بِذَلِكَ عَنْ طَلِبِهِمْ؛
فَصَارَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ حَتَّى دَخَلُوا إِلَى الْحِصْنِ، وَرُمِيَ عُبَادَةُ مِنْ
فَوْقِ الْحِصْنِ بِالْحِجَارَةِ، فَرَجَعَ وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِشَيْءٍ مِمَّا طَرَحُوهُ
مِنْ مَتَاعِهِمْ، حَتَّى رَجَعَ إِلَى مَوْضِعِهِ الَّذِي كَانَ فِيهِ، فَاسْتَقْبَلَ
الصَّلَاةَ، وَخَرَجَ الرُّومُ إِلَى مَتَاعِهِمْ فَجَمَعُوهُ.

مِنْ مَوَاقِفِهِ :

١ - غَزَا عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ مَعَ مُعَاوِيَةَ أَرْضَ الرُّومِ، فَنَظَرَ
إِلَى النَّاسِ، وَهُمْ يَتَّبِعُونَ كِسْرَ الذَّهَبِ بِالدَّنَانِيرِ،
وَكِسْرَ الْفِضَّةِ بِالدَّرَاهِمِ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ
تَأْكُلُونَ الرِّبَا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، يَقُولُ: (لَا تَبْتَاعُوا الذَّهَبَ بِالدَّهَبِ إِلَّا مِثْلًا
بِمِثْلٍ، لَا زِيَادَةَ بَيْنَهُمَا، وَلَا نِظْرَةَ)، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ:
يَا أَبَا الْوَلِيدِ، لَا أَرَى الرِّبَا فِي هَذَا إِلَّا مَا كَانَ مِنْ

نَظْرَةً. فَقَالَ عُبَادَةُ: أَحَدْتُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَحَدَّثَنِي عَنْ رَأْيِكَ! لَيْسَ أَخْرَجَنِي
اللَّهُ لَا أَسَاكَتَكَ بِأَرْضٍ لَكَ عَلَيَّ فِيهَا إِمْرَةٌ.

وَرَجَعَ عُبَادَةُ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ: مَا أَقْدَمَكَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ فَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ
وَمَا قَالَ مِنْ مُسَاكَتِهِ. فَقَالَ لَهُ: ارْجِعْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ إِلَى
أَرْضِكَ، فَتَبَحَّ اللَّهُ أَرْضاً لَسْتَ فِيهَا وَأَمْثَالُكَ. وَكَتَبَ
عُمَرُ إِلَى مُعَاوِيَةَ: لَا إِمْرَةَ لَكَ عَلَيْهِ، وَاحْمِلِ النَّاسَ
عَلَى مَا قَالَ، فَإِنَّهُ هُوَ الْأَمْرُ.

٢ - خَطَبَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَذَكَرَ
الْفِرَارَ مِنَ الطَّاعُونَ^(١) فِي خُطْبَتِهِ، فَقَالَ لَهُ عُبَادَةُ: أُمُّكَ هِنْدُ
أَعْلَمُ مِنْكَ، فَاتَمَّ مُعَاوِيَةُ خُطْبَتَهُ، ثُمَّ صَلَّى، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى
عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ: أَلَمْ تَتَّقِ اللَّهَ وَتَسْتَحِجِ إِمَامَكَ؟ فَقَالَ
عُبَادَةُ: أَلَيْسَ قَدْ عَلِمْتَ أَنِّي بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى

(١) حديث الطاعون: قال عبد الرحمن بن عوف: سمعت رسول الله، صلى
الله عليه وسلم، يقول: (إذا سمعتم به بأرض فلا تقدّموا عليه، وإذا وقع
بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه). رواه البخاري، ومسلم،
وأخرجه أبو داود، ومالك في الموطأ. وكذا روي عن أسامة بن زيد،
وأخرجه البخاري، ومسلم، والترمذي، والطبراني.

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، أَنِّي لَا أَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً
لَايَمَ؟.

ثُمَّ خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عِنْدَ الْعَصْرِ، فَصَلَّى الْعَصْرَ، ثُمَّ أَخَذَ
بِقَائِمَةِ الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ: إِنِّي قَدْ ذَكَرْتُ لَكُمْ
حَدِيثًا عَلَى الْمِنْبَرِ، فَدَخَلْتُ الْبَيْتَ، فَإِذَا الْحَدِيثُ كَمَا
حَدَّثَنِي عِبَادَةُ، فَاقْتَبَسُوا مِنْهُ فَهُوَ أَفْقَهُ مِنِّي ^(١).

رَوَاتُهُ لِلْحَدِيثِ:

رَوَى لَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مائةُ
وَوَاحِدٍ وَثَمَانُونَ حَدِيثًا، اتَّفَقَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْهَا عَلَى سِتَّةٍ،
وَانْفَرَدَ الْبُخَارِيُّ بِحَدِيثَيْنِ، وَمُسْلِمٌ بِآخَرَيْنِ. وَرَوَى أَكْثَرُ
الْأَحَادِيثِ عَنْهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ.

رَوَى عَنْهُ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَأَبُو أَمَامَةَ
الْبَاهِلِيُّ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَفَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ، وَأَبُو أَبِي بَنْ
أُمِّ حَرَامٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو.

وَرَوَى عَنْهُ مِنَ التَّابِعِينَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ، وَأَبُو مُسْلِمٍ
الْخَوْلَانِيُّ، وَجَنَادَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، وَأَبُو الْأَشْعَثُ الصَّنْعَانِيُّ،

(١) تهذيب ابن عساکر.

وَجَبْرِ بْنُ نَضِيرِ الْحَضْرَمِيِّ الْحِمَصِيِّ، وَحَطَّانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
الرَّقَاشِيِّ الْبَصْرِيِّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُسَيْلَةَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
الصَّنَابِجِيُّ، وَعَطَاءُ بْنُ يَسَارِ الْمَدَنِيِّ وَغَيْرُهُمْ، وَمِنْهُمْ أَوْلَادُهُ
الْوَلِيدُ، وَعَبْدُ اللَّهِ، وَدَاوُدُ.

نِسَاؤُهُ وَأَوْلَادُهُ:

تَزَوَّجَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ امْرَأَتَيْنِ أَنْجَبَتْ لَهُ عِدَّةَ أَوْلَادٍ،
فَقَدْ تَزَوَّجَ:

١ - جَمِيلَةَ بِنْتِ أَبِي صَعْصَعَةَ، وَأَبُو صَعْصَعَةَ: هُوَ عَمْرُو بْنُ
زَيْدِ بْنِ عَوْفٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، وَقَدْ أَسْلَمَتْ جَمِيلَةُ،
وَبَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْجَبَتْ
لِعُبَادَةَ الْوَلِيدَ فِي أَوَاخِرِ عَهْدِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ.

وَخَلَفَ عُبَادَةَ عَلَيْهَا الرَّبِيعُ بْنُ سُرَاقَةَ بْنِ عَمْرٍو
الْخَزْرَجِيُّ الْأَنْصَارِيُّ فَوَلَدَتْ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ، وَمُحَمَّدًا،
وَبُثَيْنَةَ. وَبَعْدَ سُرَاقَةَ تَزَوَّجَهَا خُلْدَةُ بْنُ أَبِي خَالِدِ بْنِ
قَيْسِ بْنِ خَالِدِ الْخَزْرَجِيِّ الْأَنْصَارِيِّ.

٢ - أُمُّ حَرَامٍ بِنْتُ مَلْحَانَ بْنِ خَالِدٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ مِنْ

الْخَزْرَجِ ، وَقَدْ أَسْلَمَتْ وَبَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأُنْجِبَتْ لِعِبَادَةِ مُحَمَّدًا . وَكَانَ قَدْ تَزَوَّجَهَا عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ بْنِ زَيْدٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ ، فَأُنْجِبَتْ لَهُ قَيْسًا وَعَبْدَ اللَّهِ ، وَذَلِكَ قَبْلَ زَوَاجِ عِبَادَةَ بِهَا .

وَأُمُّ حَرَامٍ خَالَةُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ رَوَى عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : قَالَ (١) رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي بَيْتِي فَاسْتَيْقِظَ وَهُوَ يَضْحَكُ ، قَالَتْ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ : نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ هَذَا الْبَحْرَ كَالْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِيرَةِ ، قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ . قَالَ : أَنْتِ مِنْهُمْ ، قَالَتْ : ثُمَّ قَالَ فَاسْتَيْقِظَ وَهُوَ يَضْحَكُ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ : نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ هَذَا الْبَحْرَ كَالْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِيرَةِ ، قَالَتْ : ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، قَالَ : أَنْتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ . فَغَزَتْ مَعَ زَوْجِهَا عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قُبْرُصَ فَوْقَ قِصَّتِهَا رَاحِلَتَهَا فَمَاتَتْ ، وَدُفِنَتْ فِي قُبْرُصَ .

وَمِنْ أَوْلَادِهِ عَبْدُ اللَّهِ وَدَاوُدُ مِنْ أُمَّهَاتِ أَوْلَادِهِ .

(١) قال يعقيل قيلولة : نام في الظهيرة .

إِخْوَتُهُ :

لَهُ مِنَ الْإِخْوَةِ الْأَشِقَاءِ أَوْسُ بْنُ الصَّامِتِ ، وَهُوَ الَّذِي تَزَوَّجَ خَوْلَةَ بِنْتَ ثَعْلَبَةَ ، وَاخْتَلَفَتْ مَعَهُ فَظَاهَرَمِنْهَا فَاشْتَكَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ، وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ، وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ - من سورة المجادلة - .

وَخَوْلَةُ بِنْتُ الصَّامِتِ : وَأَسْلَمَتْ وَبَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَزَوَّجَهَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَزِيدُ بْنُ ثَعْلَبَةَ مِنْ بِلْيَ فَوَلَدَتْ لَهُ عَامِراً وَأُمَّ عُثْمَانَ .

بُناة دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ

- ٢٤ -

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَمَيَّعُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ إِلَى بَنِي الْحَارِثِ أَحَدِ بَطُونِ
الْخَزَرَجِ الْمَعْرُوفِينَ، وَتَعَدُّ أَسْرَتُهُ مِنْ أَهْلِ الْوَجَاهَةِ فِي
يَثْرِبَ. وَأُمُّهُ خَزْرَجِيَّةٌ أَيْضًا، وَهِيَ كَبْشَةُ بِنْتُ وَاقِدٍ يَلْتَقِي نَسَبُهَا
بِنَسَبِهِ فِي الْجَدِّ الْخَامِسِ.

نَشَأَ عَبْدُ اللَّهِ فِي بَيْتٍ عِزٍّ فَتَعَلَّمَ الْكِتَابَةَ، وَهِيَ قَلِيلَةٌ
يَوْمَئِذٍ، وَنَظَّمَ الشُّعْرَ وَوَصَلَ إِلَى مَرْتَبَةٍ فِيهِ حَتَّى غَدَا شَاعِرَ
الْخَزَرَجِ يُدَافِعُ عَنْهُمْ. وَكَانَتْ وَقَائِعُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِهِمْ
الْأَوْسِ الَّذِينَ يُمَثِّلُهُمْ فِي الشُّعْرِ قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ، فَكَانَ كُلُّ
مِنْهُمَا يُنَاقِضُ الْآخَرَ فِي شِعْرِهِ وَيَرُدُّ بَعْضُهُمَا عَلَى بَعْضٍ،
وَيَتَغَزَّلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِأُخْتِ الْآخَرِ، فَعَبْدُ اللَّهِ يَتَغَزَّلُ
بِ (لَيْلَى) أُخْتِ قَيْسٍ، وَقَيْسُ يَتَغَزَّلُ بِ (عَمْرَةَ) أُخْتِ عَبْدِ اللَّهِ.

إِسْلَامُهُ :

وَانْتَشَرَ الْإِسْلَامُ فِي الْمَدِينَةِ بَيْنَ أَوْسِيهَا وَخَزْرَجِيهَا بَعْدَ أَنْ

التَّقَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِبَعْضِ أَفْرَادٍ مِنَ
الْخَزْرَجِ فِي مَوْسِمِ السَّنَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ لِلْبُعْثَةِ، وَلَمَّا عَادَ
هَؤُلَاءِ الْأَفْرَادُ إِلَى مَدِينَتِهِمْ بَدَّوْا يَدْعُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَفِي
مَوْسِمِ السَّنَةِ التَّالِيَةِ كَانَتْ بَيْعَةُ الْعُقَبَةِ الْأُولَى بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْأَنْصَارِ، وَعِنْدَمَا رَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ
كَانَ مَعَهُمْ مُصَنَّبُ بْنُ عُمَيْرٍ لِيُقْرِئَهُمُ الْقُرْآنَ، وَيُعَلِّمَهُمُ
الْإِسْلَامَ، وَيُفَقِّهُهُمْ فِي الدِّينِ، فَكَثُرَ عَدَدُ الَّذِينَ اعْتَنَقُوا
الْإِسْلَامَ سِوَاءَ أَكَانُوا مِنَ الْأَوْسِ أَمْ مِنَ الْخَزْرَجِ، وَانْتَهَتْ
الْوَقَائِعُ بَيْنَ الْحَيِّينِ الْمُتَنَافِسِينَ، وَأَصْبَحُوا إِخْوَةً فِي اللَّهِ،
فَقَدْ أَسْلَمَتْ لَيْلَى بِنْتُ الْخَطِيمِ أُخْتُ قَيْسٍ، وَكَانَتْ أَوَّلَ
امْرَأَةٍ بَايَعَهَا النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَهَا ابْنَتَاهَا
وَابْنَتَانِ لِابْنَتَيْهَا، وَوَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
كَمَا أَسْلَمَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ شَقِيقَةُ عَبْدِ اللَّهِ، وَكَانَتْ قَدْ
تَزَوَّجَتْ بِشِيرَ بْنَ سَعْدٍ الَّذِي أَسْلَمَ، وَهِيَ أُمُّ النَّعْمَانِ بْنِ
بَشِيرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وَأَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ وَارْتَحَلَ إِلَى
الْمَوْسِمِ لِيَلْتَقِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ
بَيْعَةُ الْعُقَبَةِ الثَّانِيَةِ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
وَالْأَنْصَارِ، وَقَدْ طَلَبَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنَ
الْأَنْصَارِ أَنْ يَخْتَارُوا مِنْ بَيْنِهِمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا، فَكَانَ أَنْ

اخْتَارُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ بَيْنَ النُّبَاءِ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ
وَسَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ.

بَدَأَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي مَكَّةَ
يُهَاجِرُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ بِنَاءً عَلَى تَوْجِيهَاتِ رَسُولِهِمُ الْكَرِيمِ
عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، وَأَخِيرًا هَاجَرَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَآخَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَآخَى بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
رَوَاحَةَ وَالْمِقْدَادِ بْنِ عَمْرٍو، وَكِلَاهُمَا بَطْلٌ مَعْرُوفٌ، وَفَارِسٌ
مَشْهُورٌ. فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ إِلَى رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ كَانَ مِنْ كُتَبَةِ الْوَحْيِ، وَمِنْ شُعَرَاءِ
الدَّعْوَةِ. وَعَاشَ عَبْدُ اللَّهِ سَعِيدًا لِقُرْبِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فِي بَدْرٍ:

وَخَرَجَ الْمُسْلِمُونَ بِقِيَادَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، مِنَ الْمَدِينَةِ يُرِيدُونَ عِيرَ أَبِي سُفْيَانَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُرِيدُ
أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ فَقَدْ نَجَتِ الْعِيرُ، وَهَبَّ أَهْلُ
مَكَّةَ يُرِيدُونَ إِنْقَازَ قَافِلَتِهِمْ، وَالتَّقَى الْجَمْعَانِ وَلَا تَكَافَوْا بَيْنَهُمَا
فِي مِيزَانِ قُوَى الْأَرْضِ، وَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، يُنَاشِدُ رَبَّهُ فِي الْعَرِيشِ الَّذِي بُنِيَ لَهُ، وَيَقُولُ فِيمَا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ الْيَوْمَ لَا تُعْبَدُ، وَأَبُو بَكْرٍ يَقُولُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ: بَعْضُ مُنَاشِدَتِكَ رَبِّكَ، فَإِنَّ اللَّهَ مُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ. وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ جَرِيئًا يَغْلِي إِيْمَانًا وَثَقَّةً بِاللَّهِ تَعَالَى، فَلَمْ يَتَمَالِكْ نَفْسَهُ أَنْ يَقُولَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَشِيرُ عَلَيْكَ إِنَّ اللَّهَ أَجَلٌ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُشَدَّ وَعْدُهُ. فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا ابْنَ رَوَاحَةَ، أَلَا أَتَشُدُّ اللَّهَ وَعْدَهُ؟ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ) ^(١).

وَبَدَأَ الْقِتَالُ بِالْمُبَارَاةِ، وَخَرَجَ مِنْ جِهَةِ الْمُشْرِكِينَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ بَيْنَ أَخِيهِ شَيْبَةَ وَوَلَدِهِ الْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَهَبَّ مِنْ جِهَةِ الْمُسْلِمِينَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، وَعَوْفُ وَمُعَوِّذُ ابْنَا الْحَارِثِ وَأُمُهُمَا عَفْرَاءُ. فَقَالَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَقَالُوا: رَهْطٌ مِنَ الْأَنْصَارِ؛ قَالَ: مَا لَنَا بِكُمْ مِنْ حَاجَةٍ. ثُمَّ نَادَى مُنَادِيَهُمْ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْرِجْ إِلَيْنَا أَكْفَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُمْ يَا عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ، وَقُمْ يَا حَمْزَةُ، وَقُمْ يَا عَلِيٌّ، فَخَرَجَ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَعَرَفُوا أَنْفُسَهُمْ، فَقَالَ عُتْبَةُ: نَعَمْ أَكْفَاءُ كِرَامٍ. وَالتَحَمَّ الْمُبَارِزُونَ،

(١) الإمتاع: ص ٨٤.

وَصَرَّعُ الْمُشْرِكُونَ الثَّلَاثَةَ، وَتَزَا حَفَ النَّاسُ وَدَنَا بَعْضُهُمْ مِنْ
بَعْضٍ، وَمَا هِيَ إِلَّا سُيُوعَاتٍ حَتَّى انْجَلَتْ الْمَعْرَكَةُ وَخَلَفَ
الْمُشْرِكُونَ وَرَاءَهُمْ سَبْعِينَ مِنَ الْقَتْلَى، وَوَقَعَ مِثْلُهُمْ أُسْرَى بِيَدِ
الْمُسْلِمِينَ، وَهَزِمَ الْجَمْعُ وَوَلُّوا الدُّبْرَ، وَنَصَرَ اللَّهُ عِبَادَهُ
الْمُؤْمِنِينَ. وَسَاقَ الْمُسْلِمُونَ الْأُسْرَى أَمَامَهُمْ مُوثَّقِينَ. وَبَعَثَ
رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ
وَزَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ يُبَشِّرَانِ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِنَصْرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا فَتَحَ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَسَارَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى أَهْلِ الْعَالِيَةِ فَنَادَى فِيهِمْ: يَا
مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَبَشِّرُوا بِسَلَامَةِ رَسُولِ اللَّهِ، وَقَتْلِ الْمُشْرِكِينَ
وَأُسْرِهِمْ، ثُمَّ اتَّبَعَ دُورَ الْأَنْصَارِ فَبَشَّرَهُمْ وَهُمْ: بَنُو عَمْرِو بْنِ
عَوْفٍ، وَخُطَمَةَ، وَوَائِلُ. وَقَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ عَلَى نَاقَةٍ
الرَّسُولِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْقَصْوَاءِ يُبَشِّرُ أَهْلَ السَّافِلَةِ.

وَلَمَّا جِيءَ بِالْأُسْرَى الْمُشْرِكِينَ، سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعْضَ الصَّحَابَةِ، وَمِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ،
وَعَلِيٌّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ، فَقَالَ:
(مَا تَقُولُونَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسَارَى؟). فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ
اللَّهِ، قَوْمُكَ وَأَهْلُكَ، اسْتَبَقَهُمْ وَاسْتَبَقَهُمْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتُوبَ
عَلَيْهِمْ. وَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَذَّبُوكَ وَأَخْرَجُوكَ،

فَقَدَّمَهُمْ وَاضْرِبْ أَعْنَاقَهُمْ. وَكَانَ جَوَابُ عَلِيٍّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ قَرِيبًا مِنْ إِجَابَةِ عُمَرَ. أَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَقَدْ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْتَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْحَطَبِ فَأَضْرِمِ الْوَادِي عَلَيْهِمْ نَارًا ثُمَّ أَلْقِهِمْ فِيهِ. وَقَدْ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِجَوَابِ أَبِي بَكْرٍ إِذْ قَبِلَ الْفِدَاءَ مِنَ الْأَسْرَى.

فِي أَحُدٍ:

وَاسْتَدَارَ الْعَامُ، وَكَانَتْ غَزْوَةُ أَحُدٍ، وَقَاتَلَ فِيهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ قِتَالًا عَظِيمًا، وَكَانَتْ ابْتِلَاءً لِلْمُسْلِمِينَ إِذْ فَقَدُوا فِي مَيْدَانِ الْمَعْرَكَةِ شُهَدَاءَ كِرَامًا كَانَ مِنْهُمْ عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْحَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَشَجَّ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكُلِمَتْ شَفَتُهُ، وَأُصِيبَتْ رُبَاعِيَّتُهُ إِذْ وَقَعَ لِشِقِّهِ، وَدَخَلَتْ حَلَقَتَانِ مِنْ حَلْقِ الْمِغْفَرِ فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ، وَوَقَعَ فِي حُفْرَةٍ مِنَ الْحُفْرِ الَّتِي عَمِلَ أَبُو عَامِرٍ لِيَقَعَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ.

وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَلْتَمِسُ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَوَجَدَهُ يَبْطِنُ الْوَادِي قَدْ بُقِرَ بَطْنُهُ عَنْ كَبِدِهِ، وَمِثْلَ بِهِ، فَجُدِعَ أَنْفُهُ وَأُذُنَاهُ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَقَالَ: (لَنْ

أَصَابَ بِمِثْلِكَ أَبَدًا! مَا وَقَفْتُ مَوْفَقًا قَطُّ أُعْطِيَ إِلَيَّ مِنْ هَذَا!) ثُمَّ قَالَ: (جَاءَنِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَكْتُوبٌ فِي أَهْلِ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ: حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَسَدُ اللَّهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ).

وَمَرَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَائِدٌ إِلَى الْمَدِينَةِ بِدَارٍ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ وَظَفَرٍ، فَسَمِعَ الْبُكَاءَ وَالنَّوَائِحَ عَلَى قَتْلَاهُمْ، فَذَرَفَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَكَى، ثُمَّ قَالَ: لَكِنَّ حَمْزَةَ لَا بَوَاكِي لَهُ، فَلَمَّا رَجَعَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ إِلَى دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ أَمَرَا نِسَاءَهُمْ أَنْ يَتَحَزَّمْنَ، ثُمَّ يَذْهَبْنَ فَيُبْكِينَ عَلَى عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بُكَاءَهُنَّ عَلَى حَمْزَةَ خَرَجَ عَلَيْهِنَّ وَهُنَّ عَلَى بَابِ مَسْجِدِهِ يُبْكِينَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: ارْجِعْنَ يَرْحَمَكُنَّ اللَّهُ، فَقَدْ آسَيْتُنَّ بِأَنْفُسِكُنَّ. رَحِمَ اللَّهُ الْأَنْصَارَ فَإِنَّ الْمُوَاسَاةَ مِنْهُمْ مَا عَتِمَتْ لَقْدِيمَةٌ، مُرُوهُنَّ فَلْيَنْصَرِفْنَ. ثُمَّ نَهَى عَنِ النَّوْحِ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ قَدْ جَاءَ بِنِسَاءِ بَنِي الْحَارِثِ، وَلَكِنَّ النَّهْيَ كَانَ قَدْ وَقَعَ فَلَمْ يَشْتَرِكُنَ فِيهِ. وَرَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الْحَمْزَةَ بِقَصِيدَةٍ رَائِعَةٍ فَقَالَ:

بَكَتْ عَيْنِي وَحَقَّ لَهَا بُكَاهَا
وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ أَوْ الْعَوِيلُ
عَلَى أَسَدِ الْإِلَهِ غَدَاةَ قَالُوا
أَحْمَزَةُ ذَاكُمُ الرَّجُلُ الْقَتِيلُ
أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ جَمِيعاً
هُنَاكَ، وَقَدْ أُصِيبَ بِهِ الرَّسُولُ
أَبَا يَعْلَى لَكَ الْأَرْكَانُ هُدَّتْ
وَأَنْتَ الْمَاجِدُ الْبَرُّ الْوَصُولُ
عَلَيْكَ سَلَامُ رَبِّكَ فِي جَنَانٍ
مُخَالِطُهَا نَعِيمٌ لَا يَزُولُ
أَلَا يَا هَاشِمَ الْأَخْيَارِ صَبْرًا
فَكُلُُّ فِعَالِكُمُ حَسَنٌ جَمِيلُ
رَسُولُ اللَّهِ مُصْطَبِرٌ كَرِيمُ
بِأَمْرِ اللَّهِ يَنْطِقُ إِذْ يَقُولُ
أَلَا مَنْ مَبْلَغُ عَنِّي لَوْيًّا
فَبَعْدَ الْيَوْمِ دَائِلَةٌ تَذُولُ
وَقَبْلَ الْيَوْمِ مَا عَرَفُوا وَذَاقُوا
وَقَائِعَنَا بِهَا يُشْفَى الْغَلِيلُ

نَسِيئُكُمْ ضَرْبَنَا بَقْلَيْبِ بَدْرِ
غَدَاةُ أَتَاكُمْ الْمَوْتُ الْعَجِيلُ
غَدَاةُ ثَوَى أَبُو جَهْلٍ صَرِيحاً
عَلَيْهِ الطَّيْرُ حَائِمَةٌ تَجُولُ
وَعُتْبَةُ وَابْنُهُ خَرَا جَمِيعاً
وَشَيْبَةُ عَضَّهُ السَّيْفُ الصَّقِيلُ
وَمَتْرِكُنَا أُمِيَّةٌ مُجْلَعِباً^(١)
وَفِي حِزْوِمِهِ^(٢) لَدُنْ^(٣) نَبِيلُ
وَهَامَ بَنُو رَبِيعَةَ سَائِلُوهَا
فَفِي أَسْيَافِنَا مِنْهَا فُلُولُ
أَلَا يَا هِنْدُ لَا تُبْدِي شِمَاتاً
بِحَمْزَةٍ إِنَّ عِزَّكُمْ ذَلِيلُ
أَلَا يَا هِنْدُ فَابْكِي لَا تَمْلِي
فَأَنْتِ الْوَالِةُ^(٤) الْعَبْرَى^(٥) الْهَبُولُ^(٦)

(١) مجلعباً: ممتداً على الأرض.

(٢) حيزومه: أسفل صدره.

(٣) لدن: الرمح اللين.

(٤) الواله: الفاقد.

(٥) العبرى: الكثيرة الدمع.

(٦) الهبول: المرأة الثاكل.

بَعْدَ أَحَدٍ :

كَثُرَ الطَّمَعُ بِالْمَدِينَةِ مِنَ الْأَعْرَابِ بَعْدَ أَحَدٍ، وَكَثُرَ الْغَادِرُونَ
بِالْمُسْلِمِينَ إِثْرَ تِلْكَ الْمَوْقِعَةِ، وَكَثُرَ الطَّامِعُونَ فِي أَمْوَالِ
الْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ غَدَرَتْ قَبِيلَتَا عَضَلٍ وَالْقَارَةَ بِسِتَّةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
عِنْدَ مَاءِ الرَّجِيعِ لِهَذِيلٍ، وَغَدَرَتْ بَنُو سُلَيْمٍ وَقَبَائِلُ نَجْدٍ
بَارَبَعِينَ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عِنْدَ
بَثْرِ مَعُونَةَ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ نَافِعُ بْنُ بُدَيْلٍ بْنُ وَرْقَاءِ الْخُزَاعِيِّ
صَدِيقَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ فَرَّاهُ فِي شِعْرِ مِنْهُ :

رَحِمَ اللَّهُ نَافِعَ بْنَ بُدَيْلٍ
رَحْمَةً الْمُتَّبِعِي ثَوَابِ الْجِهَادِ
صَابِرٌ، صَادِقٌ، وَفِيٌّ إِذَا مَا
أَكْثَرَ الْقَوْمُ قَالَ قَوْلَ السَّدَادِ

فِي إِمْرَةِ الْمَدِينَةِ :

لَمَّا انْسَحَبَ أَبُو سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَحَدٍ نَادَى : إِنَّ
مَوْعِدَكُمْ بِذُرِّ اللَّعَامِ الْقَابِلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ : قُلْ : نَعَمْ هُوَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
مَوْعِدٌ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فَلَمَّا جَاءَ الْمَوْعِدُ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ،

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي شَعْبَانَ، وَوَلَّى عَلَى الْمَدِينَةِ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ. فَأَقَامَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ثَمَانِي لَيَالٍ
يَنْتَظِرُ أَبَا سُفْيَانَ، وَخَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ فِي أَهْلِ مَكَّةَ حَتَّى نَزَلَ
مَجَنَّةَ، مِنْ نَاحِيَةِ الظُّهْرَانِ، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: قَدْ بَلَغَ عُسْفَانَ،
ثُمَّ بَدَأَ لَهُ فِي الرُّجُوعِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّهُ لَا
يَصْلُحُكُمْ إِلَّا عَامٌ خَصِيبٌ تَرَعُونَ فِيهِ الشَّجَرَ، وَتَشْرَبُونَ فِيهِ
اللَّبْنَ، وَإِنَّ عَامَكُمْ هَذَا عَامٌ جَذْبٍ، وَإِنِّي رَاجِعٌ فَارْجِعُوا،
فَرَجَعَ النَّاسُ.

فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ :

وَحَزَبَ الْيَهُودُ الْأَحْزَابَ لِحَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ ذَهَبُوا إِلَى مَكَّةَ وَحَرَّضُوا أَهْلَهَا عَلَى قِتَالِ
الْمُسْلِمِينَ، وَاتَّفَقُوا مَعَهُمْ، وَتَوَاعَدُوا عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ خَرَجُوا
إِلَى قَبَائِلِ غَطَفَانَ فَدَعَوْهُمْ إِلَى ذَلِكَ أَيْضًا، وَأَعْلَمُوهُمْ أَنَّهُمْ
سَيَكُونُونَ مَعَهُمْ وَكَذَلِكَ قُرَيْشٌ، وَأَعْطَوْهُمْ الْمَوْعِدَ الَّذِي
اتَّفَقُوا عَلَيْهِ مَعَ قُرَيْشٍ. وَجَاءَ وَقْتُ الْمَوْعِدِ الْمَعْلُومِ،
وَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ بِقِيَادَةِ أَبِي سُفْيَانَ، وَسَارَتْ غَطَفَانُ بِإِمْرَةِ
عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ الْفَزَارِيِّ. فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا أَجْمَعُوا لَهُ مِنَ الْأَمْرِ، ضَرَبَ الْخَنْدَقَ عَلَى

الْمَدِينَةِ، بِرَأْيِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، وَعَمِلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي حَفْرِ الْخَنْدَقِ تَرْغِيبًا لِلْمُسْلِمِينَ فِي الْأَجْرِ،
 وَعَمِلَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ، فَدَأَبَ فِيهِ وَدَأَبُوا. وَكَانَ رَسُولُ
 اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَنْقُلُ التُّرَابَ يَوْمَئِذٍ مَعَ الْقَوْمِ
 حَتَّى وَارَى التُّرَابُ بَيَاضَ إِبْطِيهِ، وَيَرْتَجِزُ بِرَجَزِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 رَوَاحَةَ :

وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا
 وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
 فَأَنْزَلَنُ سَكِينَةً عَلَيْنَا
 وَبُتِ الْأَقْدَامَ إِنَّ لَاقَيْنَا
 إِنَّ الَّذِينَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا
 إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَأْكُلُونَ مِمَّا يُرْسِلُهُ أَهْلُوهُمْ إِلَيْهِمْ،
 وَحَدَّثَتْ ابْنَةُ لَبْشِيرِ بْنِ سَعْدٍ فَقَالَتْ: دَعَيْتِي أُمِّي عَمْرَةَ بِنْتُ
 رَوَاحَةَ، فَأَعْطَتْنِي حَفَنَةً مِنْ تَمْرٍ فِي ثَوْبِي ثُمَّ قَالَتْ: أَيُّ بَنِيٍّ،
 اذْهَبِي إِلَى أَبِيكَ وَخَالَكِ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ بِغَدَائِهِمَا،
 قَالَتْ: فَأَخَذْتُهَا فَاَنْطَلَقْتُ بِهَا، فَمَرَرْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَا أَلْتَمِسُ أَبِي وَخَالَي؛ فَقَالَ: تَعَالِي يَا

بُنِيَّةً، مَا هَذَا مَعَكَ؟ قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا تَمْرٌ
 بَعَثَنِي بِهِ أُمِّي إِلَى أَبِي بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ وَخَالِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 رَوَاحَةَ يَتَغَذَّيَانِهِ؛ قَالَ: هَاتِيهِ؛ قَالَتْ: فَصَبَبْتُهِ فِي كَفِّي رَسُولُ
 اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا مَلَأْتُهُمَا، ثُمَّ أَمَرَ بِثَوْبٍ فَبَسِطَ
 لَهُ، ثُمَّ دَحَا بِالتَّمْرِ عَلَيْهِ، فَتَبَدَّدَ فَوْقَ الثَّوْبِ، ثُمَّ قَالَ لِإِنْسَانٍ
 عِنْدَهُ: اصْرُخْ فِي أَهْلِ الْخَنْدَقِ: أَنْ هَلُمَّ إِلَى الْغَدَاءِ،
 فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْخَنْدَقِ عَلَيْهِ، فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْهُ، وَجَعَلَ
 يَزِيدُ، حَتَّى صَدَرَ أَهْلُ الْخَنْدَقِ عَنْهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْقُطُ مِنْ أَطْرَافِ
 الثَّوْبِ.

إِمْرَةُ ابْنِ رَوَاحَةَ:

بَعْدَ أَنْ قُتِلَ أَبُو رَافِعٍ سَلَامٌ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ أَمِيرُ الْيَهُودِ
 عَلَى خَيْبَرَ أَمَرَتِ الْيَهُودُ مَكَانَهُ أُسَيْرَ بْنَ رِزَامٍ إِذْ كَانَ رَجُلًا
 شُجَاعًا، فَقَامَ فِي الْيَهُودِ فَقَالَ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا سَارَ مُحَمَّدٌ إِلَى
 أَحَدٍ مِنَ الْيَهُودِ إِلَّا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فَأَصَابَ مِنْهُمْ مَا
 أَرَادَ، وَلَكِنِّي أَصْنَعُ مَا لَا يَصْنَعُ أَصْحَابِي. فَقَالُوا: وَمَا عَسَيْتَ
 أَنْ تَصْنَعَ مَا لَمْ يَصْنَعْ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: أَسِيرُ فِي غُطْفَانٍ
 فَاجْمَعُهُمْ. فَسَارَ فِي غُطْفَانٍ فَجَمَعَهُمَا. ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ
 الْيَهُودِ، نَسِيرُ إِلَى مُحَمَّدٍ فِي عَقْرِ دَارِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يُغْزِ أَحَدٌ فِي

دَارِهِ إِلَّا أَذْرَكَ مِنْهُ عَدُوَّهُ بَعْضَ مَا يُرِيدُ. قَالُوا: نِعْمَ مَا رَأَيْتَ.
 فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ
 اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَارِجَةُ بْنُ حُسَيْلٍ الْأَشْجَعِيُّ،
 فَاسْتَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا وَرَاءَهُ فَقَالَ:
 تَرَكْتُ أُسَيْرَ بْنَ رِزَامٍ يَسِيرُ إِلَيْكَ فِي كَتَائِبِ الْيَهُودِ، فَندَبَ
 رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، النَّاسَ، فَانْتَدَبَ لَهُ
 ثَلَاثُونَ رَجُلًا، فَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَخَرَجُوا حَتَّى أَتَوْا خَيْبَرَ فَأَرْسَلُوا
 إِلَى أُسَيْرٍ: إِنَّا آمِنُونَ حَتَّى نَأْتِيكَ فَنُعْرِضَ عَلَيْكَ مَا جِئْنَا لَهُ؟
 فَقَالَ: نَعَمْ، وَلِي مِثْلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ. فَدَخَلُوا عَلَيْهِ
 فَقَالُوا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعَثَنَا إِلَيْكَ أَنْ
 تَخْرُجَ إِلَيْهِ فَيَسْتَعْمِلَكَ عَلَى خَيْبَرَ وَيُحْسِنُ إِلَيْكَ فَطَمَعَ فِي
 ذَلِكَ، وَشَاوَرَ الْيَهُودَ فَخَالَفُوهُ فِي الْخُرُوجِ وَقَالُوا: مَا كَانَ
 مُحَمَّدٌ يَسْتَعْمِلُ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَقَالَ: بَلَى: قَدْ مَلَلْنَا
 الْحَرْبَ. فَخَرَجَ مَعَهُ ثَلَاثُونَ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ
 رَدِيفٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. فَسَارُوا حَتَّى كَانُوا بِقَرْقَرَةَ ثَبَارٍ (عَلَى بُعْدِ
 سِتَّةِ أَمْيَالٍ مِنْ خَيْبَرَ) نَدِمَ أُسَيْرٌ حَتَّى عَرَفُوا النَّدَامَةَ فِيهِ. قَالَ
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُنَيْسٍ أَحَدُ رِجَالِ الْمُسْلِمِينَ: وَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى
 سَيْفِي فَفَطِنْتُ لَهُ فَدَفَعْتُ بَعِيرِي فَقُلْتُ: غَدَرَا أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ! ثُمَّ

تَنَاوَمْتُ فَدَنَوْتُ مِنْهُ لِأَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ، فَتَنَاوَلَ سَيْفِي، فَغَمَزْتُ
بَعِيرِي وَقُلْتُ: هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَنْزِلُ فَيَسُوقُ بِنَا؟ فَلَمْ يَنْزِلْ
أَحَدٌ، فَنَزَلْتُ عَنْ بَعِيرِي فَسُقْتُ بِالْقَوْمِ حَتَّى انْفَرَدَ أُسِيرٌ،
فَضْرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ فَقَطَعْتُ مُوْخِرَةَ الرَّجُلِ وَأَنْدَرْتُ (أَسْقَطْتُ)
عَامَةً فَخَذَهُ وَسَاقَهُ، وَسَقَطَ عَنْ بَعِيرِهِ، وَفِي يَدِهِ مِخْرَشٌ (عَصَا
مَعْقُوفَةٌ) مِنْ شَوْحِطٍ (نَوْعٌ مِنْ شَجَرِ الْجِبَالِ) فَضْرَبَنِي فَشَجَّنِي
مَأْمُومَةً^(١)، وَمَلْنَا عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَتَلْنَاهُمْ كُلَّهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ
أَعْجَزَنَا شِدًّا، وَلَمْ يُصَبِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَحَدٌ، ثُمَّ أَقْبَلْنَا إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ: فَبَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُحَدِّثُ أَصْحَابَهُ إِذْ قَالَ لَهُمْ: تَمْشُوا بِنَا
إِلَى الثَّنِيَّةِ نَحْسَبْ مِنْ أَصْحَابِنَا خَبَرًا. فَخَرَجُوا مَعَهُ، فَلَمَّا
أَشْرَفُوا عَلَى الثَّنِيَّةِ فَإِذَا هُمْ بِسَرْعَانَ أَصْحَابِنَا. قَالَ: فَجَلَسَ
رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي أَصْحَابِهِ. قَالَ: وَانْتَهَيْنَا
إِلَيْهِ فَحَدَّثْنَاهُ الْحَدِيثَ، فَقَالَ: نَجَّاكُمْ اللَّهُ مِنَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُتَيْسٍ: فَدَنَوْتُ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، فَفَنَفْتُ فِي شَجَّتِي فَلَمْ تَقْعَ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَمْ تُؤْذِنِي،

(١) شجة مأمومة: وصلت إلى أم الرأس.

وَقَدْ كَانَ الْعَظْمُ فُلًّا؛ وَمَسَحَ عَلَى وَجْهِهِ وَدَعَا لِي، وَقَطَعَ قِطْعَةً مِنْ عَصَاهُ فَقَالَ: أُمْسِكْ هَذَا مَعَكَ عَلَامَةً بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْرِفَكَ بِهَا، فَإِنَّكَ تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُحْتَضِرًا.

وَقَدْ اخْتِيرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ لِهَذِهِ الْمُهَمَّةِ لِشَجَاعَتِهِ وَدَقَّتِهِ وَخَفِيَّتِهِ وَلِمَعْرِفَتِهِ السَّابِقَةِ بِخَيْرٍ، إِذْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ بَعَثَهُ فِي مُهَمَّةٍ اسْتِطْلَاعِيَّةٍ فِي رَمَضَانَ تَهِيئَةً بِهَذِهِ الْمُهَمَّةِ وَكَانَ مَعَهُ ثَلَاثَةُ رِجَالٍ يَنْظُرُونَ إِلَى خَيْرٍ، وَحَالَ أَهْلِهَا وَمَا يُرِيدُونَ وَمَا يَتَكَلَّمُونَ بِهِ، فَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ حَتَّى أَتَى نَاحِيَةَ خَيْرٍ فَجَعَلَ يَدْخُلُ الْحَوَائِطَ، وَفَرَّقَ أَصْحَابَهُ فِي النُّطَاقِ وَالشُّقِّ وَالْكَيْبِيَّةِ (أَطَامَ خَيْرٍ)، وَوَعَوْا مَا سَمِعُوا مِنْ أُسَيْرٍ وَغَيْرِهِ، ثُمَّ خَرَجُوا بَعْدَ إِقَامَةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَرَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِلَّيَالِ بَقِيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، فَخَبَرَ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِكُلِّ مَا رَأَى وَسَمِعَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أُسَيْرٍ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ نَفْسَهَا وَهِيَ السَّادِسَةُ لِلْهِجْرَةِ^(١).

فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ:

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُرِيدُ تَأْدِيَةَ

(١) أنظر مغازي الواقدي ٢/ ٥٦٦ - ٥٦٨.

الْعُمْرَةِ، وَخَرَجَ مَعَهُ أَلْفٌ وَأَرْبَعُمِائَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فِيمَنْ خَرَجَ، إِلَّا أَنَّ قُرَيْشًا قَدْ حَالَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، إِلَى قُرَيْشٍ فِي مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِقَصْدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي الْعُمْرَةِ، وَأَنَّهُ لَا يُرِيدُ حَرْبًا، وَلَكِنَّ قُرَيْشًا تَعَنَّتْ فِي مَوْقِفِهَا وَأَصْرَتْ عَلَى رَأْيِهَا، وَتَأَخَّرَ عُثْمَانُ، وَأُشِيعَ أَنَّهُ قُتِلَ فَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ وَشَهِدَهَا ابْنُ رَوَاحَةَ، ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ، وَتَمَّ صَلْحُ الْحُدَيْبِيَّةِ وَرَجَعَ الْمُسْلِمُونَ نَتِيجَتَهُ عَلَى أَنْ يَأْتُوا فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ .

وَاسْتَدَارَ الْعَامُ، وَدَخَلَ شَهْرُ ذِي الْقَعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ السَّابِعَةِ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَصْحَابَهُ أَنْ يَعْتَمِرُوا - قِضَاءَ عُمْرَتِهِمْ - وَأَلَّا يَتَخَلَّفَ أَحَدٌ مِمَّنْ شَهِدَ الْحُدَيْبِيَّةَ، فَلَمْ يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ شَهِدَهَا إِلَّا رِجَالًا اسْتَشْهَدُوا بِخَيْرِ وَرِجَالٍ مَاتُوا، وَخَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَوْمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سِوَى أَهْلِ الْحُدَيْبِيَّةِ مِمَّنْ لَمْ يَشْهَدْ صَلْحَ الْحُدَيْبِيَّةِ، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي عُمْرَةِ الْقِضَاءِ أَلْفَيْنِ . وَتَقَدَّمَهُمُ الْخَيْلُ بِإِمْرَةِ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ مِائَةً فَارِسٍ . وَكَانَ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ عَلَى السَّلَاحِ .

وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَكَّةَ،
وَأَصْحَابُهُ حَوْلَهُ مُتَوَشِّحُو السُّيُوفِ فِي الْقُرْبِ، وَهُمْ يُلْبِسُونَ،
وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ أَخِذْ بِزِمَامِ نَاقَتِهِ الْقُصُوءِ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ
قَدْ نَزَلَ الرَّحْمَنُ فِي تَنْزِيلِهِ
بِأَنَّ خَيْرَ الْقَتْلِ فِي سَبِيلِهِ
خَلُّوا فَكُلُُّ الْخَيْرِ فِي رَسُولِهِ
يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ
أَعْرِفُ حَقَّ اللَّهِ فِي قُبُولِهِ
نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ
كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ
وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: يَا ابْنَ رَوَاحَةَ، أَفِي حَرَمِ اللَّهِ
وَيَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقُولُ هَذَا
الشُّعْرَ؟ فَقَالَ الرَّسُولُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (خَلُّ عَنْهُ يَا
عُمَرُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَكَلَامُهُ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ وَقْعِ النَّبْلِ).

وَلَمْ يَزَلِ الرَّسُولُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُلَبِّي حَتَّى اسْتَلَمَ
الرُّكْنَ بِمُحْجَنِهِ .

فِي خَيْرٍ:

رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي الْحُدَيْبِيَّةِ فِي
شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ أَوَاخِرِ الْعَامِ السَّادِسِ لِلْهِجْرَةِ، فَأَقَامَ فِي
الْمَدِينَةِ بَقِيَّةَ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمِ وَخَرَجَ إِلَى خَيْبَرَ فِي
شَهْرِ صَفَرٍ مِنَ الْعَامِ السَّابِعِ لِلْهِجْرَةِ، فَفَتَحَ اللَّهُ خَيْبَرَ لَهُ . وَشَهِدَ
ابْنُ رَاحَةَ فَتَحَ خَيْبَرَ .

وَسَاقَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْيَهُودَ فِي خَيْبَرَ
عَلَى الشُّطْرَيْنِ مِنَ الثَّمَرِ وَالزَّرْعِ ، وَكَانَ يُزْرَعُ تَحْتَ النَّخْلِ ،
وَقَدْ بَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَاحَةَ يَقْدُرُ الزَّرْعَ وَيَخْرُصُ عَلَيْهِمْ ،
فَأَرَادُوا أَنْ يَرْشُوهُ لِيَرْفِقَ بِهِمْ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ
أَحَبِّ الْخَلْقِ عَلَيَّ ، وَلَا تَنْتُمْ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ أَعْدَادِكُمْ مِنَ الْقَرْدَةِ
وَالْخَنَازِيرِ ، وَمَا يَحْمِلُنِي حُبِّي إِيَّاهُ ، وَبُغْضِي لَكُمْ عَلَى الْأَ
أَعْدِلُ فِيكُمْ ، فَقَالُوا : بِهِذَا قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ !! وَقَالَ
لَهُمْ بَعْدَ أَنْ خَرَصَ «إِنْ شِئْتُمْ فَلَكُمْ وَتَضْمَنُونَ نِصْفَ مَا
خَرَصْتُ ، وَإِنْ شِئْتُمْ فَلَنَا وَنَضْمَنُ لَكُمْ مَا خَرَصْتُ» . وَخَرَصَ

عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ أَلْفَ وَسَقٍ . وَقَدْ أَرْسَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِيُعَلِّمَهُم بِأَرْضِهِمْ ، وَقَدْ ثَبِتَ أَنَّهُ عَلَى عِلْمٍ تَامٍ بِالتَّمْرِ وَالزَّرْعِ ، وَأَنَّهُ عَلَى غَايَةِ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ ، وَقَامَ بِهِذِهِ الْعَمَلِيَّةِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ حَصَلَ عَلَى الشَّهَادَةِ .

الْفَوْزُ بِالشَّهَادَةِ :

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الْكُتُبَ إِلَى الْمُلُوكِ وَالْأَمْرَاءِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَكَانَ مِمَّنْ بَعَثَ الْحَارِثَ بْنَ عُمَيْرٍ الْأَزْدِيَّ إِلَى مَلِكِ بَصْرَى ، فَلَمَّا نَزَلَ الْحَارِثُ بِلَدَةِ مُؤْتَةٍ عَرَضَ لَهُ شُرَحْبِيلُ بْنُ عَمْرِو الْعَسَانِيُّ فَقَالَ لَهُ : أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ : الشَّامَ . قَالَ : لَعَلَّكَ مِنْ رُسُلِ مُحَمَّدٍ؟ قَالَ : نَعَمْ ، أَنَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ . فَأَمَرَ بِهِ فَأَوْثِقَ رِبَاطًا ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَضْرَبَ عُنُقَهُ صَبْرًا ، وَلَمْ يُقْتَلْ لِرَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، رَسُولٌ غَيْرُهُ .

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَدْ رَجَعَ مِنْ عُمْرَةِ الْقَضَاءِ فِي شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ مِنَ الْعَامِ السَّابِعِ ، فَأَقَامَ فِي الْمَدِينَةِ بَقِيَّةَ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ مِنَ الْعَامِ السَّابِعِ وَالْمُحَرَّمِ وَصَفَرَ وَرَبِيعَ الْأَوَّلِ وَرَبِيعَ الثَّانِي ، فَلَبَّغَهُ خَبَرُ مَقْتَلِ رَسُولِهِ الْحَارِثِ بْنِ عُمَيْرٍ الْأَزْدِيِّ فَاسْتَدَّ عَلَيْهِ ، فَندَبَ النَّاسَ وَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ ،

فَأَسْرَعُوا وَتَجَمَّعُوا بِالْجُرْفِ، وَوَصَلَ عَدَدُهُمْ إِلَى ثَلَاثَةِ آلَافٍ.
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ أَمِيرُ
النَّاسِ، فَإِنْ قُتِلَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَجَعَفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَإِنْ
أُصِيبَ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَإِنْ أُصِيبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ
فَلْيَرْتَضِ الْمُسْلِمُونَ بَيْنَهُمْ رَجُلًا فَلْيَجْعَلُوهُ عَلَيْهِمْ.

فَلَمَّا حَضَرَ خُرُوجُهُمْ وَدَّعَ النَّاسُ أَمْرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا وَدَّعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ بَكَى؛ فَقَالُوا مَا
يُبْكِيكَ يَا ابْنَ رَوَاحَةَ؟ فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ مَا بِي حُبُّ الدُّنْيَا وَلَا
صَبَابَةٌ بِكُمْ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، يَقْرَأُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَذْكُرُ فِيهَا النَّارَ ﴿وَإِنْ
مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ فَلَسْتُ أَذْرِي
كَيْفَ لِي بِالصَّدْرِ بَعْدَ الْوُرُودِ؛ فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: صَحْبِكُمُ اللَّهُ
وَدَفَعَ عَنْكُمْ، وَرَدَّكُمْ إِلَيْنَا صَالِحِينَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
رَوَاحَةَ:

لَكِنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً
وَصُزْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا
أَوْ طَعْنَةً بِيَدَيَّ حَرَّانَ مُجْهِزَةً
بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكِبَدَا

حَتَّى يُقَالَ إِذَا مَرُّوا عَلَى جَدَثِي
أَرْشَدَهُ اللَّهُ مِنْ غَازٍ وَقَدْ رَشَدَا
وَأَتَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، فَوَدَّعَهُ وَقَالَ:

فَقَبَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ
تَثْبِيتَ مُوسَى وَنَصْرًا كَالَّذِي نَصَرُوا
إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ نَافِلَةً
فِرَاسَةً خَالَفْتُ فِيكَ الَّذِي نَظَرُوا
أَنْتَ الرَّسُولُ فَمَنْ يُحَرِّمُ نَوَافِلَهُ
وَالْوَجْهَ مِنْهُ قَدْ أَزْرَى بِهِ الْقَدَرُ

ثُمَّ خَرَجَ الْجَيْشُ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، حَتَّى إِذَا وَدَّعَهُمْ وَانْصَرَفَ عَنْهُمْ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
رَوَاحَةَ:

خَلَفَ السَّلَامُ عَلَى أَمْرِي وَدَّعْتُهُ
فِي النَّخْلِ خَيْرَ مُشِيعٍ وَخَلِيلٍ
وَسَارَ الْجَيْشُ حَتَّى نَزَلَ مَعَانَ، مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، فَبَلَغَ
النَّاسَ أَنَّ هِرْقَلَ قَدْ نَزَلَ مُوَابَ مِنْ أَرْضِ الْبَلْقَاءِ (مَنْطِقَةُ عَمَّانَ
فِي الْأُرْدُنِّ) فِي مِائَةِ أَلْفٍ مِنَ الرُّومِ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِمْ مِنْ قَبَائِلِ

الْعَرَبِ الْمُتَنَصِّرَةِ مِنْ لَحْمٍ ، وَجُذَامٍ ، وَالْقَيْنِ ، وَبَهْرَاءَ ،
وَبِلْيٍّ مِائَةً أَلْفٍ أَيْضًا . فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ أَقَامُوا عَلَى
مَعَانٍ لَيْلَتَيْنِ يُفَكِّرُونَ فِي أَمْرِهِمْ ، وَقَالُوا : نَكْتُبُ إِلَى رَسُولِ
اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَنُخْبِرُهُ بِعَدَدِ عَدُوِّنَا ، فَإِمَّا أَنْ
يُجِدَّنَا بِالرِّجَالِ ، وَإِمَّا أَنْ يَأْمُرَنَا بِأَمْرِهِ ، فَنَمْضِي لَهُ . فَشَجَّعَ
النَّاسَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، وَقَالَ : يَا قَوْمُ ، وَاللَّهِ إِنْ أَلَّتِي
تَكْرَهُونَ لَلَّتِي خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ الشَّهَادَةَ ، وَمَا تُقَاتِلُ النَّاسَ بِعَدَدٍ
وَلَا قُوَّةَ وَلَا كَثْرَةَ ، مَا تُقَابِلُهُمْ إِلَّا بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللَّهُ
بِهِ ، فَانْطَلِقُوا فَإِنَّمَا هِيَ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ : إِمَّا ظُهُورٌ وَإِمَّا
شَهَادَةٌ . فَقَالَ النَّاسُ : قَدْ وَاللَّهِ صَدَقَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَمَضَى
النَّاسُ ؛ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ يَوْمَ ذَلِكَ :

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ أَجْلِ وَفَرَعٍ

تَغَرُّ^(١) مِنْ الْحَشِيشِ لَهَا الْعُكُومُ^(٢)

حَذَوْنَاهَا^(٣) مِنْ الصَّوَّانِ سَبْتًا^(٤)

أَزَلَّ^(٥) كَأَنَّ صَفْحَتَهُ أَدِيمُ^(٦)

(١) تغر: تطعم .

(٢) العُكُوم: الجنب .

(٣) حذوناها: جعلنا لها حذاء .

(٤) سبتاً: النعال .

(٥) أزل: أملتس .

(٦) الأديم: الجلد .

أَقَامَتْ لَيْلَتَيْنِ عَلَى مَعَانٍ
فَأَعْقَبَ بَعْدَ فِتْرَتِهَا^(١) جُمُومُ^(٢)
فَرُحْنَا وَالْجِيَادُ مُسَوَّمَاتُ
تَنْفَسَ فِي مَنَاحِرِهَا السَّمُومُ
فَلَا وَأَبِي مُؤَابُ لَنَايِنَهَا
وَلِإِنْ كَانَتْ بِهَا عَرَبُ وَرُومُ
فَعَبَّأْنَا أَعْتَتَهَا فَجَاءَتْ
عَوَاسٍ وَالْغُبَارُ لَهَا بَرِيمُ^(٣)
بِذِي لَجَبٍ^(٤) كَأَنَّ الْبَيْضَ^(٥) فِيهِ
إِذَا بَرَزَتْ قَوَانِسُهَا^(٦) النُّجُومُ
فَرَاضِيَةُ الْمَعِيشَةِ طَلَّقَتْهَا
أَسْتَهَا فَتَكِحُ أَوْ تَتِيمُ
كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ قَدْ رَبَّى زَيْدَ بْنَ أَرْقَمٍ ، فَخَرَجَ بِهِ

(١) فترتها : ضعفها .

(٢) جموم : اجتماع .

(٣) بریم : لوان مختلطان . ويقصد اختلاط دموع الخيل بالغبار .

(٤) ذي لجب : الجيش .

(٥) البيض : ما يوضع على الرأس من حديد .

(٦) القوانس : أعلى البيض .

فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ، فَقَالَ زَيْدٌ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ يُنْشِدُ فِي لَيْلَةٍ.

إِذَا أَدَيْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي
مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الْحِسَاءِ
فَشَأْنُكَ أَنْعُمٌ وَخِلَافُكَ ذَمٌّ
وَلَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي وَرَائِي
وَجَاءَ الْمُسْلِمُونَ وَغَادَرُونِي
بِأَرْضِ الشَّامِ مُشْتَهَى الثَّوَاءِ
هُنَالِكَ لَا أَبَالِي طَلَعَ بَعْلٌ
وَلَا نَحُلُ أَسَافِلُهَا رَوَاءِ
فَلَمَّا سَمِعْتُهُنَّ بَكَيْتُ، قَالَ: فَخَفَقَنِي بِالْدَّرَّةِ، وَقَالَ: مَا
عَلَيْكَ يَا لَكَعُ أَنْ يَرْزُقَنِي اللَّهُ شَهَادَةً وَتَرْجِعُ بَيْنَ شُعْبَتَيِ
الرَّحْلِ.

وَالْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاقْتَتَلُوا، وَقَاتَلَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بِرَايَةِ
رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى شَاطَفِي رِمَاحُ
الْقَوْمِ.

فَأَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَقَاتَلَ حَتَّى نَالَ الشَّهَادَةَ.
فَلَمَّا صُرِعَ تَسَلَّمَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ

فَجَعَلَ يَسْتَنْزِلُ نَفْسَهُ وَيَبْدُو أَنَّ بَعْضَ التَّرَدُّدِ قَدْ ظَهَرَ عَلَيْهِ فَقَالَ :

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّهُ
لَتَنْزِلَنَّ أَوْ لَتُكْرِهِنَّ
إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرِّثَّةَ
مَالِي أَرَاكِ تَكْرِهِينَ الْجَنَّةَ
قَدْ طَالَ مَا كُنْتَ مُطْمِئِنَّةً
هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُطْفَةٌ فِي شَنَّةٍ
وَقَالَ أَيْضًا :

يَا نَفْسُ إِلَّا تُقْتَلِي تَمُوتِي
هَذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صُلِيَتْ
وَمَا تَمَنَيْتِ فَقَدْ أُعْطِيَتْ
إِنْ تَفْعَلِي فَعَلَهُمَا هُدَيْتِ

ثُمَّ نَزَلَ . فَلَمَّا نَزَلَ أَتَاهُ ابْنُ عَمٍّ لَهُ بِعَرَقٍ مِنْ لَحْمٍ فَقَالَ :
شُدَّ بِهَذَا صُلْبُكَ ، فَإِنَّكَ قَدْ لَقِيتَ فِي أَيَّامِكَ هَذِهِ مَا لَقِيتَ ،
فَأَخْذَهُ مِنْ يَدِهِ ثُمَّ انْتَهَسَ مِنْهُ نَهْشَةً ثُمَّ سَمِعَ الْحَطْمَةَ فِي نَاحِيَةِ
النَّاسِ ، فَقَالَ : وَأَنْتِ فِي الدُّنْيَا ! ثُمَّ أَلْفَاهُ مِنْ يَدِهِ ، ثُمَّ أَخَذَ
سَيْفَهُ فَتَقَدَّمَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ .

ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ ثَابِتُ بْنُ الْأَقْرَمِ ، وَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ
اصْطَلِحُوا عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ ، قَالُوا : أَنْتَ . قَالَ : مَا أَنَا
بِفَاعِلٍ . ثُمَّ اتَّفَقُوا عَلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ وَدَافَعَ
الْقَوْمَ ، ثُمَّ تَمَكَّنَ مِنَ الْأَنْسِحَابِ بِالنَّاسِ بَعْدَ أَنْ أَوْهَمَ الرُّومَ
بِمَجِيءِ الْمَدَدِ لِلْمُسْلِمِينَ .

وَقَدْ أَثْنَى رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَلَى الْأَمْرَاءِ
الَّذِينَ اسْتَشْهَدُوا ، وَعَلَى بَقِيَّةِ الشُّهَدَاءِ ، وَعُمُومِ الْجَيْشِ .
وَرَثَاهُمْ الشُّعْرَاءُ .

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، شُجَاعًا ، يَطْلُبُ
الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . وَكَانَ أَوَّلَ خَارِجٍ إِلَى الْقِتَالِ وَآخِرِ
قَافِلٍ مِنْهُ .

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ عَابِدًا ، ذَكَرَتْ زَوْجُهُ لَمَّا تَزَوَّجَهَا مِنْ بَعْدِهِ
حِينَ سَأَلَهَا عَنْ صَنِيعِهِ أَتَتْهُ : « كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهِ
صَلَّى رِكَعَتَيْنِ ، وَإِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ صَلَّى رِكَعَتَيْنِ ، لَا يَدْعُ
ذَلِكَ » . وَفِي حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : « لَقَدْ
رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي بَعْضِ
أَسْفَارِهِ فِي الْيَوْمِ الْحَارِّ الشَّدِيدِ الْحَرِّ ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَضَعُ

مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ يَدُهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَمَا فِي الْقَوْمِ صَائِمٌ إِلَّا رَسُولُ
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ^(١).

وَكَانَ يُحِبُّ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَكُلَّمَا تَقَى بِأَحَدٍ إِخْوَانِهِ قَالَ
لَهُ «إِجْلِسْ نُوْمِنُ سَاعَةً». وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: «رَحِمَ اللَّهُ ابْنَ رَوَاحَةَ إِنَّهُ يُحِبُّ الْمَجَالِسَ الَّتِي تَبَاهَى
بِهَا الْمَلَائِكَةُ»^(٢). وَقَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ أَخِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ
كَانَ أَيْنَمَا أَذْرَكَهُ الصَّلَاةُ أَنَاخَ»^(٣).

وَكَانَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ طَوَاعِيَّةً لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، فَعَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
كَانَ يَخْطُبُ، فَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَسَمِعَهُ يَقُولُ:
«إِجْلِسُوا» فَجَلَسَ عَبْدُ اللَّهِ مَكَانَهُ خَارِجاً مِنَ الْمَسْجِدِ دُونَ
تَأْخُرٍ، فَلَمَّا فَرَغَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَلَغَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ:
«زَادَكَ اللَّهُ حِرْصاً عَلَى طَوَاعِيَّةِ اللَّهِ وَطَوَاعِيَّةِ رَسُولِهِ»^(٤).

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، شَدِيداً عَلَى

(١) أخرجه البخاري ومسلم في كتاب الصوم.

(٢) أخرجه أحمد.

(٣) رواه الطبراني بإسناد حسن.

(٤) أخرجه البيهقي.

الْمُنَافِقِينَ، وَأَشْبَاهِهِمْ، فَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكِبَ حِمَارًا عَلَيْهِ إِكَافٌ، تَحْتَهُ قُطِيفَةٌ فَذَكِيَّةٌ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ وَرَاءَهُ يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَسَارَ حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنِ سُلُولٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ عَبْدُ اللَّهِ، وَفِي الْمَجْلِسِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبْدَةُ الْأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ، وَفِي الْمَجْلِسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا غَشِيَتْ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ، خَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَنْفَهَ بِرِدَائِهِ، وَقَالَ: لَا تُعْبِرُوا عَلَيْنَا! فَسَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَقَفَ وَنَزَلَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَفَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي: يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ إِنَّهُ لَا أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ، إِنْ كَانَ حَقًّا فَلَا تُؤْذِنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا، وَارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ، فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ.

فَقَالَ ابْنُ رَوَاحَةَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَاغْشِنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ، فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ، حَتَّى كَادُوا يَتَنَاقَرُونَ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا، فَكَرِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَابَّتَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ: «أَيُّ

سَعْدُ، أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ؟» - يُرِيدُ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ أَبِي -
 قَالَ سَعْدُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اعْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ، فَقَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ
 مَا أَعْطَاكَ، وَلَقَدْ اجْتَمَعَ أَهْلُ هَذِهِ الْبَحِيرَةِ عَلَى أَنْ يُتَوَجَّوهُ
 فَيُعَصِّبُوهُ، فَلَمَّا رُدَّ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ شَرِقَ بِذَلِكَ،
 فَذَلِكَ الَّذِي فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ.

وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَاعِيَةً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، يَنْشُطُ فِي
 دَعْوَةِ النَّاسِ لِلدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي
 الْمُسْتَدْرَكِ عَنِ الْوَاقِدِيِّ قَالَ:

كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِيمَا ذَكَرَ - آخِرَ أَهْلِ
 دَارِهِ إِسْلَامًا، لَمْ يَزَلْ مُتَعَلِّقًا بِصَنَمٍ لَهُ، وَقَدْ وَضَعَ عَلَيْهِ
 مِنْدِيلًا، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَدْعُوهُ إِلَى
 الْإِسْلَامِ فَيَأْبَى، فَيَجِئُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَدْ خَرَجَ
 مِنْ بَيْتِهِ خَالَفَهُ فَدَخَلَ بَيْتَهُ وَأَعْجَلَ امْرَأَتَهُ، وَإِنَّهَا لَتَمَشِّطُ رَأْسَهَا،
 فَقَالَ أَيْنَ أَبُو الدَّرْدَاءِ؟ فَقَالَتْ: خَرَجَ أَخُوكَ آيَفًا. فَدَخَلَ بَيْتَهُ
 الَّذِي كَانَ فِيهِ الصَّنَمُ وَمَعَهُ الْقُدُومُ، فَأَنْزَلَهُ وَجَعَلَ يُقَدِّدُهُ فَلَذَا
 فَلَذَا وَهُوَ يَرْتَجِزُ سِرًّا مِنْ أَسْمَاءِ الشَّيَاطِينِ كُلِّهَا: «أَلَا كُلُّ مَا
 يُدْعَى مَعَ اللَّهِ بَاطِلٌ» ثُمَّ خَرَجَ.

وَسَمِعَتِ الْمَرْأَةُ صَوْتَ الْقُدُومِ وَهُوَ يَضْرِبُ ذَلِكَ الصَّنَمَ،

فَقَالَتْ: أَهْلَكْتَنِي يَا ابْنَ رَوَاحَةَ! فَخَرَجَ عَلَى ذَلِكَ، فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ حَتَّى أَقْبَلَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَدَخَلَ فَوَجَدَ الْمَرْأَةَ قَاعِدَةً تَبْكِي شَفَقًا مِنْهُ. فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ دَخَلَ عَلَيَّ فَصَنَعَ مَا تَرَى. فَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا، ثُمَّ فَكَّرَ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ: لَوْ كَانَ عِنْدَ هَذَا خَيْرٌ لَدَفَعْتُ عَنْ نَفْسِهِ. فَاِنْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأَسْلَمَ.

لَقَدْ رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَنْ بِلَالِ بْنِ رَبَاحٍ مُؤَذِّنِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَرَوَى عَنْ ابْنِ رَوَاحَةَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَأَنْسُ بْنُ مَالِكٍ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، وَالنُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ هَذَا الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ وَإِخْوَانِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ يُعَدُّونَ رِجَالَ الْإِسْلَامِ الْأَوَائِلِ وَبُنَاةَ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ.

بُـنَاة دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ

- ٢٥ -

أَبُو مُحَمَّدٍ زَيْدُ بْنُ حُبَيْبٍ

رَضِيََ اللَّهُ عَنْهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ
الْمُرْسَلِينَ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ أَمَا بَعْدُ:

بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَدَأَ يَدْعُو قَوْمَهُ
إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَعَدَمِ الشِّرْكِ بِهِ، وَخَلَعَ كُلُّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ
مِنْ أَصْنَامٍ وَأَوْثَانٍ وَغَيْرِهَا لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ. وَأَذْرَكَ قُرَيْشُ
حَقِيقَةَ الدَّعْوَةِ، وَعَرَفَتْ مَعْنَاهَا، وَأَيَقَنْتَ بِصِدْقِ صَاحِبِهَا،
وَلَكِنْ أَعَمَّتِ الْمَصْلَحَةُ بَصِيرَةَ كِبَرَائِثِهَا الَّذِينَ خَافُوا عَلَى
سَيَادَتِهِمْ وَضَيَاعِ مَصَالِحِهِمْ، إِذْ أَحْسَوْا بِأَنْ تَسْلُطَهُمْ عَلَى
الْعَبِيدِ سَيَرُولُ، وَاسْتِمْتَاعَهُمْ بِالْجَوَارِي سَيِّئَتِهِ، وَأَكْلَهُمْ
الْأَمْوَالَ بِالْبَاطِلِ سَيَقْضَى عَلَيْهِ، وَتَهْتِكُهُمْ لَا رَجْعَةَ إِلَيْهِ،
وَطُغْيَانِ الْقَوِيِّ عَلَى الضَّعِيفِ لَمْ يَعُدْ لَهُ بَقَاءٌ إِنْ تَبِعُوا مُحَمَّدًا،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِذَا فَقَدُوا وَقَفُوا فِي وَجْهِ الدَّعْوَةِ،
وَحَارَبُوهَا بِكُلِّ وَسَائِلِهِمُ الْمَادِّيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ وَالْإِعْلَامِيَّةِ إِذْ عَدَوْا

عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَذَاقُوهُمْ مُرَّ الْعَذَابِ، وَسَجَّوُوا وَقِيدُوا
 أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ تَبِعُوا مُحَمَّدًا، فَلَمْ يَسْلَمُوا مِنْ عَذَابِهِمْ أَيْضًا،
 وَأَشَاعُوا أَنَّ مُحَمَّدًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَجْنُونٌ،
 وَسَاحِرٌ، وَشَاعِرٌ، وَحَالُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَبَائِلِ الْعَرَبِ الَّتِي تَقْدُمُ
 مَكَّةَ فِي الْمَوْسِمِ، حَيْثُ كَانُوا يَتَّبِعُونَهُ، وَيَقُولُونَ لِلْقَادِمِينَ لَا
 تَسْمَعُوا لِهَذَا فَإِنَّهُ مُصَابٌ، وَنَحْنُ أَذْرَى بِهِ.

أَمَّا الْأَبْنَاءُ فَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ أَطْمَاعُ آبَائِهِمْ، وَلَمْ يُفْسِدِ التَّهْتِكُ
 نَفْسِيَّتَهُمْ بَعْدُ، وَلَمْ يُمَارِسُوا السُّوءَ فَتَأْسَنَ طِبَاعُهُمْ، وَلَمْ
 يَتِمَكَّنْ بِهِمُ الطُّغْيَانُ، وَلَمْ تَسْتَعْبِدْهُمْ الشَّهْوَةُ، وَلَمْ تَسْتَزِلْهُمْ
 الْأَنَانِيَّةُ وَحُبُّ السِّيَادَةِ، لِذَا فَقَدْ تَفَتَّحَتْ نُفُوسُهُمْ لِلْخَيْرِ،
 وَقَبِلَتْ الْحَقَّ، وَآمَنَتْ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
 وَانْتَضَمَتْ فِي صَفِّ الدَّعْوَةِ.

لَقَدْ وَقَفَ فِي وَجْهِ الدَّعْوَةِ سَيِّدُ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ عُتْبَةُ بْنُ
 رَبِيعَةَ، وَسَيِّدُ بَنِي أُمَيَّةَ أَبُو سُفْيَانَ صَخْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَسَيِّدُ بَنِي
 عَامِرٍ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، وَسَيِّدُ بَنِي سَهْمٍ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ،
 وَسَيِّدُ بَنِي مَخْزُومٍ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ
 إِلَّا وَقَدْ أَسْلَمَ أَحَدُ أَبْنَائِهِ أَوْ أَحَدُ أَقْرَبَائِهِ الْمُقَرَّبِينَ. لَقَدْ أَسْلَمَ
 أَبُو حَذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ الْعَبْسِيُّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُهَيْلٍ بْنُ عَمْرٍو

الْعَامِرِيُّ، وَهِشَامُ بْنُ الْعَاصِ السَّهْمِيُّ، وَعِيَّاشُ بْنُ أَبِي
رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِيِّ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، أَخُو خَالِدِ بْنِ
الْوَلِيدِ، وَسَلَمَةُ بْنُ هِشَامٍ، أَخُو أَبِي جَهْلٍ، وَأَسْلَمَتْ أُمُّ
حَبِيبَةَ رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ مَعَ زَوْجِهَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ،
وَأَسْلَمَتْ سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلٍ بِنِ عَمْرِو مَعَ زَوْجِهَا أَبِي
حُذَيْفَةَ بْنِ عُتْبَةَ.

لَقَدْ عَاشَ الْآبَاءُ فِي صَفٍّ وَعَاشَ الْأَبْنَاءُ فِي صَفٍّ آخَرَ
مُقَابِلَ آبَائِهِمْ. وَقَفَ الْآبَاءُ يُحْكُمُونَ مَصَالِحَهُمْ وَشَهَوَاتِهِمْ فِي
تَصَرُّفَاتِهِمْ، وَقَفَ الْأَبْنَاءُ يُحْكُمُونَ عُقُولَهُمْ، نَظَرَ الْآبَاءُ إِلَى
أَبْنَائِهِمْ نَظْرَةَ الْعَدَاوَةِ لَهُمْ وَقَدْ نُزِعَتْ مِنْهُمْ كُلُّ عَوَاطِفِ الْأُبُوَّةِ
مِنْ حَنَانٍ وَشَفَقَةٍ وَرَحْمَةٍ فَصَبُّوا جَامَ غَضَبِهِمْ عَلَى ذَوِيهِمْ،
وَنَظَرَ الْأَبْنَاءُ إِلَى آبَائِهِمْ بِكُلِّ عَوَاطِفِ الْبُنُوَّةِ يَتَمَنُّونَ لَهُمُ الْخَيْرَ
بِاعْتِنَاقِهِمُ الْإِسْلَامَ، وَيُشْفِقُونَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّارِ وَعَذَابِ اللَّهِ،
فَكَانُوا يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَلَكِنْ لَا يَجِدُونَ إِلَّا عُقُولًا
مُعْطَلَةً وَآذَانًا صُمًّا، وَلَعَلَّ مِنْ أَبْرَزِ هَؤُلَاءِ الْأَبْنَاءِ أَبَا حُذَيْفَةَ بْنَ
عُتْبَةَ.

أَبُو حُذَيْفَةَ بْنِ عُتْبَةَ

أَبُو حُذَيْفَةَ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ
مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ، غَلَبَتْ كِنْيَتُهُ عَلَى اسْمِهِ حَتَّى نُسِيَ فَقِيلَ :
قَيْسٌ، وَقِيلَ : هَشِيمٌ .

وَأُمُّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ مُحَرِّثِ الْكِنَانِيِّ .

كَانَ أَبُو حُذَيْفَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، طَوِيلًا، حَسَنَ الْوَجْهِ،
مُرَادِفَ الْأَسْنَانِ وَهُوَ الْأَثْعَلُ، وَكَانَ أَحْوَلَ .

وُلِدَ قَبْلَ الْبُعْثَةِ بِثَلَاثِينَ عَامًا فَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِعَشْرِ سَنَوَاتٍ، وَنَشَأَ فِي بَيْتِ عِزٍّ، وَكَانَ
أَبُوهُ يُعِدُّهُ لِيَكُونَ سَيِّدَ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ مَكَانَهُ، فَهُوَ خَلِيفَتُهُ إِذْ
أَنَّهُ مِنْ أَنْبَاءِ أَوْلَادِهِ .

تَزَوَّجَ سَهْلَةَ بِنْتَ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو، وَأَسْلَمَتْ،
وَهَاجَرَتْ مَعَهُ إِلَى الْحَبَشَةِ، وَأُنْجِبَتْ لَهُ مُحَمَّدٌ بْنُ أَبِي حُذَيْفَةَ

الَّذِي حَرَّضَ أَهْلَ مِصْرَ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
وَأَعَانَ عَلَيْهِ .

وَتَزَوَّجَ أَمِيَّةَ بِنْتَ عَمْرِو بْنِ حَرْبٍ بْنِ أُمِّيَّةَ ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ
عَاصِمًا .

وَتَزَوَّجَ ثُبَيْتَةَ بِنْتَ يَعَارِ الْأَنْصَارِيَّةَ مَوْلَاةَ سَالِمٍ ، وَقَدْ أَعْتَقَتْهُ
فَتَوَلَّى أَبَا حُذَيْفَةَ .

وَقَدْ انْقَرَضَ وَلَدُ أَبِي حُذَيْفَةَ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ .

وَأَخْتُهُ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ زَوْجُ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرِ بْنِ حَرْبٍ ، أُمُّ
مُعَاوِيَةَ .

إِسْلَامُ أَبِي حُذَيْفَةَ

كَانَ أَبُو حُذَيْفَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْأَوَائِلِ ، فَقَدْ أَسْلَمَ قَبْلَ أَنْ
يَدْخُلَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، دَارَ الْأَرْقَمِ بْنِ
أَبِي الْأَرْقَمِ الْمَخْزُومِيِّ . وَأَسْلَمَتْ مَعَهُ زَوْجُهُ سَهْلَةُ بِنْتُ
سَهْلٍ بْنِ عَمْرِو ، وَأَبُوهُ وَأَبُوهَا مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ ، وَمِنْ
كِبَارِ الَّذِينَ صَدُّوا عَنِ الدَّعْوَةِ .

وَوَصَلَ خَبَرُ إِسْلَامِ أَبِي حُذَيْفَةَ إِلَى أَبِيهِ عُتْبَةَ فَحَاوَلَ أَنْ

يَفْتَنَهُ عَنْ دِينِهِ، وَاتَّخَذَ الْإِعْرَاءَاتِ كُلَّهَا فِي سَبِيلِ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ عَجَزَ إِذْ كَانَ الْإِيمَانُ قَدْ رَسَخَ فِي نَفْسِ أَبِي حَذِيفَةَ فَلَا يُمَكِّنُ لِمَبَاهِجِ الدُّنْيَا كُلِّهَا وَمَفَاتِيحِهَا أَنْ تُغَيَّرَ شَيْئًا مِمَّا اسْتَقَرَّ فِي تِلْكَ النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةِ.

فِي الْحَبَشَةِ

لَمَّا اشْتَدَّ أذى المُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ ضُعَفَائِهَا وَزَادَ الضُّغْطُ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَبْنَائِهَا، وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُقَدِّمَ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ شَيْئًا أَشَارَ عَلَيْهِمُ بِالهِجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ، فَإِنَّ فِيهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عَنْدهُ أَحَدٌ.

اتَّجَهَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْحَبَشَةِ، فَخَرَجَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى عَشْرَةٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ مِنْهُمْ أَبُو حَذِيفَةَ، وَمَعَهُ زَوْجُهُ سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو، وَكَانَ خُرُوجُهُمْ فِي شَهْرِ رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ لِلْبُعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ.

لَمْ يَطِبِ الْمَقَامُ لِلْمُسْلِمِينَ فِي الْحَبَشَةِ لِقَلَّةِ عَدَدِهِمْ، وَبُعْدِهِمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ تَعَوَّدُوا

عَلَى تَلْقَى التَّوَجِيهِ الدَّائِمِ مِنْهُ، وَبُعْدِهِمْ عَنْ بَعْضِ ذَوِيهِمْ
الَّذِينَ لَمْ يَرَوْا مِنْهُمْ أَذَى، ، وَلَا خِتْلَافِهِمْ عَنْ الْمُجْتَمَعِ
الَّذِي أَقَامُوا بِهِ.

لَقَدْ سَرَتْ شَائِعَةٌ فِي الْحَبْشَةِ لَدَى الْمُسْلِمِينَ، وَهِيَ أَنَّ أَهْلَ
مَكَّةَ قَدْ دَانُوا بِالْإِسْلَامِ فَقَبِلَهَا بَعْضُهُمْ، وَقَرَّرُوا الْعَوْدَةَ، فَرَجَعَ
مِنْهُمْ عَدَدٌ كَانَ أَبُو حُذَيْفَةَ أَحَدَهُمْ، وَكَانَ رُجُوعُهُمْ فِي شَهْرِ
شَوَّالٍ مِنَ الْعَامِ نَفْسِهِ الَّذِي خَرَجُوا فِيهِ، وَهُوَ الْعَامُ الْخَامِسُ
مِنَ الْبِعْثَةِ، أَيْ أَنَّ مَدَّةَ غِيَابِهِمْ لَمْ تَزِدْ عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، وَقَدْ
وَلَدَتْ سَهْلَةً ابْنَهَا مُحَمَّدًا فِي الْحَبْشَةِ.

فِي مَكَّةَ

لَمَّا وَصَلَ الْعَائِدُونَ إِلَى مَكَّةَ وَجَدُوا أَنَّ مَا أُشِيرَ لَمْ يَكُنْ
صَحِيحًا، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخُلَ بِلَدِهِ إِلَّا مُتَخَفِيًا أَوْ
بِجَوَارِ أَحَدٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. وَمَا أَنْ دَخَلَ أَبُو حُذَيْفَةَ دَارَهُ حَتَّى
قَبِلَهُ وَالِدُهُ وَمَنَعَهُ مِنَ الْخُرُوجِ بِحُجَّةِ الْخَوْفِ مِنْ أَنْ يُعِيرَ بِهِ،
وَمَرَّتِ السَّنَوَاتُ وَلَمْ تُجِدْ وَسِيلَةً بِعُدُولِ عُتْبَةَ عَنْ مَوْقِفِهِ، وَلَمْ
تَنْفَعْ طَرِيقَةُ بَعْدَةِ أَبِي حُذَيْفَةَ إِلَى دِينِ آبَائِهِ بَعْدَ أَنْ هَدَاهُ اللَّهُ
لِلْإِيمَانِ.

والتقى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِعُصْبَةٍ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ فِي الْمَوْسِمِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَجَابُوا، وَتَوَاعَدُوا مَعَهُ فِي الْمَوْسِمِ الْقَادِمِ وَتَمَّ اللَّقَاءُ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الْأُولَى، وَضَرَبُوا مَوْعِدًا آخَرَ فِي الْمَوْسِمِ الْمُقْبِلِ وَحَدَّثَ الْاجْتِمَاعُ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ، وَبَعْدَهَا أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى أَصْحَابِهِ فِي مَكَّةَ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَبَدَأَ الْمُسْلِمُونَ يُهَاجِرُونَ فَوْجًا بَعْدَ آخَرِ جَمَاعَاتٍ وَأَفْرَادًا.

وَتَأَقَّتْ نَفْسُ أَبِي حُذَيْفَةَ لِلْهَجْرَةِ، وَامْتَلَأَتْ شَوْقًا لِلِقَاءِ الْإِخْوَةِ فِي اللَّهِ، وَلَمْ يَجِدْ بُدًّا لِتَحْقِيقِ هَذَا مِنْ أَنْ يُطَهَّرَ لِأَبِيهِ إِمْكَانِيَّةَ تَغْيِيرِ مَوْقِفِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ فَسَرَّعَتْهُ، وَعَفَا عَنْ وَلَدِهِ وَأَعْطَاهُ حُرِّيَّتَهُ فَانْطَلَقَ مُهَاجِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَنَفْسُهُ تَكَادُ تَطِيرُ فَرَحًا مِمَّا سَيَجِدُ فِي مَهْجَرِهِ، وَيَحْدُوهَا الْأَمَلُ الْعَظِيمُ بِالْحَيَاةِ الْهَيْئَةِ مَعَ إِخْوَانِهِ فِي الْإِسْلَامِ.

فِي الْمَدِينَةِ

وَصَلَ أَبُو حُذَيْفَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى الْمَدِينَةِ، وَنَزَلَ عَلَى عَبَّادِ بْنِ بَشْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَوَجَدَ الْحَفَاوَةَ وَالْكَرَمَ بَلْ وَجَدَ

الْأُخُوَّةَ، فَنَسِيَ كُلَّ مَا وَجَدَ سَابِقاً مِنْ أَدَى، وَتَذَوَّقَ الْحَيَاةَ الَّتِي
كَانَ يَحْلُمُ بِهَا.

وَهَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَآخَى بَيْنَ
الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَدِينَةِ، فَآخَى بَيْنَ أَبِي حُذَيْفَةَ وَبَيْنَ عَبَّادِ بْنِ
بِشْرِ، فَعَاشَا أَخَوَيْنِ، وَاسْتَمَرَّا مَعاً حَتَّى اسْتَشْهَدَا مَعاً فِي
الْيَمَامَةِ.

وَاتَّسَعَ بَيْتُ أَبِي حُذَيْفَةَ فِي الْمَدِينَةِ، إِذْ تَزَوَّجَ ثُبَيْتَةَ بِنْتَ
يَعَارِ الْأَنْصَارِيَّةِ، وَضَمَّ الْبَيْتَ أَيْضاً سَالِماً الَّذِي أَعْتَقَتْهُ ثُبَيْتَةُ
فَتَوَلَّى أَبَا حُذَيْفَةَ.

بَدَأَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُرْسِلُ السَّرَايَا،
وَيَقُودُ الْغَزَوَاتِ، لِدِرَاسَةِ الْمَنْطِقَةِ الَّتِي يَتَوَقَّعُ أَنْ يَكُونَ
الْصَّدَامُ فِيهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ،
وَلِتَعْرِفَ عَلَى رِجَالِ قَبَائِلِ الْمَنْطِقَةِ، وَمُحَاوَلَةً رَبِطَهُمْ مَعَ
الْمُسْلِمِينَ لِيَكُونُوا بِجَانِبِهِمْ وَقْتَ الشَّدَّةِ، أَوْ لِيَقْفُوا عَلَى الْأَقْلِ
عَلَى الْحِيَادِ فِيمَا إِذَا وَقَعَ الصَّدَامُ إِذْ أَنْ قُرَيْشاً لَهَا مَعَ أَوْلِيكَ
الرِّجَالِ صِلَاتٌ نَتِيجَةُ مُرُورِ قَوَائِلِهَا فِي دِيَارِهِمْ ذَاهِبَةً وَآيَةً
إِلَى الشَّامِ، وَقَدْ تَمَّ هَذَا، وَلِتَعْرِضَ لِعَبْرِ قُرَيْشٍ إِنْذَاراً لَهَا
وَتَهْدِيداً وَتَشْجِيعاً لِلْمُسْلِمِينَ وَتَذْرِيباً، وَرَفْعاً لِلْمَعْنَوِيَّاتِ

وَحَمَاسَةً . وَقَدْ قَامَتِ الْغَزَوَاتُ وَالسَّرَايَا بِمُهِمَّتِهَا وَحَقَّقَتْ
أُغْرَاضَهَا .

لَقَدْ اِقْتَصَرَتْ هَذِهِ الْغَزَوَاتُ وَالسَّرَايَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ
دُونَ الْأَنْصَارِ حَيْثُ لَهُمْ حَقٌّ فِي الْعِيرِ الْقُرَيْشِيَّةِ إِذْ أَنْتَهُمْ قَدْ
غَادَرُوا بِلَدَهُمْ وَقَدْ تَرَكُوا أَمْلَاكَهُمْ فَأَخَذَهَا الْمُشْرِكُونَ ، وَتَوَجَّدَ
عَدَاوَةٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ إِذْ أُجْبِرَ
الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْهَجْرَةِ لِمَا أَصَابَهُمْ مِنْ أذى عَلَى أَيْدِي
الْمُشْرِكِينَ عَلَى حِينٍ لَا تُوجَدُ تِلْكَ الْعَدَاوَةُ بَيْنَ مُشْرِكِي مَكَّةَ
وَالْأَنْصَارِ فِي الْمَدِينَةِ .

وَقَدْ سَاهَمَ أَبُو حُدَيْفَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فِي هَذِهِ الْغَزَوَاتِ
وَالسَّرَايَا بِصِفَتِهِ أَحَدِ هَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرِينَ ، وَكَانَ بَطْلاً مِنْ أَبْطَالِهَا .
وَقَدْ اشْتَرَكَ فِي أَهَمِّ سَرِيَّةٍ ، وَهِيَ سَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ ، وَالتَّي
كَانَتْ مُهِمَّتُهَا الْوُصُولُ إِلَى نَخْلَةٍ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ وَتَرَصُّدَ
قُرَيْشٍ ، وَمَعْرِفَةَ أَخْبَارِهَا . وَقَدْ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، أَمِيرَ السَّرِيَّةِ ، أَلَّا يَنْظُرَ فِي الْكِتَابِ حَتَّى يَسِيرَ يَوْمَيْنِ
وَبَعْدَهَا يَفْضُ الْكِتَابَ وَيَرَى مَا فِيهِ ، فَيَمْضِي لِمَا أَمَرَ بِهِ ، وَلَا
يَسْتَكْرِهُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا سَارَ يَوْمَيْنِ فَتَحَ الْكِتَابَ فَنَظَرَ
فِيهِ ، فَإِذَا فِيهِ : إِذَا نَظَرْتَ فِي كِتَابِي هَذَا فَاْمْضِ حَتَّى تَنْزِلَ

نَحْلَةَ، بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ، فَتَرَصَّدَ بِهَا قُرَيْشًا وَتَعَلَّمَ لَنَا مِنْ
أَخْبَارِهِمْ. فَلَمَّا نَظَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ فِي الْكِتَابِ، قَالَ: سَمِعَا
وَطَاعَةً، ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: قَدْ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَنْ أَمْضِيَ إِلَى نَحْلَةَ، أَرُصِدُ بِهَا قُرَيْشًا، حَتَّى آتِيَهُ مِنْهُمْ
بِخَبَرٍ، وَقَدْ نَهَانِي أَنْ اسْتَكْرِهَ أَحَدًا مِنْكُمْ. فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُرِيدُ
الشَّهَادَةَ وَيَرْغَبُ فِيهَا فَلْيَنْطَلِقْ، وَمَنْ كَرِهَ ذَلِكَ فَلْيَرْجِعْ؛ فَأَمَّا أَنَا
فَمَاضٍ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَضَى
وَمَضَى مَعَهُ أَصْحَابُهُ، لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ. وَأَضَلَّ
سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ بَعِيرًا لَهُمَا كَانَا
يَتَعَقَّبَانِهِ، وَمَضَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ وَأَصْحَابُهُ الْخَمْسَةُ
الْبَاقِينَ حَتَّى نَزَلُوا نَحْلَةَ، فَمَرَّتْ بِهِمْ عِيرُ لِقُرَيْشٍ تَحْمِلُ زَيْبًا
وَأَدَمًا، وَتِجَارَةً مِنْ تِجَارَةِ قُرَيْشٍ، فِيهَا عَمْرُو ابْنُ
الْحَضْرَمِيِّ، وَتَشَاوَرَ الْمُسْلِمُونَ فِي الصَّدَامِ مَعَ الْعَيْرِ، وَكَانَ
آخِرُ أَيَّامِ شَهْرِ رَجَبٍ، خَانَ قَاتِلُوهُمْ كَانَتْ قِتَالُهُمْ فِي الشَّهْرِ
الْحَرَامِ، وَإِنْ تَرَكُوهُمْ دَخَلُوا الْحَرَمَ فِي الْيَوْمِ التَّالِي، وَالْحَرَمُ
آمِنٌ، فَتَرَدَّدُوا، وَهَابُوا الْإِقْدَامَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ شَجَّعُوا أَنْفُسَهُمْ
عَلَيْهِمْ، وَأَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِ مَنْ قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْهُمْ، وَأَخَذَ مَا
مَعَهُمْ، وَتَمَكَّنُوا مِنْ قَتْلِ عَمْرُو ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ بِسَهْمٍ،

وَأَسْرُوا عُثْمَانَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ^(١)، وَالْحَكَمَ بْنَ كَيْسَانَ^(٢)، وَأُفِلْتَ
الْبَاقُونَ بَعْدَ أَنْ تَرَكُوا الْعِيرَ غَنِيمَةً لِلْمُسْلِمِينَ، وَقَسَمَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ الْعِيرَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ بَعْدَ أَنْ تَرَكَ خُمْسَهَا
لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اجْتِهَاداً مِنْهُ وَذَلِكَ قَبْلَ
أَنْ يَفْرِضَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْخُمْسَ مِنَ الْغَنَائِمِ .

فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى الْمَدِينَةِ جَرَى خِلَافٌ عَلَى الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ
الْحَرَامِ، وَأُوقِفَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْعِيرَ
وَالْأَسِيرِينَ، وَرَفَضَ أَنْ يَأْخُذَ شَيْئاً، وَخَافَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
جَحْشٍ وَإِخْوَانُهُ مِنْ أَنْ يَكُونُوا قَدْ ارْتَكَبُوا حَرَاماً حَتَّى أَنْزَلَ
اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ
فِيهِ، قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ، وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ، وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ
الْقَتْلِ، وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ
اسْتَطَاعُوا، وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ
حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ . البقرة . ٢١٧ .

(١) عثمان بن عبد الله : لحق بمكة ومات بها كافراً .

(٢) الحكم بن كيسان : أسلم ، وأقام عند رسول الله ، واستشهد في بشر
معونة .

عِنْدَهَا قَبْضَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْعِيرَ
وَالْأَسِيرِينَ . وَكَانَتْ هَذِهِ أَوَّلَ غَنِيمَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ، وَعَمَرُوا ابْنَ
الْحَضْرَمِيِّ أَوَّلَ قَيْلٍ قَتَلَهُ الْمُسْلِمُونَ، وَالْحَكَمُ بْنُ كَيْسَانَ
وَعُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَوَّلَ أَسْرَاهُمْ .
وَطَمَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ فِي غَزْوَةٍ يَكُونُ لَهُمْ فِيهَا أَجْرُ
الْمُجَاهِدِينَ .

فِي بَدْرِ

وَعَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِخَبَرِ قُدُومِ
قَافِلَةِ لِقْرِيشٍ بِإِمْرَةِ أَبِي سُفْيَانَ تَسِيرُ إِلَى الشَّامِ فَخَرَجَ لَهَا فَلَمْ
يُذَرِكْهَا، فَتَرَقَّبَ عَوْدَتَهَا، وَوَضَعَ لَهَا مَنْ يَرْصُدُ رُجُوعَهَا، فَلَمَّا
خَبِرَ بِدُنُوءِهَا اسْتَنْهَضَ أَصْحَابَهُ فَخَرَجُوا إِلَيْهَا غَيْرَ أَنَّهُمَا نَجَبَتْ
بِتَغْيِيرِ طَرِيقِهَا، وَأَرْسَلَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى مَكَّةَ مِنْ يُنْبِئُهُ قُرَيْشًا
لَا نَقَازَ عِيَرِهِمْ، فَخَرَجَتْ قُرَيْشُ تُرِيدُ قَافِلَتَهَا، وَمُصَمِّمَةً عَلَى
تَأْدِيبِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ - عَلَى زَعْمِهَا - وَشَاءَ اللَّهُ أَنْ يَلْتَقِيَ
الْجَمْعَانِ فِي بَدْرِ .

وَكَانَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَالِدُ أَبِي حُذَيْفَةَ فِي قُرَيْشٍ وَهُوَ كَبِيرُهَا
وَسَيِّدُهَا الْمُطَاعُ، وَقَدْ كَلَّمَهُ حَكِيمٌ بْنُ حِزَامٍ بِالْعَوْدَةِ إِلَى النَّاسِ
بَعْدَ أَنْ نَجَبَتِ الْقَافِلَةُ، فَوَقَفَ خَطِيبًا فِي النَّاسِ فَقَالَ: «يَا

مَعَشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّكُمْ وَاللَّهِ مَا تَصْنَعُونَ بِأَنْ تَلْقَوْا مُحَمَّدًا
وَأَصْحَابَهُ شَيْئًا ، وَاللَّهِ لَئِنْ أَصَبْتُمُوهُ لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَنْظُرُ فِي
وَجْهِ رَجُلٍ يَكْرَهُ النَّظَرَ إِلَيْهِ ، قَتَلَ ابْنَ عَمِّهِ ، أَوْ ابْنَ خَالِهِ ، أَوْ
رَجُلًا مِنْ عَشِيرَتِهِ ، فَارْجَعُوا وَخَلُّوا بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَبَيْنَ سَائِرِ
العَرَبِ ، فَإِنْ أَصَابُوهُ فَذَاكَ الَّذِي أَرَدْتُمْ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ
الْفَاكَمْ وَلَمْ تَعَرَّضُوا مِنْهُ مَا تُرِيدُونَ . غَيْرَ أَنَّ أَبَا جَهْلَ بْنَ
هِشَامٍ قَدْ اتَّهَمَهُ بِالْجُبْنِ ، وَالْخَوْفِ عَلَى ابْنِهِ أَبِي حُدَيْفَةَ الَّذِي
هُوَ فِي صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ . وَحَرَّضَ عَامِرَ ابْنَ الْحَضْرَمِيِّ أَخَا
ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ الَّذِي قَتَلَهُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى إِثَارَةِ الْحَرْبِ
فَفَعَلَ ، وَتَعَبَّاتِ النَّفُوسُ ، وَاحْمَرَّتِ الْعُيُونُ .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَدْ قَالَ لِأَصْحَابِهِ
يَوْمَ بَدْرٍ : إِنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَغَيْرِهِمْ قَدْ
أُخْرِجُوا كَرْهًا ، لَا حَاجَةَ لَهُمْ بِقِتَالِنَا ، فَمَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدًا مِنْ
بَنِي هَاشِمٍ فَلَا يَقْتُلُهُ ، وَمَنْ لَقِيَ أَبَا الْبَخْتَرِيِّ بْنَ هِشَامٍ بْنَ
الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ^(١) فَلَا يَقْتُلُهُ ، وَمَنْ لَقِيَ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ

(١) أَبُو الْبَخْتَرِيِّ : كَانَ قَدْ كَفَّ الْقَوْمَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَكَانَ لَا يُؤْذِيهِ ، وَلَا يَبْلُغُهُ عَنْ شَيْءٍ يَكْرَهُهُ ، وَكَانَ مِمَّنْ قَامَ فِي نَقْضِ
الصَّحِيفَةِ الَّتِي كَتَبَتْهَا قُرَيْشٌ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ . وَحَاوَلَ
الْمُسْلِمُونَ عَدَمَ قَتْلِهِ ، وَأَخَذَهُ أَسِيرًا فَلَمْ يَفْلَحُوا لِأَنَّهُ اجْتَهَدَ فِي قِتَالِهِمْ
فَقَتَلَ . وَيَدْعَى الْعَاصِمُ بْنُ هِشَامٍ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ .

المُطْلَبِ عَمَّ رَسُولُ اللَّهِ فَلَا يَقْتُلُهُ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا أُخْرِجَ مُسْتَكْرِهًا. فَقَالَ أَبُو حُدَيْفَةَ: أَنْقُتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَتَنَا وَعَشِيرَتَنَا، وَتَتْرُكُ الْعَبَّاسَ! وَاللَّهِ لَئِنْ لَقِيتُهُ لِأَلْحَمِّنُهُ السَّيْفَ. فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: يَا أَبَا حَفْصٍ أَيْضَرَبُ وَجْهَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي فَلَأَضْرِبُ عُنُقَهُ بِالسَّيْفِ فَوَاللَّهِ لَقَدْ نَافَقَ.

كَلِمَةً خَرَجَتْ مِنْ فَمِ أَبِي حُدَيْفَةَ فِي سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الضَّعْفِ الْبَشَرِيِّ، وَإِنَّهُ قَدْ نَدِمَ عَلَيْهَا، وَبَقِيَ خَائِفًا مِنْهَا مَدَى حَيَاتِهِ، فَمَا أَنْ التَّقَى الْجَمْعَانِ حَتَّى خَرَجَ يَطْلُبُ مُبَارَزَةَ أَبِيهِ لِيَبْرَهِنَ عَنْ إِيمَانِهِ الْعَمِيقِ، وَلِيُعْلِنَ أَنَّ كَلَامَهُ الَّذِي تَفَوَّهَ فِيهِ قَدْ كَانَ خَطَأً، وَأَنَّهُ سَيُكْفِّرُ عَنْ خَطِيئِهِ بِالْأَعْمَالِ لَا بِالْأَقْوَالِ، وَلِتَسْمَعَ الدُّنْيَا كُلُّهَا أَنَّ رَابِطَةَ الدَّمِ تَحْتَ قَدَمِهِ. وَكَانَ دَائِمًا يَقُولُ: مَا أَنَا بِأَمِنٍ مِنْ تِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي قُلْتُ يَوْمَئِذٍ، وَلَا أَزَالُ مِنْهَا خَائِفًا، إِلَّا أَنْ تُكْفِّرَهَا عَنِّي الشَّهَادَةُ.

وَعِنْدَمَا اصْطَفَى الطَّرْفَانِ لِلْقِتَالِ تَحَرَّكَ الْإِيمَانُ فِي صَدْرِ أَبِي حُدَيْفَةَ، وَالْقِيَتِ أَرْضًا رَوَابِطُ الْقَرَابَةِ مِنْ أُبُوَّةٍ وَبُنُوَّةٍ وَعَشِيرَةٍ وَكُلِّ أَوَاصِرِ الصَّلَةِ، وَجَمِيعِ الْوَشَائِجِ الَّتِي عَرَفَهَا

الدُّنْيَا بِاسْتِثْنَاءِ رَابِطَةِ الْإِيْمَانِ فَخَرَجَ أَبُو حُذَيْفَةَ يَطْلُبُ مُبَارَزَةَ
أَبِيهِ إِيْمَانًا بِالْحَقِّ وَتَكْفِيرًا لِمَا سَبَقَ أَنْ قَالَ، فَقَالَتْ فِي ذَلِكَ
أُخْتُهُ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ.

الْأَحْوَلُ الْأَتْعَلُ الْمَشْوُومُ طَائِرُهُ
أَبُو حُذَيْفَةَ شَرُّ النَّاسِ فِي الدِّينِ
أَمَّا شَكَرَتْ أَبَا رَبَّكَ مِنْ صِغَرٍ
حَتَّى شَبَّتَ شَبَابًا غَيْرَ مَحْجُونٍ؟

وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَهَاهُ وَأَعَادَهُ.
وَلَكِنَّ أَبَاهُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ قَدْ خَرَجَ إِلَى مَا بَيْنَ الصُّفُوفِ بَيْنَ
أَخِيهِ شَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَابْنِهِ الْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَطَلَبَ الْمُبَارَزَةَ
رَدًّا عَلَى كَلَامِ أَبِي جَهْلٍ الَّذِي اتَّهَمَهُ بِالْجُبْنِ وَالْخَوْفِ عَلَى
ابْنِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، هُمْ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ،
وَعَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ وَأَخُوهُ مُعَوَّذُ بْنُ الْحَارِثِ. فَقَالَ عُتْبَةُ:
مَنْ أَنْتُمْ، فَقَالُوا: رَهْطٌ مِنَ الْأَنْصَارِ. فَقَالَ عُتْبَةُ: مَا لَنَا بِكُمْ
مِنْ حَاجَةٍ. ثُمَّ نَادَى مُنَادِيهِمْ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْرِجِ إِلَيْنَا أَكْفَاءَنَا
مِنْ قَوْمِنَا؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُمْ يَا
عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ، وَقُمْ يَا حَمْزَةُ، وَقُمْ يَا عَلِيٌّ. فَلَمَّا قَامُوا
وَدَنُوا مِنْهُمْ. قَالَ عُتْبَةُ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَعَرَفُوا أَنْفُسَهُمْ. فَقَالَ عُتْبَةُ:

نَعَمْ أَكْفَاءُ كِرَامٍ، إِنَّمَا نُرِيدُ قَوْمَنَا. وَمَا هِيَ إِلَّا جَوْلَةٌ حَتَّى صَرََعَ
 الْمُسْلِمُونَ الْمُبَارِزُونَ خُصُومَهُمُ الَّذِينَ أَمَامَهُمْ، وَهَكَذَا قُتِلَ
 وَالِدُ أَبِي حُذَيْفَةَ، وَعَمُّهُ، وَأَخُوهُ، وَعَيْنُ أَبِي حُذَيْفَةَ تَنْظُرُ
 فَغَلَبَهَا الدَّمْعُ. وَعِنْدَمَا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
 بِهِمْ أَنْ يُلْقُوا فِي الْقَلْبِ، أَخَذَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ فَسَحِبَ إِلَى
 الْقَلْبِ، فَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي وَجْهِ
 أَبِي حُذَيْفَةَ بْنِ عُتْبَةَ، فَإِذَا هُوَ كَثِيبٌ قَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا
 حُذَيْفَةَ، لَعَلَّكَ قَدْ دَخَلَكَ مِنْ شَأْنِ أَبِيكَ شَيْءٌ؟ فَقَالَ: لَا،
 وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا شَكَّتُ فِي أَبِي وَلَا فِي مَصْرَعِهِ،
 وَلَكِنِّي كُنْتُ أَعْرِفُ مِنْ أَبِي رَأْيًا وَحِلْمًا وَفَضْلًا، فَكُنْتُ
 أَرْجُو أَنْ يَهْدِيَهُ ذَلِكَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ مَا أَصَابَهُ،
 وَذَكَرْتُ مَا مَاتَ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، بَعْدَ الَّذِي كُنْتُ أَرْجُو لَهُ،
 أَحْزَنَنِي ذَلِكَ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
 بِخَيْرٍ، وَقَالَ لَهُ خَيْرًا.

الفوزُ بالشَّهَادَةِ

شَهِدَ أَبُو حُذَيْفَةَ بَعْدَ بَدْرٍ كُلِّ الْمَشَاهِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا تَخَلَّفَ عَنْ غَزْوَةٍ وَمَا تَأَخَّرَ عَنْ مَشْهَدٍ، وَفِي
 كُلِّ مَرَّةٍ لَا يَتَكَلَّمُ أَبَدًا، خَائِفًا مِمَّا بَدَرَ مِنْهُ مِنْ قَوْلٍ فِي مَعْرَكَةٍ بَدْرٍ،

وَلَكِنْ مَا أَنْ يَبْدَأَ الْقِتَالُ حَتَّى يَنْطَلِقَ كَالسَّهْمِ مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ
يَطْلُبُ الشَّهَادَةَ، وَيَنْدَفِعُ بِقُوَّةٍ لَا يُبَالِي عَدُوًّا.

وَأَنْتَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى الرَّفِيقِ
الْأَعْلَى، وَهُوَ عَنْ أَبِي حُذَيْفَةَ رَاضٍ.

وَارْتَدَّتِ الْعَرَبُ، وَسَيَّرَ أَبُو بَكْرٍ لَهُمُ الْجُيُوشَ فَكَانَ أَبُو
حُذَيْفَةَ مِنْ أَوَّلِ الْمُتَطَوِّعِينَ لِلْجِهَادِ، وَأَنْطَلَقَ إِلَى الْيَمَامَةِ مَعَ
خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَقَاتَلَ بِضَرَاوَةَ حَتَّى لَقِيَ الشَّهَادَةَ فَفَرَّتْ عَيْنُهُ
بِهَا إِذْ عَلِمَ أَنَّهَا كَانَتْ تَكْفِيرًا لِكُلِّ مَا بَدَرَ مِنْهُ قَوْلًا أَوْ عَمَلًا -
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ -.

بُـنَاةُ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ

- ٢٦ -

سَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ
الَّذِينَ هُمْ عَنْ رَسُولِهِ مُنْتَفِعُونَ

رَضِيََ اللَّهُ عَنْهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ
الْمُرْسَلِينَ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ الْإِسْلَامَ قَدْ سَاوَى بَيْنَ النَّاسِ وَأَزَالَ الطَّبَقَاتِ وَقَضَى
عَلَى الْفُرُوقِ وَالْحَوَاجِزِ الْقَائِمَةِ الَّتِي تَفْصِلُ الْمُجْتَمَعَ إِلَى
فِئَاتٍ وَتُمَيِّزُ بَيْنَهَا عَلَى أَسَاسِ الْأَصْلِ وَالْجِنْسِ وَاللَّوْنِ وَمَا
إِلَى ذَلِكَ مِنْ تَبَايُنٍ وَخِلَافَاتٍ، وَأَمَّا الْفُرُوقُ فِي الْمَوَاهِبِ
الْفِكْرِيَّةِ وَمَا يَنْتُجُ عَنْهَا مِنْ اخْتِلَافٍ فِي الْمِهْنَةِ وَالْكَسْبِ،
وَالْفُرُوقُ فِي الْإِمْكَانَاتِ الْجَسْمِيَّةِ وَمَا يَنْتُجُ عَنْهَا مِنْ تَبَايُنٍ فِي
الْقُوَّةِ، وَإِمْكَانِيَّةِ فِي تَحْصِيلِ الْمَعَاشِ، وَالْفُرُوقُ فِي
الْإِنْجَابِ مِمَّا يَزِيدُ فِي الْإِثْنَجِ وَيُؤَدِّي إِلَى الْمُفَاخَرَةِ
وَالْإِعْجَابِ فَإِنَّ هَذَا لَا يُبَالِي بِهِ الْإِسْلَامُ، وَإِنَّمَا يَجْعَلُ التَّمَايُزَ
فِي التَّقْوَى إِذْ بِهَا يَكُونُ الْإِخْلَاصُ وَالِاسْتِقَامَةُ وَالْمَحَبَّةُ وَمَعْرِفَةُ
الْمُهْمَةِ الْمُنَاطَةِ بِالْمَرْءِ.

وَإِذَا كَانَ الْإِسْلَامُ قَدْ اعْتَرَفَ بِالرَّقِيقِ كَجُزءٍ مِنَ النِّظَامِ
الاجْتِمَاعِيِّ الْقَائِمِ ، وَأَقْرَهُ كَمَرَحَلَةٍ مِنَ الْمَرَاحِلِ التَّارِيخِيَّةِ ،
إِلَّا أَنَّهُ قَدْ ضَيَّقَ مَصَادِرَهُ فَاقْتَصَرَ عَلَى مَا يُؤْخَذُ فِي الْحُرُوبِ
كَمُعَامَلَةٍ بِالْمِثْلِ ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ فَقَدْ وَسَّعَ طُرُقَ تَصْرِيْفِهِ
فِي الْعِتْقِ وَالصَّدَقَاتِ وَالْكَفَّارَاتِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ ، وَجَعَلَ
الْأُخُوَّةَ قَائِمَةً فِي الْإِسْلَامِ بَيْنَ السَّيِّدِ وَمَوْلَاهُ فَكَانَ أَنْ ارْتَفَعَ
عَدَدٌ مِنْ أَصْحَابِ الْإِمْكَانَاتِ مِمَّنْ كَانُوا عَبِيداً حَتَّى وَصَلُوا إِلَى
الْقِمَّةِ فَكَانَ مِنْهُمْ قَادَةُ أَمْثَالِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ، وَكَانَ مِنْهُمْ أَيْمَةٌ
وَقُرَاءُ أَمْثَالِ سَالِمٍ وَكَانَ لِبَعْضِهِمْ دَوْرٌ فِي الطَّلَائِعِ أَمْثَالِ بِلَالٍ
وَصُهَيْبٍ وَعَمَّارٍ وَسَلْمَانَ وَ وَرُبَّمَا يَصِلُ الْأَمْرُ إِلَى أْبَعَدِ
مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ يَتَوَلَّى إِمْرَةَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهَذَا نَذْكُرُ قَوْلَةَ عُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عِنْدَمَا طُعِنَ ، وَطُلِبَ مِنْهُ تَعْيِينُ
خَلِيفَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدَهُ : « لَوْ كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ حَيًّا لَوَلَّيْتُهُ ، وَلَوْ كَانَ
سَالِمٌ حَيًّا لَوَلَّيْتُهُ » .

وَيَعُدُّ سَالِمٌ أُنْمُوذَجًا لِمَنْ رَفَعَهُمُ الْإِسْلَامُ ، وَسَاوَى بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَ سَادَتِهِمْ فِي السَّابِقِ بَلْ رُبَّمَا تَفَوْقَ بَعْضُهُمْ عَلَى سَيِّئِهِ ،
وَهَذَا مَا كَانَتْ تَخْشَاهُ الْجَاهِلِيَّةُ وَيَخَافُهُ طُغَاثُهَا .

أَرْجُو مِنَ اللَّهِ أَنْ أُوفَّقَ فِي إِعْطَاءِ صُورَةٍ صَادِقَةٍ عَنْ هَذَا

الصَّحَابِي الْجَلِيلِ سَالِمِ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَأَسْأَلُهُ تَعَالَى
التَّوْفِيقَ وَالصَّدْقَ وَالْإِخْلَاصَ فِي الْعَمَلِ وَسَدَادَ الْخُطَا،
والتَّأْيِيدَ فَهُوَ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ.

يَعُودُ سَالِمٌ فِي أَصْلِهِ إِلَى اصْطِخْرَ مِنْ بِلَادِ فَارِسٍ ، وَلَمْ
يَعْرِفِ التَّارِيخُ اسْمَهُ الْفَارِسِيِّ الْقَدِيمَ ، وَإِنَّمَا حَفِظَ لَنَا الْاسْمُ
الَّذِي أُطْلِقَ عَلَيْهِ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ يَعُودُ إِلَى سَبِيهِ
وَهُوَ صَغِيرٌ ، بَلْ لَا نَعْرِفُ إِلَى مَنْ آلَتْ مُلْكِيَّتُهُ ، وَإِنَّمَا أَوَّلُ مَا
نَذْكُرُ أَنَّهُ عِنْدَ ثُبَيْتَةَ بِنْتِ يِعَارِ الْأَنْصَارِيَّةِ مِنْ بَنِي عُبَيْدِ بْنِ
زَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ مِنَ الْأَوْسِ ،
لِذَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ أحياناً سَالِمُ بْنُ عُبَيْدٍ ، كَمَا يُقَالُ لَهُ سَالِمُ بْنُ
مَعْقِلٍ وَبِهَذَا يُعَدُّ مِنَ الْأَنْصَارِ . وَقَدْ أَسْلَمَتْ ثُبَيْتَةُ ، وَأَسْلَمَ
سَالِمٌ ، وَأَعْتَقَتْهُ ، وَكَانَ ذَا صَوْتٍ نَدِيٍّ وَقِرَاءَةٍ عَذْبَةٍ مِمَّا يَدُلُّ
عَلَى أَنَّ مَجِيئَهُ إِلَى بِلَادِ الْعَرَبِ كَانَ فِي حَدَاثَةٍ سِنِهِ حَتَّى نَشَأَ
مُجِيداً لِلُّغَةِ مُحْسِناً لِلنُّطْقِ مُتَقِناً لِإِخْرَاجِ الْحُرُوفِ مِنْ
مَخَارِجِهَا الصَّحِيحَةِ ، وَكَانَ حَفِظُهُ لِكِتَابِ اللَّهِ جَيِّدًا .

وَبَدَأَ الْمُهَاجِرُونَ مِنْ مَكَّةَ يَفْدُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ بِإِشَارَةٍ مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَعْدَ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ

فَنَزَلُوا بِالْعُصْبَةِ إِلَى جَنْبِ قُبَاءَ فَكَانَ سَالِمٌ يُؤْمُهُمُ لِلصَّلَاةِ وَفِيهِمْ
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَأَبُو سَلَمَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ
الْمَخْزُومِيُّ لِأَنَّهُ كَانَ أَكْثَرَهُمْ قُرْآنًا، وَذَلِكَ قَبْلَ قُدُومِ رَسُولِ
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى الْمَدِينَةِ.

وَلَمَّا تَزَوَّجَ أَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ ثُبَيْتَةَ تَوَلَّى سَالِمٌ أَبَا حُذَيْفَةَ
فَأَصْبَحَ يُنْسَبُ إِلَيْهِ فَيَقَالُ سَالِمٌ بْنُ أَبِي حُذَيْفَةَ، وَبِذَا يُعَدُّ مِنَ
الْمُهَاجِرِينَ لِلْسَبَبِ هَذَا، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا
جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ، وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ
اللَّائِي تَظَاهَرُونَ مِنْهُمْ أُمَّهَاتِكُمْ، وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ
أَبْنَاءَكُمْ، ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ، وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ
يَهْدِي السَّبِيلَ. ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ، فَإِنْ لَمْ
تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ، وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ
جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ، وَكَانَ اللَّهُ
غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(١)، فَأَصْبَحَ يُقَالُ لَهُ بَعْدَهَا سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي
حُذَيْفَةَ.

وَأَدْرَكَ سَالِمٌ مَا يُدْرِكُ الرِّجَالُ، وَبَقِيَ يَدْخُلُ عَلَى بَيْتِ أَبِي
حُذَيْفَةَ فِي دَارِ ثُبَيْتَةَ مَوْلَاةِ سَالِمِ السَّابِقَةِ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِرَسُولِ

(١) سورة الأحزاب ٤ - ٥.

اللَّهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَتْ: إِنِّي أَرَى ذَاكَ فِي وَجْهِ أَبِي حُذَيْفَةَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرْضِعِيهِ، فَقَالَتْ: إِنَّهُ ذُو لِحْيَةٍ، قَالَ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ ذُو لِحْيَةٍ، فَإِذَا أَرْضَعْتِيهِ فَقَدْ حَرَّمَ عَلَيْكَ مَا يَحْرُمُ مِنْ ذِي الْمَحْرَمِ. وَقَدْ أَبِي سَائِرُ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِنَّ أَحَدٌ بِهَذَا الرِّضَاعِ، وَقُلْنَ إِنَّمَا هَذَا رُخْصَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِسَالِمٍ خَاصَّةً. وَقَدْ ذَكَرَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ خَالَتَهُ عَائِشَةَ إِنَّمَا أَخَذَتْ بِذَلِكَ مِنْ بَيْنِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَهَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَآخَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَآخَى بَيْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ وَبَيْنَ سَالِمٍ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى مَكَانَةِ سَالِمٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً وَبَيْنَ الْأَنْصَارِ خَاصَّةً.

وَأُذِنَ لِلْمُسْلِمِينَ بِالْقِتَالِ ﴿١٧٦﴾ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأَنَّهُمْ ظُلُمُوا، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ، وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبُيُوعُ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا، وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ

عَزِيزٌ»^(١). فَبَدَأَ الصَّرَاعُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَدَارَتْ
الْمَعَارِكُ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ ، وَاشْتَرَكَ سَالِمٌ فِي الْغَزَوَاتِ كُلِّهَا ،
وَحَضَرَ الْمَشَاهِدَ جَمِيعَهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، بَدَأَ مِنْ بَدْرِ وَحَتَّى تَبُوكَ ، وَكَانَ فِي هَذِهِ الْغَزَوَاتِ
بِجَانِبِ أَبِي حُذَيْفَةَ ، مَا تَخَلَّفَ عَنْ مَشْهَدٍ وَلَا تَأَخَّرَ عَنْ مَعْرَكَةٍ .

وَقَدْ عَامَلَ أَبُو حُذَيْفَةَ سَالِمًا مُعَامَلَةً إِسْلَامِيَّةً تَلِيْقُ بِهِ ، فَكَانَ
يُطْعِمُهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَيُلْبِسُهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَقَدْ أَكْرَمَهُ أَيْضًا ، فَرَوَّجَهُ ابْنَةُ
أَخِيهِ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ .

وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الصَّوْتِ النَّدِيِّ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، فَعَنْهُ أُمَّ
الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : اسْتَبْطَأَنِي رَسُولُ
اللَّهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَقَالَ : مَا حَبَسَكَ ؟ قُلْتُ : إِنَّ فِي الْمَسْجِدِ
لَأَحْسَنَ مَنْ سَمِعْتُ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ ، وَخَرَجَ
يَسْمَعُهُ ، فَإِذَا هُوَ سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ ، فَقَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مِثْلَكَ »^(٢) .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ عَنْ طَرِيقٍ

(١) سورة الحج ٣٩ - ٤٠ .

(٢) أخرجه أحمد وأبو نعيم .

مَسْرُوقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ، أَنَّ رَسُولَ
 اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ
 مِنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ وَأَبِي بَنْ كَعْبٍ
 وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ » . وَتُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ .

الْفَوْزُ بِالشَّهَادَةِ

عِنْدَمَا ارْتَدَّتِ الْعَرَبُ ، وَتَطَوَّعَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْجِهَادِ ،
 وَسَارَتِ الْجُيُوشُ إِلَى الْمُتَرَدِّينَ ، كَانَ سَالِمٌ مَعَ أَبِي حُذَيْفَةَ فِي
 الْجَيْشِ الَّذِي سَارَ بِإِمْرَةِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى الْيَمَامَةِ ، وَكَانَ
 لِيَوَاءِ الْمُهَاجِرِينَ مَعَ سَالِمٍ . فَلَمَّا انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ فِي بَدَايَةِ
 الْأَمْرِ ، قِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : بِئْسَ حَامِلُ الْقُرْآنِ أَنَا - يَعْنِي
 إِنْ فَرَرْتُ - ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : مَا هَكَذَا كُنَّا نَفْعَلُ مَعَ رَسُولِ
 اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَحَفَرَ لِنَفْسِهِ حُفْرَةً فَقَامَ فِيهَا ،
 تَصْمِيمًا عَلَى الثَّبَاتِ وَقَاتَلَ حَتَّى اسْتُشْهِدَ . وَقِيلَ : إِنْ يَمِينُهُ قَدْ
 قُطِعَتْ فَأَخَذَ اللَّوَاءَ بِسَارِهِ فَقُطِعَتْ فَاحْتَضَنَهُ حَتَّى لَقِيَ حَتْفَهُ .

وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ وَهُوَ يَحْتَضِرُ : مَا فَعَلَ أَبُو حُذَيْفَةَ قِيلَ لَهُ
 قُتِلَ ، قَالَ : فَأَضْجِعُونِي بِجَنْبِهِ .

وَقِيلَ: إِنَّ مِيرَاثَهُ قَدْ أُرْسِلَ إِلَى ثُبَيْتَةَ فَرَفَضَتْ أَخْذَهُ، فَأُرْسِلَ
إِلَى زَوْجِهِ فَأَبَتْ، فَوُضِعَ فِي بَيْتِ الْمَالِ.

قَالَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بَعْدَ أَنْ طُعِنَ: أَمَّا
إِنَّكَ لَوْ أَشَرْتَ بَرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَأَثْمَنَكَ النَّاسُ، وَقَدْ فَعَلَ
ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَاثْمَنَهُ النَّاسُ، فَقَالَ: قَدْ رَأَيْتُ مِنْ
أَصْحَابِي حِرْصاً سَيِّئاً، وَإِنِّي جَاعِلٌ هَذَا الْأَمْرَ إِلَى هَؤُلَاءِ النَّفَرِ
السَّتَةِ. ثُمَّ قَالَ: لَوْ أَدْرَكَنِي أَحَدُ رَجُلَيْنِ، ثُمَّ جَعَلْتُ إِلَيْهِ الْأَمْرَ
لَوَقَفْتُ بِهِ، سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ.

أَبُو عَجْبَةَ

عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجَرَّاحِ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أَمِيرُ جُيُوشِ الشَّامِ

«لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ

ابنُ الْجَرَّاحِ»

(حديث شريف)

«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَوْ شِئْتُ لَأَخَذْتُ

عَلَيْهِ بَعْضَ خُلُقِهِ إِلَّا أَبَا عُبَيْدَةَ» .

(حديث شريف)

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ
الْمُرْسَلِينَ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ وَمَنْ سَارَ عَلَى دَرْبِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ أَمَّا بَعْدُ :

عُرِفَ أَبُو عُبَيْدَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَقَائِدٍ فَذٍّ، وَمَعَ هَذِهِ
الشُّهُرَةِ الَّتِي اكْتَسَبَهَا فَقَدْ طَعَتْ عَلَيْهِ شُهْرَةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ،
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَاتِّزَانَ أَبِي عُبَيْدَةَ وَهُدُوثِهِ وَتَرَوُّيِهِ، وَحَرَكِيَّةِ
خَالِدٍ وَإِقْدَامِهِ، مَعَ اعْتِرَافِ خَالِدٍ لِأَبِي عُبَيْدَةَ بِالْفَضْلِ وَالْقُدْرَةِ
وَالشَّجَاعَةِ وَالْقُوَّةِ.

لَقَدْ اخْتَلَفَتْ طَبِيعَةُ أَبِي عُبَيْدَةَ الْقِتَالِيَّةُ عَنْ طَبِيعَةِ خَالِدٍ، إِذْ
كَانَ خَالِدٌ كَثِيرَ الْحَرَكَةِ، سَرِيعَ التَّنَقُّلِ، يُحْسِنُ الْمُنَاوَرَةَ فِي
الْقِتَالِ، وَيُجِيدُ خِدَاعَ الْعَدُوِّ فِي الْحَرْبِ عَلَى حِينِ كَانَ أَبُو
عُبَيْدَةَ ثَابِتًا فِي مَكَانِهِ لَا يُزَحِّضُهُ مِنْهُ جَيْشٌ كَامِلٌ، يَتَحَرَّكُ نَحْوَ
هَدَفِهِ بِهُدُوءٍ وَتَخَطُّيطٍ وَإِذَا تَقَدَّمَ لَا يَتَرَجَّعُ وَلَوْ حَاوَلَتْ دَحْرُهُ

فِرْقَةً ، وَهَذِهِ الطَّبِيعَةُ هِيَ الَّتِي أَبْرَزَتْ خَالِدًا وَأَعْطَتْهُ شُهْرَتَهُ
وخاصَّةً لَدَى الشَّبَابِ وَأَصْحَابِ العَاطِفَةِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ كَثْرَةَ
الحَرَكَةِ فِي القِتَالِ وَيَتَأَثَّرُونَ بِهَا ، وَيَشْتَرِكُ القَائِدَانِ فِي
الشَّجَاعَةِ والقُوَّةِ وَإِنْ كَانَتَا أَبْرَزَا عِنْدَ أَبِي عُبَيْدَةَ عَلَى عَكْسِ مَا
يُظَنُّ الكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ تَحْتَ تَأْثِيرِ خَلْفِيَّةٍ ثَقَافَةِ الشَّبَابِ
وَعَوَاطِفِهِمْ فِي مَحَبَّةِ الحَرَكَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا .

وَفَضَّلُ أَبِي عُبَيْدَةَ عَلَى خَالِدٍ لِسَابِقَتِهِ فِي الإِسْلَامِ ، فَقَدْ كَانَ
أَبُو عُبَيْدَةَ مِنْ أَوَائِلِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ، وَمِنْ أَهْلِ بَدْرِ عَلَى حِينِ
كَانَ خَالِدٌ لَا يَزَالُ يَقِفُ فِي الصَّفِّ المُعَادِي لِلإِسْلَامِ ، هَذَا
إِضَافَةً إِلَى أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ مِنَ العَشْرَةِ المُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ قَائِدَيْ المُسْلِمِينَ وَجَزَاهُمَا اللَّهُ أَحْسَنَ
الْجَزَاءِ فِيمَا بَدَلَاهُ فِي بِنَاءِ دَوْلَةِ الإِسْلَامِ ، وَأَرْجُو أَنْ أُوَفَّقَ فِي
إِعْطَاءِ صُورَةٍ صَحِيحَةٍ عَنْ هَذَا البَطْلِ العَظِيمِ والقَائِدِ الفَذِّ
أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الجَرَّاحِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لِيَكُونَ قُدْوَةً
لِلشَّبَابِ ، وَلِيَسْتَفِيدُوا دُرُوسًا مِنْ حَيَاتِهِ .

وَاللَّهُ نَسْأَلُ التَّوْفِيقَ وَسَدَادَ الخُطَا ، وَالْأَجْرَ مِنْ لَدُنْهِ ، فَهُوَ
وَلِيُّنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النُّصِيرُ .

أَبُو عُبَيْدَةَ

عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجَرَّاحِ مِنْ بَنِي فِهْرٍ أَحَدِ بَطُونِ
قُرَيْشٍ وَآخِرِهَا، وَيَلْتَقِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، فِي فِهْرٍ، وَهُوَ قُرَيْشٌ. وَأُمُّهُ أُمَيْمَةُ بِنْتُ غَنَمٍ.

وُلِدَ قَبْلَ الْبِعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ بِسَعٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً فَهُوَ أَصْغَرُ مَنْ
رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً.

تَزَوَّجَ هِنْدَ بِنْتَ جَابِرِ بْنِ وَهَبِ الْعَامِرِيَّةِ، فَأَنْجَبَتْ لَهُ يَزِيدًا
وَعُمَيْرًا وَقَدْ مَاتَا صَغِيرَيْنِ، وَلَيْسَ لِأَبِي عُبَيْدَةَ عَقِبٌ.

كَانَ رَجُلًا نَحِيفًا، مَعْرُوقَ الْوَجْهِ، خَفِيفَ اللَّحْيَةِ، طَوَالًا،
أَحْنَى^(١)، أَثْرَمَ الشَّيْثَيْنِ^(٢).

رَوَى عِدَّةُ أَحَادِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) أحنى: منحنيًا نحو الصدر.

(٢) أثرم الشيثين: مكسور الأسنان.

وَسَلَّمَ، لَهُ حَدِيثٌ وَاحِدٌ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، وَاثْنَا عَشَرَ حَدِيثًا فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ، وَخَمْسَةَ عَشَرَ حَدِيثًا فِي مُسْنَدِ بَقِيٍّ، وَحَدِيثٌ وَاحِدٌ فِي جَامِعِ أَبِي عِيْسَى.

رَوَى عَنْهُ عَدَدٌ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْهُمْ: جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَالْعِرْبَاضُ بْنُ سَارِيَةَ، وَأَبُو أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ، وَسَمُرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ، وَأَسْلَمُ مَوْلَى عُمَرَ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ غَنَمٍ. كَمَا رَوَى هُوَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ.

إِسْلَامُ أَبِي عُبَيْدَةَ

كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ مِنْ أَوَائِلِ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ فَقَدْ أَتَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَعُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، وَأَبُو سَلَمَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِيُّ، وَعُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ، وَأَنْبَأَهُمْ بِشَرَائِعِهِ، فَأَسْلَمُوا فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَارَ الْأَرْقَمِ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْأَرْقَمَ كَانَ مَعَهُمْ يَوْمَ أَسْلَمُوا وَأَسْلَمَ مَعَهُمْ.

وَمُنْذُ أَنْ أَسْلَمَ أَبُو عُبَيْدَةَ خَلَعَ كُلَّ مَا وَرِثَهُ مِنْ مُخْلَفَاتِ
الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَعَ طَبْعِهِ الْهَادِيءِ، وَصَمْتِهِ الدَّائِمِ لَمْ يُسْمَعْ عَنْهُ
خَبْرٌ، وَلَمْ يُلَفِتِ النَّظَرُ مَا أَصَابَهُ مِنْ أَذَى فِي سَبِيلِ إِسْلَامِهِ.
يُنْفِذُ تَعَالِيمَ الْإِسْلَامِ بِشَكْلِ دَقِيقٍ، وَيَتَّقِيْدُ بِأَوَامِرِ رَسُولِ
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِصُورَةٍ تَامَّةٍ.

يَتَلَقَّى بِأَدَبٍ، وَيَتَصَرَّفُ بِحُدُودِ مَا أَمَرَ، يُنْفِقُ بِصَمْتٍ،
وَيُسَاعِدُ بِهَدْوٍ. يَكُونُ أَوَّلَ الْمُتَطَوِّعِينَ، وَأَسْبَقَ الْمُنفِذِينَ.
هَمُّهُ الطَّاعَةُ، وَحَبَاتُهُ الْإِسْلَامُ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَلَا يُبَالِي بِهِ.
وَقَضَى بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ مَا يَقْرُبُ مِنْ خَمْسِ سَنَوَاتٍ فِي مَكَّةَ وَهَذَا
دَيْدَنُهُ.

فِي الْحَبَشَةِ

وَلَمَّا اشْتَدَّ أَذَى الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ أَشَارَ
رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى أَصْحَابِهِ بِالْهَجْرَةِ إِلَى
الْحَبَشَةِ، لِعَدْلِ مَلِكِهَا، وَبُعْدِهَا عَنْ أَرْضِ الْعَرَبِ، وَعَدَمِ
نُفُوذِ وَسْطَانِ قُرَيْشٍ عَلَى أَهْلِهَا، وَرُبَّمَا كَانَ أَهْلُهَا أَخَفَّ
وَطْأَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، يَعْرِفُونَ اللَّهَ، وَقَدْ
تَكُونُ آثَارُ الْوَحْدَانِيَّةِ بَاقِيَةً عِنْدَ بَعْضِ رُهْبَانِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ،

وَعِنْدَهُمْ عِلْمٌ بِالنَّبِيِّ الَّذِي سَيُظْهِرُ آخِرَ الْأَيَّامِ فِي أَرْضِ الْعَرَبِ .

هَاجَرَ عَشْرَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى وَعَلَيْهِمْ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ ، ثُمَّ تَتَابَعَ الْمُسْلِمُونَ وَكَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ . وَلَكِنْ لَمْ يَطُلْ بِهِمُ الْمَقَامُ لِأَسْبَابٍ كَثِيرَةٍ ، وَمِنْهَا مَا أَشْيَعُ عَنْ إِسْلَامِ أَهْلِ مَكَّةَ فَعَادَ عَدَدٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَا يَزِيدُونَ عَلَى ثَلَاثَةٍ وَثَلَاثِينَ رَجُلًا ، كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، هَادِثًا لَا تَكَادُ تَحُسُّ أَنَّهُ مَعَهُمْ .

رَجَعَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى مَكَّةَ مُسْتَخْفِيًا كَأَكْثَرِ إِخْوَانِهِ إِذْ لَمْ يَدْخُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ مَكَّةَ إِلَّا مُسْتَخْفِيًا أَوْ بِجَوَارٍ ، وَعَادَ يُعَانِي مَا كَانَ يُعَانِي مِنْ قَبْلُ ، وَلَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ مَسْرُورٌ لِقُرْبِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمُلَازِمَتِهِ إِيَّاهُ ، وَتَلْقَائِهِ مِنْهُ ، وَاسْتِمَاعِهِ إِلَيْهِ ، وَبَقِيَ مَا يَزِيدُ عَلَى سَبْعِ سَنَوَاتٍ وَهَذِهِ حَالُهُ .

الهجرة إلى المدينة

بَعْدَ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَلَى أَصْحَابِهِ بِالْهَجْرَةِ إِلَى إِخْوَانِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَانْتَقَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَعَ مَنْ هَاجَرَ ، وَنَزَلَ عَلَى كُلْثُومِ بْنِ الْهَدْمِ .

وَهَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَآخَى بَيْنَ
الْمُسْلِمِينَ ، فَأَخَى بَيْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ مَسْلَمَةَ وَفِي
رِوَايَةٍ بَيْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ وَسَالِمِ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ .

وَأُذِنَ لِلْمُسْلِمِينَ بِالْقِتَالِ ، وَأَنْطَلَقَتِ السَّرَايَا وَالْغَزَوَاتُ
تَمْسَحُ أَرْضَ الْمَعْرَكَةِ الْمُتَرَقَّبَةِ ، وَشَارَكَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِخْوَانَهُ فِي
هَذِهِ السَّرَايَا وَالْغَزَوَاتِ ، حَتَّى تَوَجَّتْ ذَلِكَ غَزْوَةُ بَدْرٍ .

فِي بَدْرٍ

وَخَرَجَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى بَدْرٍ لِلِقَاءِ عِيرِ أَبِي سُفْيَانَ فَالتَقُوا
بِقُرَيْشٍ الْقَادِمَةِ بِخَيْلَائِهَا وَجَبَرُوتِهَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ لِيُحِقَّ
الْحَقَّ وَيُطِيلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ . وَفِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ
الْفَاصِلَةِ سَقَطَتْ رَوَابِطُ الْقَرَابَةِ ، فَانْهَارَتِ الْأُبُوءُ ، وَزَالَتْ
الْبُنُوءُ ، وَتَحَطَّمَتِ الْأُخُوَّةُ فِي الدِّمِّ وَالصِّلَةُ فِي النَّسَبِ وَالنَّقَى
بِالسَّيْفِ الْأَهْلُ مَعَ ذَوِيهِمْ وَالْأَحِبَّةُ مَعَ أَصْحَابِهِمْ . وَأَنْطَلَقَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْجَرَّاحِ وَالِدُ أَبِي عُبَيْدَةَ يُفْتَشُّ عَنْ ابْنِهِ أَبِي عُبَيْدَةَ
لِيُرِيدَهُ صَرِيحاً وَيَتَخَلَّصَ مِنْهُ بَلْ لِيَتَخَلَّصَ مِنْ عَقِيدَتِهِ الَّتِي آذَاهُ
بِهَا - حَسَبَ رَأْيِهِ ، وَحَاوَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَامِرُ عَبَثًا الْإِتِّعَادَ عَنْ أَبِيهِ
فَلَمْ يُفْلِحْ وَحَرَصَ عَلَى الْبُعْدِ عَنْ لِقَائِهِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ فَمَا كَانَ إِلَّا

أَنْ تَصْدَى وَصَرَعَهُ لَا يُبَالِي بِأَيَّةِ آصِرَةٍ مِنْ أَوْاصِرِ الدُّنْيَا فَلَا إِيْمَانُ
لَا يَلْتَفِي مَعَ الشُّرْكِ مَهْمَا كَانَتْ وَشَائِعُ الدِّمِ بَيْنَهُمَا وَالْإِسْلَامُ لَا
يَجْتَمِعُ مَعَ الْكُفْرِ مَهْمَا كَانَتْ رَوَابِطُ الْقَرَابَةِ تَجْمَعُ بَيْنَهُمَا،
وَاسْتَعْلَى أَبُو عُبَيْدَةَ فِي إِيْمَانِهِ، وَنَجَحَ فِي امْتِحَانِهِ، وَدَاسَ
بِأَقْدَامِهِ صِلَةَ الْقُرْبَى الَّتِي دَفَنَهَا الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ ذَاكَ حَتَّى قِيَامِ
السَّاعَةِ إِنْ لَمْ تَكُنِ الْعَقِيدَةُ حَامِيَتَهَا وَمَرْسَخَتُهَا . وَلَمْ يَكُنْ أَبُو
عُبَيْدَةَ الَّذِي صَرََعَ أَشَدَّ النَّاسِ قَرَابَةً فِي الدِّمِ لَهُ فَقَدِ التَّقَى
وَجَهًا لَوْجِهِ الْأَبْنَاءُ مَعَ آبَائِهِمْ وَالْإِخْوَةُ مَعَ إِخْوَتِهِمْ وَأَبْنَاءُ
الْعَشِيرَةِ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ ، وَأَفْرَادُ الْأُسْرَةِ الْوَاحِدَةِ كُلُّ قِسْمٍ
مِنْهُمْ فِي جَانِبٍ ، وَلَا يَجْمَعُ أَفْرَادَ الْجَانِبِ الْوَاحِدِ إِلَّا الْعَقِيدَةُ
الَّتِي هِيَ أَسَاسُ كُلِّ صِلَةٍ وَمُنْطَلَقُ كُلِّ رَابِطَةٍ ، وَعَلَى قَوَاعِدِهَا
تَتَكَوَّنُ الْأُمَمُ ، وَتَجْتَمِعُ الشُّعُوبُ وَتَتَلَاقَى ، وَتَتَمَازِزُ الْأَفْرَادُ
فَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْقَاهُمْ .

فِي أَحَدٍ

وَاسْتَدَارَ الْعَامُ عَلَى مَعْرَكَةِ بَذْرِ فَرْحَفَتْ قُرَيْشٌ نَحْوَ الْمَدِينَةِ
بِقُوَّاتٍ أَكْثَفَ وَجُمُوعٍ أَضْخَمَ وَعَتَادٍ أَقْوَى ، مُجْمِعَةً عَلَى
الْإِتِّقَامِ ، وَمُصَمِّمَةً عَلَى الثَّأْرِ ، وَخَرَجَ الْمُسْلِمُونَ لِلِقَائِهَا ،
وَكَانَ الْمُنَافِقُونَ عَامِلًا مُخَذَّلًا وَعُنْصُرًا مُثْبِطًا ثُمَّ انْسَحَبُوا مِنْ

الْجَيْشِ الْإِسْلَامِيِّ تَارِكِينَ الْمُؤْمِنِينَ وَخَذَهُمْ عَلَى قِلَّةٍ يُلَاقُونَ
الْمُشْرِكِينَ ، وَلَمْ يَبَالِ الْمُسْلِمُونَ فَقَدْ ارْتَفَعَتْ مَعْنَوِيَّاتُهُمْ بَعْدَ
أَنْ نَقَى صَفَّهُمْ ، وَانْتَقَى مِنْهُمْ الْحَبْثُ . وَرَتَّبَ رَسُولُ اللَّهِ ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الصُّفُوفَ ، وَوَضَعَ الرُّمَاءَ عَلَى الْجَبَلِ
فِي أَمَاكِينِهِمْ ، وَأَعْطَى التَّعْلِيمَاتِ ، وَأَمَرَ الرُّمَاءَ أَلَّا يُغَادِرُوا
مَوَاضِعَهُمْ مَهْمَا كَانَتِ النَّتَائِجُ . وَبَدَأَ الْقِتَالُ ، وَالتَّحَمَّتِ
الصُّفُوفُ ، وَاشْتَبَكَ الْمُقَاتِلُونَ ، وَدَارَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى قُرَيْشٍ ،
وَوَلَّتِ الْأُدْبَارَ ، وَتَبِعَهَا الْمُسْلِمُونَ ، وَظَهَرَ لِلنَّظَارَةِ أَنَّ الْمَعْرَكَةَ
قَدْ انْتَهَتْ وَخَذَلَ اللَّهُ قُرَيْشًا ، فَتَرَكَ الرُّمَاءَ مَوَاضِعَهُمْ وَدَارَ خَالِدٌ
خَلْفَ الْجَبَلِ وَحَلَّ مَحَلَّهُمْ فَوَقَعَ الْمُسْلِمُونَ بَيْنَ نَارَيْنِ
وَانْقَسَمُوا فِرْقَتَيْنِ الْأُولَى كَانَتْ تُلَاحِقُ الْمُشْرِكِينَ وَالْأُخْرَى
حَوْلَ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَارْتَبَكَ الصَّفُّ الْإِسْلَامِيُّ
وَهَجَمَتْ قُرَيْشٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَالْعُصْبَةُ الَّتِي حَوْلَهُ وَمِنْهُمْ : أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعَلِيٌّ ، وَأَبُو
عُبَيْدَةَ ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ وَالزُّبَيْرُ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ
عَوْفٍ ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَأَبُو دُجَانَةَ ، وَأَبُو طَلْحَةَ ،
وَنُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ مَعَ زَوْجِهَا وَعَدَدٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى رَأْسِهِمْ
سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، وَقَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ .

وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ، وَخَلَصَ الْأَعْدَاءُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ،
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَمَاهُ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فَكَسَرَ
 رُبَاعِيَّتَهُ الْيَمْنَى السُّفْلَى، وَجَرَحَ شَفْتَهُ السُّفْلَى، وَشَجَّهَ
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شِهَابِ الزُّهْرِيُّ فِي جَبْهَتِهِ، وَجَرَحَ ابْنُ قُمَيْتَةَ وَجَنَّتَهُ
 فَدَخَلَتْ حَلَقَتَانِ مِنْ حَلْقِ الْمِغْفَرِ^(١) فِي وَجَنَّتِهِ، وَوَقَعَ رَسُولُ
 اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي حُفْرَةٍ مِنَ الْحُفْرِ الَّتِي حَفَرَهَا
 أَبُو عَامِرٍ الْفَاسِقُ. وَجَاءَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فَنَزَعَ إِحْدَى
 الْحَلَقَتَيْنِ مِنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
 فَسَقَطَتْ ثَنِيَّتُهُ، ثُمَّ نَزَعَ الْأُخْرَى، فَسَقَطَتْ ثَنِيَّتُهُ الْأُخْرَى فَكَانَ
 سَاقِطَ الثَّنِيَّتَيْنِ. وَصَعَدَ الْمُسْلِمُونَ بِرَسُولِهِمُ الْكَرِيمِ الْجَبَلَ،
 وَانْتَهَتْ الْمَعْرَكَةُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ الْحَزِينَةِ.

وَشَهِدَ أَبُو عُبَيْدَةَ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَبَتَ يَوْمَ حُنَيْنٍ مَعَ مَنْ تَبَتَ، وَتُوفِّيَ رَسُولُ
 اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ.

سَرِيَّةُ أَبِي عُبَيْدَةَ إِلَى بَنِي ثَعْلَبَةَ

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ بَعَثَ مُحَمَّدَ بْنَ

(١) المغفر: حلق يتقنع به المتسلح.

مَسْلَمَةَ فِي سَرِيَّةٍ قَوَّامُهَا عَشْرَةُ أَنْفَارٍ إِلَى ذِي الْقِصَّةِ مِنْ بِلَادِ بَنِي
ثُعَلْبَةَ لِلإِغَارَةِ عَلَيْهِمْ إِذْ كَانُوا يَحْشُدُونَ جُمُوعَهُمْ لِلإِغَارَةِ عَلَى
الْمَدِينَةِ، وَيَنْوُونَ أَخْذَ إِبِلِ الْمُسْلِمِينَ، غَيْرَ أَنَّ الْأَعْرَابَ قَدْ
شَعَرُوا بِقُدُومِ مُحَمَّدٍ بْنِ مَسْلَمَةَ إِلَيْهِمْ فَكَمَنُوا لَهُ، وَتَمَكَّنُوا مِنْ
قَتْلِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْ هَذِهِ السَّرِيَّةِ إِلَّا أَمِيرُهَا الَّذِي وَقَعَ
بَيْنَ الْقَتْلَى جَرِيحًا فَظَنَّ أَنَّهُ مِنْهُمْ، فَعَادَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْدَ أَنْ
ارْتَحَلَ الْقَوْمُ عَنْهُمْ.

فَارْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَى
رَأْسِ سَرِيَّةٍ مُؤَلَّفَةٍ مِنْ أَرْبَعِينَ مُقَاتِلًا فِي الشَّهْرِ نَفْسِهِ وَهُوَ شَهْرُ
رَبِيعِ الثَّانِي مِنْ سَنَةِ سِتٍّ.

سَارَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِالسَّرِيَّةِ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ لَيْلَةَ السَّبْتِ،
فَبَاتُوا لَيْلَتَيْنِ يَمْشُونَ حَتَّى وَافَوْا ذِي الْقِصَّةِ فِي جَنُوبِ شَرْقِيِّ
الْمَدِينَةِ مَعَ عِمَايَةِ الصُّبْحِ، فَصَلُّوا الْفَجْرَ، وَأَغَارُوا عَلَى
الْقَوْمِ، فَفَرَّ الْأَعْرَابُ فِي الْجِبَالِ مُتَفَرِّقِينَ، وَتَمَكَّنَ أَبُو عُبَيْدَةَ
مِنْ أَخْذِ رَجُلٍ مِنْهُمْ، وَاسْتَأَقَ إِبِلًا لَهُمْ، وَرَثَةً مِنْ مَتَاعٍ وَعَادَ
إِلَى الْمَدِينَةِ، فَاسْلَمَ الرَّجُلُ، وَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْغَنَائِمَ بَيْنَ مُقَاتِلِي السَّرِيَّةِ، بَعْدَ أَنْ احْتَجَزَ
خُمْسَهُ.

فِي ذَاتِ السَّلَاسِلِ

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَى قَبِيلَةِ بِلِيٍّ يَسْتَأْذِنُهُمْ حَيْثُ كَانَتْ جَدَّتُهُ أُمُّ وَالِدِهِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ يَسْتَنْفِرُهُمْ إِلَى الشَّامِ، فَلَمَّا كَانَ عَلَى مَاءٍ بِأَرْضِ جُذَامٍ، يُقَالُ لَهُ السُّلْسُلُ، وَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ، غَزْوَةُ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، فَلَمَّا كَانَ عَلَيْهِ خَافَ فَبَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْتَمِدُّهُ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ قُوَّةً مِنْ سَرَاةِ الْمُهَاجِرِينَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرُو، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أَبَا عُبَيْدَةَ وَقَالَ لَهُ حِينَ وَجَّهَهُ: لَا تَخْتَلِفَا. فَخَرَجَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَنْ مَعَهُ حَتَّى قَدِمَ عَلَى عَمْرُو، فَقَالَ عَمْرُو لِأَبِي عُبَيْدَةَ: أَنَا الْأَمِيرُ وَقَدْ جِئْتُكُمْ إِلَيَّ مَدَدًا، قَالَ لَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ: لَا وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ، وَأَنْتَ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ.

قَالَ عَمْرُو: بَلْ أَنْتَ مَدَدٌ إِلَيَّ.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يَا عَمْرُو، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِي: لَا تَخْتَلِفَا، وَإِنَّكَ إِنْ عَصَيْتَنِي أَطَعْتُكَ.

قَالَ عَمْرُو: فَإِنِّي الْأَمِيرُ عَلَيْكَ، وَأَنْتَ مَدَدٌ لِي.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: فَدُونَكَ.

فَصَلَّى عَمْرُو بِالنَّاسِ .

لَقَدْ كَانَ أَمْرُ الدُّنْيَا هِينًا عَلَى أَبِي عُبَيْدَةَ، فَلَمْ يَرْعَبْ فِي
الْإِمَارَةِ، وَلَمْ يَعْمَلْ لَهَا، وَلَا يُرِيدُ الْمُنَازَعَةَ فِي أَمْرِ لَا يَعُودُ عَلَى
الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ، وَلَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ حُكْمٌ. لَقَدْ صَغُرَتِ الدُّنْيَا فِي
عَيْنِهِ فَعَظُمَ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ .

وَبَلَغَ عَدَدُ الْمُسْلِمِينَ خَمْسَمِائَةِ مُقَاتِلٍ بَعْدَ أَنْ وَصَلَ مَدَدُ
أَبِي عُبَيْدَةَ، فَسَارُوا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ حَتَّى وَطِئُوا بِلَادَ بِلْيٍّ
وَدَوَّخُوهَا، وَكُلَّمَا انْتَهَوْا إِلَى مَوْضِعٍ بَلَغَهُمْ أَنَّهُ قَدْ كَانَ بِهَذَا
الْمَوْضِعِ جَمْعٌ فَلَمَّا سَمِعُوا بِهِمْ تَفَرَّقُوا، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى أَقْصَى
بِلَادِ بِلْيٍّ وَعَذَرَةٌ وَبَلْقَيْنَ، ثُمَّ اتَّقَوْا بِجَمْعٍ لَيْسَ بِالْكَثِيرِ فَاقْتَتَلُوا
سَاعَةً، وَحَمَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَتَفَرَّقَ
الْأَعْدَاءُ فِي الْبِلَادِ، وَأَقَامَ عَمْرُو أَيَّامًا لَا يَسْمَعُ لَهُمْ بِجَمْعٍ وَلَا
مَكَانٍ صَارُوا فِيهِ، وَكَانَ يَبْعَثُ أَصْحَابَ الْخَيْلِ فَيَأْتُونَ بِالشَّاءِ
وَالْإِبِلِ، فَكَاثُوا يَذْبَحُونَ وَيَنْحَرُونَ، وَلَمْ يَكُنْ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ
وَلَمْ تَكُنْ غَنَائِمُ تُقَسَّمُ. وَرَجَعُوا بَعْدَهَا إِلَى الْمَدِينَةِ.

سَرِيَّةُ أَبِي عُبَيْدَةَ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَمَاعَةً عَدَدُهُمْ

ثَلَاثُمِائَةِ رَجُلٍ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ . قَالَ جَابِرُ :
وَأَنَا فِيهِمْ ، فَخَرَجْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِنَعْسِ الطَّرِيقِ فَنِي الزَّادِ ،
فَأَتَوْا أَبَا عُبَيْدَةَ بِأَزْوَادِ ذَلِكَ الْجَيْشِ ، فَجَمَعَ كُلَّهُ فِي مِزْوَدِ
تَمْرٍ ، فَكَانَ يَقُوتُنَا كُلَّ يَوْمٍ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى فَنِي ، وَلَمْ يَكُنْ
يُصِيبُنَا إِلَّا تَمْرَةٌ تَمْرَةٌ ، قَالَ : فَقُلْتُ : وَمَا تُغْنِي التَّمْرَةُ ؟ فَقَالَ :
لَقَدْ وَجَدْنَا فَقْدَهَا حِينَ فَنَيْتُ . قَالَ : ثُمَّ انْتَهَيْنَا إِلَى الْبَحْرِ فَإِذَا
حُوتٌ مِثْلَ الظَّرْبِ ، قَالَ : فَأَكَلَ مِنْهُ ذَلِكَ الْجَيْشُ ثَمَانِي عَشْرَةَ
لَيْلَةً .

وَقَدْ اضْطَرَّ أَفْرَادُ هَذِهِ السَّرِيَّةِ أَنْ يَأْكُلُوا وَرَقَ الشَّجَرِ ، وَهُوَ
مَا يُعْرَفُ بِالْحَبْطِ ، إِذْ يُنْفَضُ بِالْمَحَابِطِ وَيُجَفَّفُ وَيُطْحَنُ لِذَا
سُمِّيَتْ السَّرِيَّةُ (سَرِيَّةُ الْحَبْطِ) أَوْ جَيْشُ الْحَبْطِ .

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَحَدَ أَفْرَادِ هَذِهِ
السَّرِيَّةِ .

مَعَ وَفْدِ نَجْرَانَ

وَفِي عَامِ الْوُفُودِ الْعَامِ الثَّاسِعِ لِلْهِجْرَةِ كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كِتَابًا إِلَى أَهْلِ نَجْرَانَ يَدْعُوهُمْ فِيهِ إِلَى
الْإِسْلَامِ ؛ فَلَمَّا قَرَأُوهُ بَعَثُوا وَفْدًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي الْمَدِينَةِ ، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ، وَسَلَّاهُمْ ،
وَكَانُوا سِتِّينَ رَاكِبًا ، مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ ، فِيهِمْ
أَبُو حَارِثَةَ - أُسْقِفُهُمْ وَحَبْرُهُمْ - وَكَانَتْ مُلُوكُ الرُّومِ قَدْ
شَرَفُوهُ ، وَمَوَّلُوهُ ، وَأَخْدَمُوهُ ، وَبَنُوا لَهُ الْكَنَائِسَ .

وَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنْ يُيَاهِلَهُمْ ،
فَأَبَى كِبَارُهُمْ ذَلِكَ ، وَخَافُوا ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَوْهُ ، فَكَتَبَ
لَهُمْ كِتَابًا ، وَضَرَبَ عَلَيْهِمُ الْخَرَجَ . ثُمَّ قَالَ أُسْقِفَا نَجْرَانَ :
الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ : ابْعَثْ مَعَنَا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ ، فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَا بُعِثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ
أَمِينٍ» فَاسْتَشْرَفَ لَهَا النَّاسُ ، فَقَالَ : «قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ» فَأَرْسَلَهُ
مَعَهُمْ . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ ، وَأَمِينُ
هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ» .

فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ

لَمَّا انْتَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مِنَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ ، وَشَعَرَ الْأَنْصَارُ أَنَّهُمْ بِحَاجَةٍ إِلَى خَلِيفَةٍ مِنْهُمْ
يَتَوَلَّى شُؤْنَ مَدِينَتِهِمْ وَأَمْرَ الْمُسْلِمِينَ ، فَمَدِينَتُهُمْ مُهَدَّدَةٌ مِنَ
الْأَعْرَابِ وَرِجَالِ الْقَبَائِلِ الَّذِينَ لَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ إِلَى

قُلُوبِهِمْ وَإِنَّمَا أَسْلَمُوا خَوْفًا مِنَ الْقُوَّةِ .

شَعَرَ الْأَنْصَارُ أَنَّهُمْ مُهَدَّدُونَ قَبْلَ غَيْرِهِمْ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ
نَصَرُوا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَوْوَا الْمُسْلِمِينَ
مِنْ مَكَّةَ، وَأَنَّ مَدِينَتَهُمْ قَاعِدَةُ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَشَعَرُوا أَنَّ
الْمُهَاجِرِينَ رُبَّمَا رَجَعُوا إِلَى مَكَّةَ وَقَدْ أَسْلَمَتِ مَدِينَتُهُمْ وَدَانَ
بِالْإِسْلَامِ ذُووهُمْ، وَقَدْ فَكَّرُوا بِهَذَا بَعْدَ الْفَتْحِ مُبَاشَرَةً، مِنْ
هُنَا كَانَ تَفْكِيرُ الْأَنْصَارِ بِشُؤْنِ الدَّوْلَةِ أَكْثَرَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ -
حَسَبَمَا تَصَوَّرُوا - .

وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ مَشْغُولِينَ بِوَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَجْهِيزِهِ وَدَفْنِهِ لِذَا لَمْ يُفَكِّرُوا بَعْدَ بِشُؤْنِ خَلِيفَةِ
لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْعَمَلِ لِحِمَايَةِ الْمَدِينَةِ
وَالدَّوْلَةِ، وَلَمْ يَكُنِ الْأَنْصَارُ فِي بُعْدٍ عَنْ هَذَا أَيْضًا .

اجْتَمَعَ الْأَنْصَارُ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ وَبَايَعُوا أَحَدَ وَجْهَائِهِمْ
وَهُوَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ مِنَ الَّذِينَ تُؤْفَى
رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ، وَسَعْدُ
سَيِّدُ الْخَزَرَجِ .

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى جَانِبِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، حَيْثُ الْمُسْلِمُونَ مُجْتَمِعُونَ يَعْمَلُونَ لِذَفْنِ رَسُولِ
 اللَّهِ، وَنَادَى مِنْ وَرَاءِ الْجِدَارِ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَرَفَضَ
 عُمَرُ الْخُرُوجَ فِي بَدَايَةِ الْأَمْرِ، ثُمَّ كَرَّرَ الرَّجُلُ النِّدَاءَ وَأَعْلَمَهُ
 عَنِ الْإِجْتِمَاعِ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ
 وَأَنْطَلَقَا إِلَيْهِمْ، وَالتَّقِيَا بِأَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ فِي الطَّرِيقِ
 فَسَارَ مَعَهُمَا. ثُمَّ التَّقُوا مَعَ رَجُلَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ هُمَا:
 عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ وَمَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ، فَقَالَا: مَا عَلَيْكُمُ مِنَ
 الْأَنْصَارِ، لَا يَكُونُ إِلَّا مَا تُحِبُّونَ وَلَكِنْ أَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ فِيمَا
 بَيْنَكُمْ. غَيْرَ أَنَّ الْمُهَاجِرِينَ الثَّلَاثَةَ تَابَعُوا السَّيْرَ وَدَخَلُوا عَلَى
 سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَالنَّاسُ يَتَحَدَّثُونَ، فَجَرَتْ كَلِمَاتٌ مِنَ
 الطَّرَفَيْنِ كَانَ الْهَدَفُ مِنْهَا الْحِرْصَ عَلَى حِمَايَةِ الدَّوْلَةِ
 وَالْمُسْلِمِينَ، وَتَرَا جَعَ الْأَنْصَارُ عَنْ مَوْقِفِهِمْ عِنْدَمَا عَلِمُوا أَنَّ
 الْمُهَاجِرِينَ سَيَقُونُ فِي الْمَدِينَةِ غَيْرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ رَأَى أَنَّ
 يَكُونُ أَمِيرٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ يَعْقِبُهُ آخَرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهَكَذَا،
 فَوَقَفَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، إِنَّكُمْ أَوَّلُ مَنْ نَصَرَ
 وَآزَرَ، فَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ مَنْ بَدَّلَ وَغَيَّرَ، فَرَضِي الْأَنْصَارُ بِإِمْرَةِ
 الْمُهَاجِرِينَ.

أَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ وَبِيَدِ عُمَرَ وَقَالَ: قَدْ رَضِيتُ لَكُمْ

أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ ، فَبَايَعُوا أَيُّهُمَا شِئْتُمْ ، فَقَالَا : لَا يَنْبَغِي
لِأَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنْ يَكُونَ فَوْقَكَ
يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَنْتَ صَاحِبُ الْغَارِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَثَانِي اثْنَيْنِ ،
وَأَمَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حِينَ اشْتَكَى
فَصَلَّيْتَ بِالنَّاسِ ، فَأَنْتَ أَحَقُّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ .

فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِ أَبِي بَكْرٍ وَبَايَعَهُ ، وَتَسَابَقَ النَّاسُ عَلَى الْبَيْعَةِ ،
فَبَايَعَ كُلُّ مَنْ فِي السَّقِيفَةِ بِإِسْتِثْنَاءِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ ، لِحِرَاجَةِ مَوْقِفِهِ وَسُوءِ صِحَّتِهِ .

لَمْ يَكُنْ تَرْشِيحُ أَبِي بَكْرٍ لِعُمَرَ وَأَبِي عُبَيْدَةَ مِنْ بَابِ الْمُجَامَلَةِ
وَالْتَوَاضُعِ وَإِنَّمَا مِنْ بَابِ الْأَهْلِيَّةِ وَالاعْتِرَافِ بِالْفَضْلِ لَهُمَا ،
فَعُمَرَ مَعْرُوفٌ بِمَكَانَتِهِ ، وَكَذَلِكَ أَبُو عُبَيْدَةَ ، فَسَابَقَتْهُ فِي
الْإِسْلَامِ ، وَشَجَاعَتُهُ ، وَطَاعَتُهُ ، وَدَوْرُهُ ، وَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَنْهُ أَنَّهُ أَمِينُ الْأُمَّةِ ، وَإِرْسَالُهُ مَعَ وَفْدِ
نَجْرَانَ ، وَتَسْلِيمُهُ إِمْرَةَ السَّرَايَا الَّتِي تَضُمُّ سَرَاةَ الْمُهَاجِرِينَ
وَمِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَوَفَاةُ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ كُلُّ هَذَا يُؤْهِلُهُ لِيَتَسَلَّمَ خِلَافَةَ
الْمُسْلِمِينَ ، إِضَافَةً إِلَى أَنَّهُ أَحَدُ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ .

فِي خِلَافَةِ الصَّدِّيقِ

لَمَّا انْتَهَى الصَّدِّيقُ مِنْ حُرُوبِ الرَّدَّةِ، وَجَّهَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى الْعِرَاقِ، ثُمَّ عَبَا الْجِيُوشَ إِلَى الشَّامِ فِي مَطْلَعِ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ عَشْرَةَ، فَكَانَتْ أَرْبَعَةُ جِيُوشٍ يَقُودُهَا:

١ - يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَوَجْهَتُهُ دِمَشْقُ، ثُمَّ أَمَدَهُ الصَّدِّيقُ بِأَخِيهِ مُعَاوِيَةَ بِجُنْدٍ كَثِيرٍ، وَمَرَّ عَلَى ذِي الْمَرْوَةِ فِي وَادِي الْقَرْيَ وَأَخَذَ بَعْضَ مَنْ بَقِيَ مِنْ جُنْدِ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ بَعْدَ أَنْ تَرَجَعَ أَمَامَ الرُّومِ فِي مَرَجِ الصُّفْرِ.

٢ - عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَوَجْهَتُهُ فِلِسْطِينَ.

٣ - شُرْحِبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ: وَوَجْهَتُهُ الْأَرْدُنُّ.

٤ - أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: وَوَجْهَتُهُ حِمْصُ.

وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ أَمِيرَ الْجَمِيعِ عِنْدَمَا يَلْتَقُونَ وَيَدْخُلُونَ الْحَرْبَ مَعًا.

وَجَاءَتْ جِيُوشُ الرُّومِ بِأَعْدَادٍ تَزِيدُ عَلَى أَرْبَعِينَ وَمِائَتِي أَلْفٍ عَلَى حِينٍ أَنَّ عَدَدَ الْمُسْلِمِينَ لَا يَزِيدُ عَلَى وَاحِدٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ وَيُضَافُ إِلَيْهِمْ سِتَّةُ آلَافٍ مَعَ عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ رِدْفًا لِلْجِيُوشِ وَفِي مُؤَخَّرَتِهِمْ.

تَشَاوَرَ الْأَمْرَاءُ وَاتَّفَقُوا أَنْ يُقَاتِلُوا مُجْتَمِعِينَ ، وَكَتَبُوا إِلَى
الْصَّدِّيقِ يُعْلِمُونَهُ بِرَأْيِهِمْ وَيَطْلُبُونَ مِنْهُ الْمَدَدَ ، وَاتَّفَقُوا عَلَى
مَوْقِعِ الْيَرْمُوكِ لِيَكُونَ مِيدَانُ الْقِتَالِ . وَكَتَبَ الصَّدِّيقُ إِلَى
خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ بِالْعِرَاقِ يَأْمُرُهُ بِالسَّيْرِ إِلَى الْيَرْمُوكِ لِدَعْمِ
الْمُسْلِمِينَ هُنَاكَ .

وَصَلَ خَالِدٌ وَتَسَلَّمَ الْإِمْرَةَ ، وَوَزَعَ الْقِيَادَةَ ، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ
قَائِدَ الْقَلْبِ ، وَيُعَاوِثُهُ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ، ثُمَّ طَلَبَ خَالِدٌ مِنْ أَبِي
عُبَيْدَةَ أَنْ يَكُونَ فِي الْمَوْخِرَةِ حَتَّى لَا يَتَرَجَعَ أَحَدٌ خَجَلًا مِنْهُ .
وَنَشِبَ الْقِتَالُ وَأَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ . وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ
وَصَلَ مُحَمِّمَةُ بْنُ زَيْمٍ يَحْمِلُ الْبَرِيدَ ، وَسَلَّمَهُ إِلَى خَالِدِ بْنِ
الْوَلِيدِ وَفِيهِ خَبْرٌ وَفَاءُ الصَّدِّيقِ ، وَتَوَلَّيَ عُمَرَ ، وَعَزَلَ خَالِدٌ ،
وَقِيَادَةَ أَبِي عُبَيْدَةَ . وَسُئِلَ خَالِدٌ عَمَّا حَمَلَ الْبَرِيدُ ، قَالَ :
السَّلَامَةُ وَقُرْبَ وَصُولِ الْإِمْدَادِ . إِذْ لَمْ يَرُدْ أَنْ يُشْغَلَ الْمُسْلِمِينَ
بِالْحُزْنِ عَلَى خَلِيفَتِهِمُ الصَّدِّيقِ ، وَالْحَدِيثِ عَنْ عُمَرَ ، وَأَبِي
عُبَيْدَةَ ، وَخَالِدٍ ، فَتَحْقِيقُ النَّصْرِ هُوَ الْمَطْلُوبُ ، وَالْقِيَادَةُ أَمْرُ
ثَانَوِيٍّ لَا تَهْمُ الْمُسْلِمَ ، فَهُوَ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، لَا فِي
سَبِيلِ الدُّنْيَا وَتَحْقِيقُ بَعْضِ الْمَغَانِمِ ، وَلَا مِنْ أَجْلِ الشُّهْرَةِ
وَتَسَلَّمَ الْمَنَاصِبِ .

وَلَمَّا تَقَارَبَ الطَّرَفَانِ بَعْضُهُمَا مِنْ بَعْضٍ تَقَدَّمَ أَبُو عُبَيْدَةَ،
وَيَزِيدُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ، وَمَعَهُمَا ضِرَارُ بْنُ الْأَزْوَرِ،
وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ، وَأَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سَهْلٍ بْنُ عَمْرٍو،
وَنَادَوْا: إِنَّمَا نُرِيدُ أَمِيرَكُمْ لِنَجْتَمِعَ بِهِ، فَأَذِنَ لَهُمْ فِي الدُّخُولِ
عَلَى تَذَارُقٍ، وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي خَيْمَةٍ مِنْ حَرِيرٍ. فَقَالَ
الصَّحَابَةُ: لَا نَسْتَحِلُّ دُخُولَهَا، فَأَمَرَ لَهُمْ بِفَرْشٍ بُسْطٍ مِنْ
حَرِيرٍ، فَقَالُوا: لَا نَجْلِسُ عَلَى هَذِهِ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ حَيْثُ
أَحْبُوا. وَهَكَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لَا يَقْبَلُونَ
الِاسْتِهَانَةَ بِشَيْءٍ مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ مَهْمَا قَلَّ، وَمَعَ أَنَّ لَيْسَ الْحَرِيرَ
لَيْسَ فِي مَوْقِفِهِمْ هَذَا، وَهُوَ الْمُحَرَّمُ عَلَيْهِمْ، إِلَّا أَنَّهُمْ رَغِبُوا أَنْ
يَأْخُذُوا أَنْفُسَهُمْ بِالشَّدَّةِ، وَرَفَضَ هَذِهِ الْأُمُورَ وَأَمْثَالَهَا، وَهَذَا
مَا جَعَلَهُمْ يَعْظُمُونَ فِي أَعْيُنِ أَعْدَائِهِمْ، فَيَسَايِرُونَهُمْ،
وَيَرْتَفِعُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ، الْأَمْرُ الَّذِي وَضَعَهُمْ حَيْثُ وَضَعُوا هُمْ
أَنْفُسَهُمْ، وَتَمَيَّزُوا بِشَخْصِيَّتِهِمْ فَكَانَ لَهُمْ مَا تَمَنَّوْا. وَعَرَضَ
الصَّحَابَةُ عَلَى الْأَعْدَاءِ الْإِسْلَامَ، أَوِ الْجِزْيَةَ، أَوِ السَّيْفَ،
وَكَانَ مِنْ تَعَنَّتِ الرُّومِ وَطُغْيَانِهِمْ أَنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْقِتَالِ.

وَفِي الْيَوْمِ الْخَامِسِ مِنَ الْقِتَالِ خَرَجَ (غَرِيغُورِي) قَائِدُ
مِيْمَنَةِ الرُّومِ، وَطَلَبَ الْمُبَارَاةَ، فَخَرَجَ لَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ، وَحَاوَلَ

خَالِدٌ وَغَيْرُهُ أَنْ يُثْنِيَ أَبَا عُبَيْدَةَ عَنِ الْمُبَارَزَةِ وَيَتَقَدَّمَ لَهَا خَالِدٌ،
وَلَكِنْ أَبَا عُبَيْدَةَ أَصْرًا، وَتَمَكَّنَ مِنْ قَتْلِ غَرِيغُورِي فَأَرْتَفَعَتْ
مَعْنَوِيَّاتُ الْمُسْلِمِينَ. وَمَا انْتَهَى ذَلِكَ الْيَوْمَ إِلَّا وَفَرَ الرُّومُ
مُخْلَفِينَ وَرَاءَهُمْ خَمْسَةٌ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ قَتِيلٍ فِي مِيدَانِ
الْمَعْرَكَةِ.

وَعِنْدَمَا انْتَهَتْ الْمَعْرَكَةُ سَلَّمَ خَالِدُ الْقِيَادَةِ لِأَبِي عُبَيْدَةَ وَمَا
جَاءَهُ مِنَ الْبَرِيدِ، وَعَزَّى الْمُسْلِمِينَ بِأَبِي بَكْرٍ، وَأَعْلَمَهُمْ بِتَوَلِّيَةِ
عُمَرَ.

فِي خِلَافَةِ عُمَرَ

تَابَعَ الْمُسْلِمُونَ مَنْ فَرَّ مِنَ الرُّومِ فَصَالَحَ أَهْلُ دِمَشْقَ وَأَهْلُ
حِمَصَ الْمُسْلِمِينَ. أَمَّا أَبُو عُبَيْدَةَ فَقَدْ انْتَقَلَ بِبَقِيَّةِ الْجَيْشِ مِنْ
الْيَرْمُوكِ إِلَى مَرْجِ الصُّفْرِ، وَجَاءَهُ الْخَبَرُ أَنَّ الرُّومَ قَدْ تَجَمَّعُوا
فِي فِجْلَ بَغُورِ الْأَرْدُنِ، وَأَنَّ قُوَّاتٍ مِنَ الرُّومِ قَدْ عَادَتْ إِلَى
حِمَصَ وَدِمَشْقَ فَتَوَقَّفَ لَا يَدْرِي بِأَيِّ الْجَبْهَتَيْنِ يَبْدَأُ، فَكَتَبَ
إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَشِيرُهُ، وَيَصِفُ لَهُ الْمَوْقِفَ، فَجَاءَهُ
الْجَوَابُ بِأَنْ يَبْدَأَ بِدِمَشْقَ فَإِنَّهَا حِصْنُ الشَّامِ وَبَيْتُ مَمْلَكَتِهِمْ.
وَأَنْ يُشَاغِلَ أَهْلَ فِجْلَ بِخُيُولٍ تَكُونُ تِلْقَاءَهُمْ، فَإِنْ فَتَحَهَا اللَّهُ
قَبْلَ دِمَشْقَ فَذَلِكَ الَّذِي نُحِبُّ، وَإِنْ فُتِحَتْ دِمَشْقُ قَبْلَهَا فَسِرْ

أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى دِمَشْقَ، فَإِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ
فَحَلَ فَسِيرَ أَنْتَ وَخَالِدٌ إِلَى حِمَصَ، وَاتْرُكْ عَمْرًا وَشَرْحِبِيلَ عَلَى
الْأَرْدُنِ وَفِلِسْطِينَ.

أَرْسَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَبَا الْأَعْوَرِ السُّلَمِيَّ إِلَى طَبَرِيَا لِيَفْتَحَهَا،
وَلِيَكُونَ رِدْءًا لِلْمُسْلِمِينَ الْمُتَّجِهِينَ إِلَى دِمَشْقَ، وَحَائِلًا دُونَ
وُصُولِ إِمْدَادَاتِ رُومِيَّةٍ إِلَى دِمَشْقَ الَّتِي نَقَضَ أَهْلُهَا الصِّلَحَ
بَعْدَ أَنْ رَأَوْا أَنَّ الرُّومَ لَا تَزَالُ لَهُمْ قُوَّةٌ فِي الْمَنَاطِقِ الْجَنُوبِيَّةِ،
وَكَذَلِكَ فَعَلَ أَهْلُ حِمَصَ.

سَارَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِاتِّجَاهِ دِمَشْقَ، وَقَدْ جَعَلَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فِي
الْقَلْبِ، وَسَارَ هُوَ فِي الْمَيْسَرَةِ، وَعَمَرُو بْنُ الْعَاصِ فِي
الْمَيْمَنَةِ، وَكَانَ عِيَاضُ بْنُ غَنَمٍ عَلَى الْخَيْلِ، وَشَرْحِبِيلُ بْنُ
حَسَنَةَ عَلَى الرَّجَالَةِ. وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ بَعَثَ ذَا الْكِلَاعِ لِيَكُونَ
فِي فِرْقَةٍ بَيْنَ دِمَشْقَ وَحِمَصَ لِتَحُولِ دُونَ وَوُصُولِ إِمْدَادَاتٍ إِلَى
دِمَشْقَ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ، كَمَا بَعَثَ أَبَا الدَّرْدَاءِ فِي فِرْقَةٍ أُخْرَى
لِتَكُونَ فِي بَرْزَةِ عَلَى مَقَرَّبَةٍ مِنْ دِمَشْقَ رِدْءًا لِلْجَيْشِ الْإِسْلَامِيِّ
الَّذِي يَقُومُ بِحِصَارِ مَدِينَةِ دِمَشْقَ. وَبَعَثَ أَمَامَهُ طَلِيعَةً بِأَمْرَةِ
أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ. وَاسْتَخْلَفَ عَلَى مَنَاطِقَةِ الْيَرْمُوكِ بَشِيرُ بْنُ
كَعْبٍ فِي خَيْلٍ هُنَاكَ

انْطَلَقَ الْجَيْشُ الْإِسْلَامِيُّ نَحْوَ دِمَشْقَ فَدَخَلَ الْغُوطَةَ
 وَاحْتَلَّهَا كَيْ لَا يَأْمَلَ أَهْلُ دِمَشْقَ بِمُسَاعَدَاتٍ وَتَمْوِينَاتٍ مِنْهَا،
 ثُمَّ حَاصَرَ دِمَشْقَ فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي الْغَرْبِ عَلَى بَابِ الْجَابِيَةِ،
 وَيَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى الْبَابِ الصَّغِيرِ فِي الْجَنُوبِ،
 وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَى بَابِ ثُومًا، وَشُرْحُبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ عَلَى
 بَابِ الْفَرَادِيسِ (الْمَنَاخِلِيَّةِ) وَبَابِ السَّلَامِ . وَاسْتَمَرَ الْحِصَارُ
 عِدَّةَ أَشْهُرٍ . وَاسْتَطَاعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ أَنْ يَفْتَحِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ
 جِهَةِ الشَّرْقِ بَعْدَ أَنْ تَسَلَّقَ عَدَدٌ مِنْ رِجَالِهِ الْأَسْوَارَ، وَقَتَلُوا
 الْحُرَّاسَ، وَفَتَحُوا الْبَابَ . فَأَسْرَعَ بَعْضُ رِجَالِ دِمَشْقَ إِلَى أَبِي
 عُبَيْدَةَ وَعَقَدُوا مَعَهُ الصَّلْحَ وَتَسْلِيمَ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ بَعْدُ أَنَّ
 خَالِدًا قَدْ اقْتَحَمَهَا مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ ، وَهَكَذَا كَانَ دُخُولُ دِمَشْقَ
 نِصْفُهُ عُنُوةً، وَنِصْفُهُ صَلْحًا .

بَعْدَ فَتْحِ دِمَشْقَ وَجَّهَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَى
 فِلِسْطِينَ، وَشُرْحُبِيلَ بْنَ حَسَنَةَ إِلَى الْأُرْدُنِ، وَأَبَا الزُّهْرَاءِ
 الْقُشَيْرِيَّ إِلَى حَوْرَانَ فَصَالَحَ أَهْلَهَا، وَسَيَّرَ جُنْدَ الْعِرَاقِ الَّذِينَ
 جَاءُوا مَعَ خَالِدٍ إِلَى الْعِرَاقِ ثَانِيَةً بِإِمْرَةِ هَاشِمِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ
 أَبِي وَقَّاصٍ ، وَسَيَّرَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى الْبَقَاعِ فَصَالَحَ أَهْلَهَا .
 وَوَلَّى عَلَى دِمَشْقَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ . وَسَارَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى

الشَّامَ فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى ثَنِيَّةِ الْعِقَابِ بَلَغَهُ تَجَمُّعُ الرُّومِ فِي
مَنْطِقَةِ الصَّبُورَةِ غَرْبِ دِمَشْقَ (مَرْجِ الرُّومِ) فَسَارَ إِلَيْهِمْ ،
وَجَاءَهُمْ خَالِدٌ مِنَ الْخَلْفِ ، فَلَمْ يَنْجُ مِنْ الرُّومِ إِلَّا مَنْ شَرَّدَ ،
وَقَتَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَحَدَ بَطَارِقَتِهِمْ وَهُوَ (شَسَنُ) ، وَقَتَلَ خَالِدُ
الْبَطْرِيقَ (تُودَرَا) وَهُوَ قَائِدُ الرُّومِ يَوْمَ ذَلِكَ .

وَسَارَ أَبُو عُبَيْدَةَ نَحْوَ حِمَصَ وَحَاصَرَهَا ، وَلَحِقَهُ خَالِدٌ وَشَارَكَ
أَبَا عُبَيْدَةَ فِي الْحِصَارِ ، حَتَّى اسْتَسَلِمَتْ فَأَرْسَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْبِشَارَةِ وَخُمْسِ الْغَنَائِمِ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
مَسْعُودٍ .

أَرْسَلَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ إِلَى تَدْمُرَ دَحِيَّةَ الْكَلْبِيِّ فَدَخَلَهَا ،
وَدَخَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ قَسْرِينَ بِتَوْجِيهِ أَبِي عُبَيْدَةَ .

أَمَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بِالسَّيْرِ إِلَى بَيْتِ
الْمَقْدِسِ ، فَاتَّصَرَ عَلَى الرُّومِ فِي أَجْنَادِينَ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى بَيْتِ
الْمَقْدِسِ فَوَجَدَ مُقَاوِمَةً عَنِيفَةً الْأَمْرَ الَّذِي جَعَلَ الْجِيُوشَ
الْإِسْلَامِيَّةَ تَضْطَرُّ إِلَى التَّوَجُّهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ لِلْقِتَالِ
مُجْتَمِعَةً مَرَّةً ثَانِيَةً .

كَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ قَدْ طَلَبَ نَجْدَةً مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،

فَسَارَ بِنَفْسِهِ إِلَيْهِ، وَوَصَلَ إِلَى الْجَابِيَةِ . غَيْرَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا قَدِ انْتَصَرُوا فِي أَجْنَادِينَ - بِإِذْنِ اللَّهِ - . وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ قَدْ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ إِيْلِيَاءَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ ، أَوْ يَبْذِلُونَ الْجَزِيَّةَ ، أَوْ يُؤْذِنُوا بِحَرْبٍ ، فَأَبَوْا أَنْ يُجِيبُوهُ إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ ، فَرَكِبَ إِلَيْهِمْ فِي جُنُودٍ ، وَاسْتَحْلَفَ عَلَى دِمَشْقَ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ . كَمَا سَارَتْ بَقِيَّةُ الْأَمْرَاءِ بِمَنْ مَعَهَا مِنَ الْجُنُودِ ، وَحَاصَرُوا بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، وَضَيَّقُوا عَلَى أَهْلِهِ حَتَّى أَجَابُوا إِلَى الصُّلْحِ ، بِشَرْطِ أَنْ يَقْدَمَ عَلَيْهِمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَكَتَبَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى عُمَرَ يُخْبِرُهُ بِالْأَمْرِ فَاسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ ، وَسَارَ إِلَى الشَّامِ ، وَمَعَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الشَّامِ تَلَقَّاهُ أَبُو عُبَيْدَةَ وَأَمْرَاءُ الْأَجْنَادِ ، فَتَرَجَّلَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَتَرَجَّلَ عُمَرُ ، فَأَشَارَ أَبُو عُبَيْدَةَ لِيُقْبَلَ يَدَ عُمَرَ ، فَهَمَّ عُمَرُ بِتَقْبِيلِ رِجْلِ أَبِي عُبَيْدَةَ ، فَكَفَّ أَبُو عُبَيْدَةَ فَكَفَّ عُمَرُ^(١) - اللَّهُ أَكْبَرُ مَا أَفْضَلَ الْكَبِيرَ عِنْدَمَا يَتَوَاضَعُ ، وَمَا أَكْرَمَهُ عِنْدَمَا يَعْرِفُ مَكَانَةَ أَهْلِ الْفَضْلِ وَحَقِّهِمْ - .

وَصَالَحَ عُمَرُ نَصَارَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ إِجْلَاءَ الرُّومِ إِلَى ثَلَاثٍ . ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ مِنَ الْبَابِ الَّذِي دَخَلَ مِنْهُ

(١) البداية والنهاية ج ٧ ص ٦٢ .

رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ.

وَقَالَ عُمَرُ لِأَبِي عُبَيْدَةَ: اذْهَبْ بِنَا إِلَى مَنْزِلِكَ، قَالَ: وَمَا تَصْنَعُ عِنْدِي؟ مَا تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تُعَصِّرَ عَيْنَكَ عَلَيَّ. وَدَخَلَ عُمَرُ مَنْزِلَ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَلَمْ يَرِ شَيْئًا، قَالَ: أَيْنَ مَتَاعُكَ؟ لَا أَرَى إِلَّا لَبْدًا وَصَحْفَةً وَشَنًّا وَأَنْتَ أَمِيرٌ، أَعِنْدَكَ طَعَامٌ؟ فَقَامَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى جَوْنَةٍ، فَأَخَذَ مِنْهَا كُسِيرَاتٍ، فَبَكَى عُمَرُ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ: قَدْ قُلْتُ لَكَ: إِنَّكَ سَتُعَصِّرُ عَيْنَكَ عَلَيَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، يَكْفِيكَ مَا يُبْلَغُكَ الْمَقِيلَ. قَالَ عُمَرُ: غَيَّرْنَا الدُّنْيَا كُلَّنَا غَيْرَكَ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ^(١).

وَأَرْسَلَ عُمَرُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ، أَوْ بِأَرْبَعِمِائَةٍ دِينَارٍ، وَقَالَ لِلرَّسُولِ: انْظُرْ مَا يَصْنَعُ بِهَا، قَالَ: فَقَسَمَهَا أَبُو عُبَيْدَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى مُعَاذٍ بِمِثْلِهَا، قَالَ: فَقَسَمَهَا إِلَّا شَيْئًا قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ أَنَّهَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ. فَلَمَّا أَخْبَرَ الرَّسُولُ عُمَرَ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْ يَصْنَعُ هَذَا.

ثُمَّ سَارَ عُمَرُ إِلَى الْجَابِيَةِ فَصَالَحَ أَهْلَهَا، وَكَتَبَ إِلَى أَمْرَاءِ الْأَجْنَادِ أَنْ يُؤَافُوهُ فِي يَوْمٍ مُعَيَّنٍ إِلَى الْجَابِيَةِ، وَتَأَخَّرَ

(١) أخرجه أبو داود في سننه .

عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَشَرْحِبِيلُ حَيْثُ كَانَا لَا يَزَالَانِ فِي أَجْنَادِنَ حَتَّى فَرَّارُطُبُونُ الرُّومِ إِلَى مِصْرَ وَمِنْهَا إِلَى بِلَادِ الرُّومِ عَنْ طَرِيقِ الْبَحْرِ. وَلَمَّا صَالَحَ أَهْلُ الرَّمْلَةِ وَتِلْكَ الْجِهَاتِ أَقْبَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَشَرْحِبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ حَتَّى قَدِمَا الْجَابِيَةَ فَوَجَدَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَاكِبًا، فَلَمَّا اقْتَرَبَا مِنْهُ أَكْبَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَبَّلَاهَا، وَاعْتَنَقَهُمَا عُمَرُ مَعًا^(١). وَمِنْ الْجَابِيَةِ سَارَ عُمَرُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ^(٢). وَرَجَعَ كُلُّ أَمِيرٍ إِلَى جِهَتِهِ.

عِنْدَمَا وَصَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى حِمصَ فِي طَرِيقِ عَوْدَتِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَاصِرَهُ الرُّومُ فِيهَا فَطَلَبَ مِنْ خَالِدٍ فِي قِنْسَرِينَ أَنْ يَأْتِيَهُ فَبَاءَهُ، وَأَخْبَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا حَدَثَ، فَطَلَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْعِرَاقِ أَنْ يُرْسِلَ نَجْدَةَ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بِإِمْرَةِ الْقَعْقَاعِ بْنِ عَمْرِو التَّمِيمِيِّ، وَأَنْ يَسِيرَ عِيَّاضُ بْنُ غَنَمٍ إِلَى أَهْلِ الْجَزِيرَةِ الَّذِينَ مَالُوا الرُّومَ. وَسَارَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى رَأْسِ قُوَّةٍ لِيَنْصُرَ أَبَا عُبَيْدَةَ.

تَرَكَ أَهْلُ الْجَزِيرَةِ مَوَاقِعَهُمْ فِي حِمصَ عِنْدَمَا عِلْمُوا أَنَّ الْجَيْشَ الْإِسْلَامِيَّ بِإِمْرَةِ عِيَّاضِ بْنِ غَنَمٍ. وَانْهَارَتْ مَعْنَوِيَّاتُ

(١) البداية والنهاية ج ٧ ص ٦٣.

(٢) هناك اختلاف في الروايات.

الرُّومِ فِي حِمَصَ عِنْدَمَا عَلِمُوا بِمَسِيرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى رَأْسِ قُوَّةٍ إِلَيْهِمْ إِذْ تَصَوَّرُوا حَمَاسَةَ الْمُسْلِمِينَ وَقُوَّةَ أَمِيرِهِمْ وَشَجَاعَةَ مَنْ مَعَهُ . فَخَرَجَ أَبُو عُبَيْدَةَ لِقِتَالِهِمْ حَسَبَ رَأْيِ خَالِدٍ فَنَصَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ .

وَصَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْجَابِيَةِ . وَوَصَلَ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو إِلَى حِمَصَ بَعْدَ انْتِصَارِ الْمُسْلِمِينَ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَعَدَّ الْجَمِيعُ ضِمْنَ الْمُسَارِكِينَ فِي الْقِتَالِ ، وَنَالُوا نَصِيْبَهُمْ مِنَ الْغَنَائِمِ . وَأَمَّا عِيَاضُ بْنُ غَنَمٍ فَقَدْ صَالَحَ أَهْلَ الرُّقَّةِ وَحَرَّانَ وَالرُّهَا ، وَفَتَحَ دِيرَ الزُّورِ . وَبَعَثَ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ إِلَى نَصِيبِينَ ، وَعُمَرَ بْنَ سَعْدٍ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ إِلَى رَأْسِ الْعَيْنِ ، وَعُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ إِلَى أَرْمِينِيَا ، وَفَتَحَ عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ قَرْقِيسَاءَ .

وَأَرْسَلَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ أَخَاهُ مُعَاوِيَةَ بِنَاءً عَلَى أَوَامِرِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَفَتَحَ الْمُدْنَ السَّاحِلِيَّةَ صُورَ ، وَصَيْدَا ، وَبَيْرُوتَ ، وَجُبَيْلَ ، وَعِرْقَةَ ، وَطَرَابُلُسَ . وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ فَتَحَ قَيْسَارِيَّةَ بِنَاءً عَلَى أَوَامِرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ .

وَصَالَحَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَهْلَ حَلَبَ ، وَأَهْلَ إِنْطَاكِيَّةَ ، وَاسْتَعَانَ بِالْجُرَاجِمَةِ ضِدَّ الرُّومِ ، وَاضْطَرَّ إِلَى فَتْحِ إِنْطَاكِيَّةَ ثَانِيَةً بَعْدَ أَنْ

نَقَضَتِ الْعَهْدَ، وَوَلَّى عَلَيْهَا حَبِيبَ بْنِ مَسْلَمَةَ الْفِهْرِيِّ وَرَجَعَ
إِلَى الْجَنْوَبِ لِإِنْهَاءِ وَضْعِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ الَّذِي لَمْ يَتِمَّكَنْ
الْمُسْلِمُونَ مِنْ فَتْحِهِ. كَمَا أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ قَدْ عَادَ إِلَى
الْمَدِينَةِ.

وَلَمَّا تَمَّتْ هَذِهِ الْفُتُوحُ، وَانْتَهَى عَامُ الرَّمَادَةِ فِي الْحِجَازِ،
رَغِبَ عُمَرُ فِي زِيَارَةِ الشَّامِ، وَاتَّجَهَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى الْجَنْوَبِ
لَاِسْتِقْبَالِهِ، فَلَمَّا وَصَلَ عُمَرُ إِلَى بَلَدَةِ سَرَّغَ شَمَالِ تَبُوكَ لَقِيَهُ
أَمْرَاءُ الْأَجْنَادِ، وَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْأَرْضَ سَقِيمَةٌ، فَرَجَعَ بِالنَّاسِ
إِلَى الْمَدِينَةِ حَيْثُ قَالَ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِصْرُخْ فِي النَّاسِ:
قُلْ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مُصْبِحٌ عَلَى ظَهْرِ
فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ، فَأَصْبَحَ عُمَرُ عَلَى ظَهْرِ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ عَلَيْهِ،
فَلَمَّا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنِّي رَاجِعٌ فَارْجِعُوا،
فَقَالَ لَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ! قَالَ: نَعَمْ
فِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ... وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ
عَوْفٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ:
«إِذَا سَمِعْتُمْ بِهَذَا الْوَبَاءِ بِبَلَدٍ فَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ وَأَنْتُمْ
بِهِ فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ» فَقَالَ عُمَرُ: فَلِلَّهِ الْحَمْدُ! انْصَرَفُوا أَيُّهَا
النَّاسُ، فَأَنْصَرَفَ بِهِمْ.

وَعِنْدَمَا بَدَأَ الطَّاغُوتُ يُصِيبُ النَّاسَ أَرَادَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنْ يُخْرِجَ أَبَا عُبَيْدَةَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: سَلَامٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَتْ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ أُرِيدُ أَنْ أَشَافِيكَ فِيهَا، فَعَزَمْتُ عَلَيْكَ إِذَا نَظَرْتَ فِي كِتَابِي هَذَا أَلَّا تَضَعَهُ حَتَّى تُقْبَلَ إِلَيَّ. فَعَرَفَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْتَخْرِجَهُ مِنَ الْوَبَاءِ. فَقَالَ: يَغْفِرُ اللَّهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ! ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي قَدْ عَرَفْتُ حَاجَتَكَ إِلَيَّ، وَإِنِّي فِي جُنْدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا أَجِدُ بِنَفْسِي رَغْبَةً عَنْهُمْ، فَلَسْتُ أُرِيدُ فِرَاقَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيَّ وَفِيهِمْ أَمْرَهُ وَقَضَاءَهُ، فَحَلَّلْنِي مِنْ عَزَمَتِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَدَعْنِي فِي جُنْدِي. فَلَمَّا قَرَأَ عُمَرُ الْكِتَابَ بَكَى، فَقَالَ النَّاسُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَاتَ أَبُو عُبَيْدَةَ؟ قَالَ: لَا، وَكَأَنَّ قَدْ. ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ: سَلَامٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ أَنْزَلْتَ النَّاسَ أَرْضًا غَمِيقَةً، فَارْفَعُهُمْ إِلَى أَرْضٍ مُرْتَفَعَةٍ نَزْهَةٍ. فَلَمَّا وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ دَعَا أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا مُوسَى، إِنَّ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ جَاءَنِي بِمَا تَرَى، فَاخْرُجْ فَارْتَدِّ لِلنَّاسِ مَنْزِلًا حَتَّى أَتْبِعَكَ بِهِمْ. قَالَ أَبُو مُوسَى: فَرَجَعْتُ إِلَى مَنْزِلِي لِأُرْتَحِلَ، فَوَجَدْتُ صَاحِبَتِي قَدْ أُصِيبَتْ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِي حَدَثٌ، فَقَالَ: لَعَلَّ صَاحِبَتَكَ أُصِيبَتْ! قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَأَمَرَ بِبَعِيرِهِ فَرَحَلَ لَهُ، فَلَمَّا وَضَعَ

رِجْلَهُ فِي غَرْزِهِ طَعِنَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَصِيبْتُ، ثُمَّ سَارَ
بِالنَّاسِ حَتَّى نَزَلَ الْجَابِيَّةَ، وَرَفَعَ عَنِ النَّاسِ الْوَبَاءَ.

وَرُويَ أَنَّهُ لَمَّا اشْتَعَلَ الْوَجَعُ قَامَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي النَّاسِ
خَطِيبًا، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ هَذَا الْوَجَعُ رَحْمَةٌ بِكُمْ وَدَعْوَةٌ
نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَوْتُ الصَّالِحِينَ
قَبْلَكُمْ، وَإِنِّي أَبَا عُبَيْدَةَ يَسْأَلُ اللَّهُ أَنْ يَقْسِمَ لَهُ مِنْهُ حَظَّهُ، فَطَعِنَ
فَمَاتَ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى النَّاسِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ.

وَرُويَ أَنَّ وَجَعَ عَمَّوَسَ كَانَ مُعَافَى مِنْهُ أَبُو عُبَيْدَةَ وَأَهْلُهُ،
فَقَالَ: اللَّهُمَّ نَصِّيبُكَ فِي آلِ أَبِي عُبَيْدَةَ! فَخَرَجَتْ بِأَبِي عُبَيْدَةَ فِي
خِنْصَرِهِ بَثْرَةً، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا لَيْسَتْ بِشَيْءٍ.
فَقَالَ: أَرْجُو أَنْ يُبَارِكَ اللَّهُ فِيهَا، فَإِنَّهُ إِنْ بَارَكَ بِالْقَلِيلِ كَانَ
كَثِيرًا.

وَعَنِ الْحَارِثِ بْنِ عُمَيْرَةَ أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ أَرْسَلَهُ إِلَى أَبِي
عُبَيْدَةَ، فَسَأَلَهُ كَيْفَ هُوَ؟ فَأَرَاهُ أَبُو عُبَيْدَةَ طَعْنَةً خَرَجَتْ فِي كَفِّهِ،
فَتَكَاثَرَ شَأْنُهَا فِي نَفْسِ الْحَارِثِ، وَفَرِقَ مِنْهَا حِينَ رَأَاهَا،
فَأَقْسَمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِاللَّهِ: مَا يُحِبُّ أَنْ لَهُ مَكَانَهَا حُمْرَ النَّعَمِ.

انْطَلَقَ أَبُو عُبَيْدَةَ مِنَ الْجَابِيَّةِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ لِلصَّلَاةِ

فَاسْتَحْلَفَ عَلَى النَّاسِ مُعَاذَ بْنِ جَبَلٍ ، فَأَذْرَكَ أَبَا عُبَيْدَةَ أَجَلَهُ
بِفَحْلٍ قُرْبَ بَيْسَانَ أَتَوْفِي بِهَا وَذَلِكَ سَنَةٌ ثَمَانِي عَشْرَةَ لِلْهِجْرَةِ ،
وَكَانَ عُمُرُهُ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً .

لَمْ يَكُنْ أَبُو عُبَيْدَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَطْلُبُ الْمَوْتَ تَخْلُصًا
مِنَ الْحَيَاةِ ، فَهَذَا أَمْرٌ لَا يَصِحُّ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَطْلُبُ الْإِبْتِلَاءَ ، إِذْ
فَاتَتْهُ الشَّهَادَةُ فِي سَاحَاتِ الْقِتَالِ رَغَمَ مَا خَاضَ مِنْ مَعَارِكِ ،
وَرَغَمَ مَا بَدَلَ نَفْسَهُ ، لِذَا فَهُوَ يَطْلُبُ الْإِبْتِلَاءَ لِيَكُونَ لَهُ حِطَّةٌ
مِنْ ذُنُوبِهِ ، وَيَرْوِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« مَنْ أَتَفَقَ نَفَقَةً فَاضِلَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبِسَبْعِمِائَةٍ ، وَمَنْ أَتَفَقَ
عَلَى عِيَالِهِ أَوْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ رَفَعَ أَذَى فَاَلْحَسَنَةُ بَعْشَرِ أَمْثَالِهَا ،
وَالصَّوْمُ جَنَّةٌ مَا لَمْ يَخْرِقْهَا ، وَمَنْ ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِبَلَاءٍ فِي جَسَدِهِ فَهُوَ
لَهُ حِطَّةٌ » .

وَلَمْ يَكُنْ أَبُو عُبَيْدَةَ يَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا عَنْ حَاجَةٍ أَوْ ضَعْفٍ أَوْ
بُخْلِ فَقَدْ كَانَ الْمَالُ لَدَيْهِ كَثِيرٌ ، وَعَرَضُ الدُّنْيَا أَمَامَهُ مُتَوَفِّرٌ ،
وَإِمْكَانِيَّةُ الْحُصُولِ عَلَيْهِ سَهْلٌ فَهُوَ أَمِيرُ أَمْرَاءِ جُيُوشِ الشَّامِ ،
وَإِنَّمَا كَانَ يَنْفَقُ مَا يَأْتِيهِ عَلَى إِخْوَانِهِ وَمَنْ هُوَ أَكْثَرُهُمْ حَاجَةً فَهُوَ
كَرِيمٌ لَا يُعَادِلُهُ رَجُلٌ فِي كَرَمِهِ ، جَوَادٌ لَا يُضَارِعُهُ آخَرُ فِي

جُودِهِ، مُجِبُّ لَأَصْحَابِهِ وَمُفَضِّلُهُمْ عَلَى نَفْسِهِ . يَكْفِيهِ مِنَ الدُّنْيَا مَا يُبْلَغُهُ الْمَقِيلَ .

وَمِثْلُ أَبِي عُبَيْدَةَ فَلَتَكُنِ الرِّجَالُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ .

بَعْضُ مَا قِيلَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِجُلَسَائِهِ: تَمَنُّوا، فَتَمَنُّوا، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: لَكِنِّي أَتَمَنَّى بَيْتًا مُمْتَلِكًا رِجَالًا مِثْلَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا أَلَوْتُ الْإِسْلَامَ، فَقَالَ: ذَاكَ الَّذِي أَرَدْتُ .

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: لَوْ أَدْرَكْتُ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ لَأَسْتَخْلَفْتُهُ وَمَا شَاوَرْتُ فَإِنْ سُئِلْتُ عَنْهُ قُلْتُ اسْتَخْلَفْتُ أَمِينَ اللَّهِ وَأَمِينَ رَسُولِهِ .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَقِيقٍ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ: أَيُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِ؟ قَالَتْ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ أَبُو عُبَيْدَةَ .

سَمِعَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَجُلًا يَقُولُ: لَوْ كَانَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مَا

كَانَ بِالنَّاسِ دَوْكٌ (اختلاط) وَذَلِكَ فِي حَصْرِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَقَالَ
مُعَاذُ: فَإِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ تَضْطَرُّ الْمُعْجِزَةُ لَا أَبَالَكَ! وَاللَّهِ إِنَّهُ لَخَيْرٌ
مَنْ بَقِيَ عَلَى الْأَرْضِ.

بُناة دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ

- ٢٨ -

سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ
الْمُرْسَلِينَ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ أَحَدَ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَحَدَ الْعَشْرَةِ
الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ مَعْرِفَةَ الْمُسْلِمِينَ لِمَوَاقِفِهِ
قَلِيلَةً، وَرُبَّمَا كَانَ اسْمُهُ يُذَكَّرُ دُونَ أَبِيهِ عِنْدَ ذِكْرِ الصَّحَابَةِ
الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ وَلَوْ سَأَلْتَ مَنْ يَكُونُ «سَعِيدٌ» فَقَلِيلٌ مَنْ يَعْرِفُ
اسْمَهُ الْكَامِلُ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ يَعُودُ لِلأَدْوَارِ الْقَلِيلَةِ الَّتِي قَامَ بِهَا فِي
الأَحْدَاثِ الْمُهَمَّةِ، إِذْ لَمْ يَتَسَلَّمْ قِيَادَةَ عَامَّةٍ وَلَمْ يُرْشَحْ
لِلْخِلَافَةِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ الشُّورَى إِذْ أَنَّ ابْنَ عَمِّهِ
عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ لَمْ يَضَعْهُ بَيْنَهُمْ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ، وَبِالإِضَافَةِ إِلَى
ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَمْ يَشْرَكَ فِي الْخِلَافَاتِ عِنْدَمَا قَامَتْ فِي الْمَجْتَمَعِ
الْإِسْلَامِيِّ بَعْدَ أَنْ دَخَلَتْهُ عَنَاصِرُ غَرِيبَةٍ، وَيَعْرِفُ النَّاسُ الَّذِينَ

يَشْتَرِكُونَ فِي الْخِلَافَاتِ عَادَةً وَيَبْرُزُونَ لِهَذَا كُلِّهِ عَاشَ فِي ظِلِّ
إِخْوَانِهِ الْآخَرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ،
عَاشَ سَعِيدًا بِإِسْلَامِهِ وَمَاتَ سَعِيدًا بِإِيمَانِهِ .

أَرْجُو أَنْ أُؤَفَّقَ بِإِعْطَاءِ صُورَةٍ صَادِقَةٍ عَنْ هَذَا الصَّحَابِيِّ
الْجَلِيلِ السَّابِقِ فِي تَلْبِيَةِ الدَّعْوَةِ السَّابِقِ إِلَى الْجِهَادِ ،
الصَّادِقِ فِي كُلِّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِهِ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ .

نَشَاءُ سَعِيدٍ

هُوَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نَفِيلِ الْعَدَوِيِّ، فَهُوَ قَرِيبُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَالِدُهُ زَيْدُ ابْنِ عَمِّ عُمَرَ. وَيَكْنَى أَبَا الْأَعْوَرِ.

وَأُمُّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ بَعْجَةَ بْنِ أُمَيَّةَ مِنْ خُرَاعَةَ.

وُلِدَ قَبْلَ الْبِعْثَةِ بِخَمْسَةِ عَشَرَ عَامًا فَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِخَمْسَةِ وَعِشْرِينَ عَامًا، وَأَصْغَرُ مِنْ ابْنِ عَمِّهِ عُمَرَ بِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً.

وَكَانَ زَيْدٌ وَالِدُ سَعِيدٍ قَدْ فَارَقَ دِينَ قَوْمِهِ، فَاعْتَزَلَ الْأَوْثَانَ وَالْدَّمَ وَالْمَيْتَةَ وَالذَّبَائِحَ الَّتِي تُذْبَحُ عَلَى الْأَوْثَانِ، وَنَهَى عَنْ قَتْلِ الْمَوْدُودَةِ، وَبَادَى قَوْمَهُ بِغَيْبِ مَا هُمْ عَلَيْهِ. وَكَانَ يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، وَالَّذِي نَفْسُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بِيَدِهِ، مَا أَصْبَحَ مِنْكُمْ أَحَدٌ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ غَيْرِي، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ لَوْ أَنِّي أَعْلَمُ

أَيُّ الْوُجُوهِ أَحَبُّ إِلَيْكَ عَبْدُكَ بِهِ، وَلَكِنِّي لَا أَعْلَمُ، ثُمَّ يَسْجُدُ عَلَى رَاحَتِهِ.

وَقَدْ أَجْمَعَ زَيْدُ الْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ لِيَضْرِبَ فِي الْأَرْضِ يَطْلُبُ الْحَنِيفِيَّةَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ، فَكَانَتْ زَوْجُهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ الْحَضْرَمِيِّ كُلَّمَا رَأَتْهُ قَدْ تَهَيَّأَ لِلْخُرُوجِ آذَنْتْ بِهِ عَمَّهُ الْخَطَّابُ بْنُ نَفِيلٍ وَكَانَ أَخَاهُ لِأُمِّهِ، فَكَانَ يُعَاتِبُهُ فِي مُفَارَقَةِ دِينِ قَوْمِهِ.

وَخَرَجَ يَطْلُبُ دِينَ إِبْرَاهِيمَ، وَيَسْأَلُ الرُّهْبَانَ وَالْأَخْبَارَ حَتَّى بَلَغَ الْمُوصِلَ وَالْجَزِيرَةَ، ثُمَّ أَقْبَلَ فَجَالَ الشَّامَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَاهِبٍ فِي أَرْضِ الْبَلْقَاءِ كَانَ يَنْتَهِي إِلَيْهِ عِلْمُ النَّصْرَانِيَّةِ فِيمَا يَزْعُمُونَ فَسَأَلَهُ عَنِ الْحَنِيفِيَّةِ دِينَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ لَتَطْلُبُ دِينًا مَا أَنْتَ بِوَاجِدٍ مِنْ يَحْمِلُكَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ، وَلَكِنْ قَدْ أَظَلَ زَمَانُ نَبِيِّ يَخْرُجُ مِنْ بِلَادِكَ الَّتِي خَرَجْتَ مِنْهَا، يُبْعَثُ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ الْحَنِيفِيَّةِ فَالْحَقْ بِهَا، فَإِنَّهُ مَبْعُوثُ الْآنَ، هَذَا زَمَانُهُ. وَكَانَ زَيْدٌ قَدْ أَطْلَعَ عَلَى الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ فَلَمْ يَرْضَ شَيْئًا مِنْهُمَا، فَخَرَجَ سَرِيعًا حِينَ قَالَ لَهُ الرَّاهِبُ مَا قَالَ، يُرِيدُ مَكَّةَ، حَتَّى إِذَا تَوَسَّطَ بِلَادَ لَحْمٍ عَدُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ.

كَانَ سَعِيدٌ قَدْ بَلَغَ مَرَحَلَةَ الشَّبَابِ عِنْدَمَا قُتِلَ وَالِدُهُ، فَقَدْ

بَلَغَتْ سِنُهُ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ فَتَزَوَّجَ ابْنَتَهُ عَمَّهُ فَاطِمَةَ بِنْتَ
الْخَطَّابِ أُخْتِ عُمَرَ.

كَانَ سَعِيدٌ يَخْشَى ابْنَ عَمِّهِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَيَهَابُهُ، كَمَا
كَانَ أَبُوهُ زَيْدٌ يَهَابُ عَمَّهُ الْخَطَّابَ.

إِسْلَامُ سَعِيدٍ

بَدَأَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالدَّعْوَةِ، وَمَا بَلَغَ
أَمْرُهَا سَعِيدًا حَتَّى أُسْرِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، وَأَعْلَنَ إِسْلَامَهُ، وَأَنْخَرَطَ فِي صُفُوفِ إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ
الْآخَرِينَ الَّذِينَ كَانَ عَدَدُهُمْ لَا يَزَالُ ضَيْئَالًا، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ دَخَلَ بَعْدَ دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ
أَبِي الْأَرْقَمِ عِنْدَ الصَّفَا. وَكَانَ الْعَدَدُ لَا يَزِيدُ عَلَى سَبْعَةِ عَشَرَ
مُسْلِمًا. وَأَسْلَمَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ مَعَ زَوْجِهَا سَعِيدٍ.

وَلَمَّا بَدَأَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُلْتَقِي مَعَ
أَصْحَابِهِ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ، وَجَدَتْ بُيُوتُ
أُخْرَى يُلْتَقِي فِيهَا عَدَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَعَ أَحَدِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ
تَلَقَّوْا عَلَى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ بَيْتُ
سَعِيدٍ أَحَدَ هَذِهِ الْبُيُوتِ الَّتِي تَكُونُ فِيهَا الْأَسْرُ الْمُسْلِمَةُ أَوْ

حَلَقَاتِ الدَّعْوَةِ . وَكَانَ قَوَامُ هَذِهِ الْحَلَقَةِ الَّتِي تَلْتَقِي فِي بَيْتِ سَعِيدٍ: خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِ مُشْرِفًا وَمُعَلِّمًا، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، وَزَوْجُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ، وَنُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّحَّامِ الْعَدَوِيُّ أَيْضًا . وَكَانَتْ هَذِهِ الْأُسْرُ تَسْتَخْفِي بِإِسْلَامِهَا كَمَا تَسْتَخْفِي بِلِقَاءِهَا، وَأَمَّا هَذِهِ الْأُسْرَةُ فَكَانَتْ أَكْثَرَ مَا تَهَابُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، لِأَنَّهَا، مِنْ عَشِيرَتِهِ بَنِي عَدِيٍّ، وَهُوَ كَبِيرُ هَذِهِ الْعَشِيرَةِ، وَمَعْرُوفُ بَقْسَوْتِهِ وَغِلْظَتِهِ .

وَفِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الْبَعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَالْمُسْلِمُونَ قَدْ هَاجَرُوا مِنْهُمْ إِلَى الْحَبَشَةِ، بَلَغَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنْ رَهْطًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَجْتَمِعُونَ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ عِنْدَ الصَّفَا، وَهُمْ قَرِيبٌ مِنْ أَرْبَعِينَ مَا بَيْنَ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ، فَأَخَذَتْ عُمَرَ عَصِيَّةً جَاهِلِيَّةً، وَعَصِيَّةً لِدِينِ قَوْمِهِ، فَتَوَشَّحَ سَيْفُهُ وَانْطَلَقَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَصْحَابِهِ يُرِيدُ الْفَتْكَ بِهِمْ - عَلَى زَعْمِهِ - . وَفِي الطَّرِيقِ التَّقَى بْنُ نُعَيْمٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّحَّامِ وَهُوَ يَسِيرُ إِلَى لِقَائِهِ فِي دَارِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، دَلَالَةً مَعْرِفَتِهِ بِذَلِكَ . فَقَالَ نُعَيْمُ: أَأَيْنَ تُرِيدُ يَا عُمَرُ؟ .

قَالَ عُمَرُ: أُرِيدُ مُحَمَّدًا هَذَا الصَّابِيَّ، الَّذِي فَرَّقَ أَمْرَ قُرَيْشٍ، وَسَفَّهُ أَحْلَامَهَا، وَعَابَ دِينَهَا، وَسَبَّ آلِهَا، فَأَقْتُلْهُ .

فَأَرَادَ نَعِيمٌ أَنْ يُغَيِّرَ لَهُ وَجْهَةَ طَرِيقِهِ بِالتَّهْدِيدِ فَقَالَ لَهُ: وَاللَّهِ
لَقَدْ غَرَّتْكَ نَفْسُكَ مِنْ نَفْسِكَ يَا عُمَرُ، أَتَرَى بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ
تَارِكِيكَ تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ، وَقَدْ قَتَلْتُ مُحَمَّدًا! وَلَكِنْ عُمَرُ
لَا يَصْلُحُ مَعَهُ التَّهْدِيدُ، وَنَعِيمٌ يَعْرِفُ ذَلِكَ، غَيْرَ أَنَّهَا كَانَتْ
مُحَاوَلَةً، وَعِنْدَمَا وَجَدَ نَعِيمٌ عَدَمَ الْفَائِدَةِ مِنَ التَّخْوِيفِ، رَأَى
ضَرُورَةَ تَغْيِيرِ وَجْهَةِ عُمَرُ مَهْمَا كَانَتْ النَّتَائِجُ فَفَضَّلَ التَّضْحِيَةَ
بِسَعِيدٍ وَزَوْجِهِ عَلَى أَنْ يُصَابَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، بِمَكْرُوهِ، بَلْ فَكَّرَ نَعِيمٌ أَنَّ عُمَرَ رُبَّمَا تَأْخُذُهُ عَاطِفَةُ
الْقَرَابَةِ فَلَا يُصِيبُ شَقِيقَتَهُ فَاطِمَةَ وَزَوْجَهَا سَعِيدًا بِأَذَى، لِذَا
قَالَ لَهُ: أَفَلَا تَرْجِعُ إِلَى أَهْلِ بَيْتِكَ فَتَقِيمُ أَمْرَهُمْ.

قَالَ عُمَرُ: وَأَيُّ أَهْلِ بَيْتِي؟

قَالَ نَعِيمٌ: خَتَنُكَ وَابْنُ عَمِّكَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو،
وَأَخْتُكَ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ، فَقَدْ وَاللَّهِ أَسْلَمَا، وَتَابَعَا
مُحَمَّدًا عَلَى دِينِهِ، فَعَلَيْكَ بِهِمَا. فَرَجَعَ عُمَرُ فِعْلًا عَنْ وَجْهَتِهِ
الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا، وَاتَّجَهَ مِنْ جَدِيدٍ إِلَى أَخِيهِ وَخَتَنِهِ، وَعِنْدَهُمَا
خَبَابُ بْنُ الْأَرَثِ، مَعَهُ صَحِيفَةٌ فِيهَا صَدْرُ سُورَةِ «طه» يُقْرَأُهَا
إِيَّاهَا. فَلَمَّا سَمِعُوا حِسَّ عُمَرَ، تَغَيَّبَ خَبَابُ فِي مَخْدَعٍ لَهُمْ،
أَوْ فِي بَعْضِ الْبَيْتِ، وَأَخَذَتْ فَاطِمَةُ الصَّحِيفَةَ فَجَعَلَتْهَا تَحْتَ

فَخَذَهَا، وَقَدْ سَمِعَ عُمَرُ حِينَ دَنَا إِلَى الْبَيْتِ قِرَاءَةَ خَبَابٍ عَلَيْهَا، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: مَا هَذِهِ الْهَيْئَةُ الَّتِي سَمِعْتُ؟

قَالَ: مَا سَمِعْتَ شَيْئًا.

قَالَ: بَلَى وَاللَّهِ، لَقَدْ أُخْبِرْتُ أَنَّكُمْ تَابَعْتُمَا مُحَمَّدًا عَلَى دِينِهِ، وَبَطَشَ بِخَتَمِهِ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ أُخْتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ لِتَكْفُهُ عَنْ زَوْجِهَا، فَضَرَبَهَا فَشَجَّهَا، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ قَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ وَخَتَنَتُهُ: نَعَمْ قَدْ أَسْلَمْنَا وَآمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ. فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا بِأُخْتِهِ مِنَ الدَّمِ نَدِمَ عَلَى مَا صَنَعَ، فَأَرَعَوَى، وَقَالَ لِأُخْتِهِ: أَعْطِنِي هَذِهِ الصَّحِيفَةَ الَّتِي سَمِعْتُكُمْ تَقْرَؤْنَ آفَافًا أَنْظُرُ مَا هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، وَكَانَ عُمَرُ كَاتِبًا، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ، قَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ: إِنَّا نَخْشَاكَ عَلَيْهَا؛ قَالَ: لَا تَخَافِي، وَحَلَفَ لَهَا بِالْهَيْئَةِ لِيَرُدَّ نَهَا إِلَيْهَا إِذَا قَرَأَهَا؛ فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ طَمِعَتْ فِي إِسْلَامِهِ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَخِي، إِنَّكَ نَجِسٌ عَلَى شِرْكِكَ، وَإِنَّهُ لَا يَمْسُهَا إِلَّا الطَّاهِرُ، فَقَامَ عُمَرُ فَاعْتَسَلَ، فَأَعْطَتْهُ الصَّحِيفَةَ، فَلَمَّا قَرَأَهَا قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامُ وَأَكْرَمَهُ! فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ خَبَابُ خَرَجَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عُمَرُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ خَصَّكَ بِدَعْوَةِ نَبِيِّهِ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ أَمْسُ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَيْدِ الْإِسْلَامَ بِأَبِي الْحَكَمِ بْنِ

هشامٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَاللَّهُ اللَّهُ يَا عُمَرُ. فَقَالَ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ عُمَرُ: فَدُلَّنِي يَا خَبَّابُ عَلَى مُحَمَّدٍ حَتَّى آتِيَهُ فَأُسَلِّمَ؛ فَقَالَ لَهُ خَبَّابُ: هُوَ فِي بَيْتٍ عِنْدَ الصَّفَا، مَعَهُ فِيهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ. فَأَخَذَ عُمَرُ سَيْفَهُ فَتَوَشَّحَهُ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَصْحَابِهِ فَضَرَبَ عَلَيْهِمُ الْبَابَ؛ فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ، قَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ مِنْ خَلَلِ الْبَابِ، فَرَأَاهُ مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ، فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ فَزِعٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ؛ فَقَالَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: فَأَذِنْ لَهُ، فَإِنْ كَانَ جَاءَ يُرِيدُ خَيْرًا بَدَلْنَاهُ لَهُ، وَإِنْ كَانَ جَاءَ يُرِيدُ شَرًّا قَتَلْنَاهُ بِسَيْفِهِ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذِنْ لَهُ. فَأَذِنْ لَهُ الرَّجُلُ، وَنَهَضَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى لَقِيَهُ فِي الْحُجْرَةِ، فَأَخَذَ حُجْرَتَهُ، أَوْ بِمَجْمَعِ رِدَائِهِ، ثُمَّ جَبَذَهُ جَبَذَةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ فَوَاللَّهِ مَا أَرَى أَنْ تَنْتَهِيَ حَتَّى يُنْزَلَ اللَّهُ بِكَ قَارِعَةً؛ فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئْتُكَ لِأُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؛ فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَكْبِيرَةً عَرَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّ عُمَرَ قَدْ أَسْلَمَ.

وَبِإِسْلَامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ زَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْخَوْفِ عَنْ هَذِهِ الْأُسْرَةِ، بَلْ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً قَدْ عَزُّوا بِإِسْلَامِهِ مَعَ إِسْلَامِ حَمْزَةَ الَّذِي سَبَقَهُ، إِذْ لَمْ يَعْذُ يَخْشَى الْعَدُوِّيُونَ عُمَرَ إِذْ أَصْبَحَ بِجَانِبِهِمْ بَعْدَ أَنْ كَانُوا يَخَافُونَهُ.

فِي دَارِ الْهَجْرَةِ

بَعْدَ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى أَصْحَابِهِ فِي مَكَّةَ بِالْهَجْرَةِ إِلَى إِخْوَانِهِمُ الْأَنْصَارِ فِي الْمَدِينَةِ فَبَدُّوْا يُهَاجِرُونَ، وَسَارَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَنَزَلَ عَلَى رُفَاعَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُنْذِرِ بْنِ رُفَاعَةَ. وَلَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَآخَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ آخَى بَيْنَ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ وَرَافِعِ بْنِ مَالِكِ الزَّرْقِيِّ.

عَاشَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فِي الْمَدِينَةِ حَيَاةً سَعِيدَةً هَادِئَةً مُشَارِكًا إِخْوَانَهُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْأَحْدَاثِ كُلِّهَا، فِي الْغَزَوَاتِ وَالسَّرَايَا الَّتِي كَانَتْ تَنْطَلِقُ نَحْوَ الْمَنْطِقَةِ الْغَرْبِيَّةِ تَعْمَلُ عَلَى مَسْحِهَا وَالتَّعَرُّفِ عَلَى أَهْلِهَا، وَتَجِدُ الْأَسْتِعْدَادَ وَالتَّدْرِيبَ لِلْمُوَاجَهَةِ الْمُقْبِلَةِ، وَتُهَدِّدُ قُرَيْشًا، وَتَرْفَعُ مِنْ مَعْنَوِيَّاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَحَتَّى إِذَا تَمَّ هَذَا كُلُّهُ، وَجَاءَ الْإِذْنُ بِالْقِتَالِ، وَسَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ،

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِقَافِلَةٍ لِقُرَيْشٍ بِإِمْرَةِ أَبِي سُفْيَانَ تَتَجَّهُ
إِلَى الشَّامِ خَرَجَ لَهَا مَعَ أَصْحَابِهِ يَعْتَزُّسُ سَبِيلَهَا غَيْرَ أَنَّهَا قَدْ
فَاتَتْهُ فَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَبَدَأَ يَتَحَيَّنُ قُفُولَهَا مِنَ الشَّامِ ثُمَّ
بَعَثَ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ وَسَعِيدَ بْنَ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو قَبْلَ
خُرُوجِهِ مِنَ الْمَدِينَةِ بَعْشَرَ لَيَالٍ يَتَحَسَّبَانِ خَبَرَ الْعِيرِ، فَخَرَجَا حَتَّى
بَلَغَا الْحَوْرَاءَ، فَلَمْ يَزَالَا مُقِيمَيْنِ هُنَاكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمَا الْعِيرُ،
وَبَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْخَبَرَ قَبْلَ رُجُوعِ
طَلْحَةَ وَسَعِيدٍ إِلَيْهِ فَندَبَ أَصْحَابَهُ وَخَرَجَ يُرِيدُ الْعِيرَ، فَسَاحَلَتِ
الْعِيرُ وَأَسْرَعَتْ، وَسَارُوا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَرَقَاءَ مِنَ الطَّلَبِ،
وَخَرَجَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ يَرِيدَانِ الْمَدِينَةَ
لِيُخْبِرَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَبَرَ الْعِيرِ وَلَمْ
يَعْلَمَا بِخُرُوجِهِ، فَقَدِمَا الْمَدِينَةَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي التَقَى فِيهِ
الْجَمْعَانِ، فَخَرَجَا فِي أَثَرِهِ فَالْتَقَيَا مَعَهُ مُنْصَرِفًا مِنْ بَدْرِ، فَلَمْ
يَشْهَدَا الْوُقْعَةَ، فَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِسَهْمَيْنِ، وَعَدًّا مِنْ أَهْلِ بَدْرِ، كَمَنْ شَهِدَهَا.

وَشَهِدَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ بَعْدَ ذَلِكَ أَحَدًا وَالْخَنْدَقَ وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ غَزْوَةٍ
مِنَ الْغَزَوَاتِ وَلَمْ يَفُتَّهُ مَشْهَدٌ أَبَدًا. وَتُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عَشْرَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ فِي الْجَنَّةِ : أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعُثْمَانُ ، وَعَلِيٌّ ، وَطَلْحَةُ ، وَالزُّبَيْرُ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ، وَعَمْرُو بْنُ نَفِيلٍ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ .

فِي الْفُتُوحَاتِ

لَمَّا تَجَهَّزَتِ الْجِيُوشُ الْإِسْلَامِيَّةُ لِلْجِهَادِ ، وَاتَّجَهَتْ إِلَى الْفَتْحِ أَيَّامَ الصَّدِّيقِ انْخَرَطَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فِي هَذِهِ الْجِيُوشِ وَانْضَمَّ إِلَى تِلْكَ الَّتِي كَانَتْ وَجْهَتُهَا إِلَى الشَّامِ ، وَكَانَ بِجَانِبِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ وَفِي الْجَيْشِ الَّذِي يَقُودُهُ .

وَكَانَتْ مَعْرَكَةُ الْيَرْمُوكِ ، وَقَدْ رَتَّبَ خَالِدُ الْجَنْدِ فَكَانَ عَلَى الْمَيْمَنَةِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَمَعَهُ شُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ ، وَعَلَى الْمِيسَرَةِ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَفِي الْقَلْبِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَمَعَهُ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ . ثُمَّ أَشَارَ خَالِدٌ أَنْ يَكُونَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فِي الْقَلْبِ وَأَنْ يَكُونَ أَبُو عُبَيْدَةَ مِنْ وَرَاءِ النَّاسِ لِيُرِدَّ الْمُنْهَزِمَ . وَجَعَلَ عَلَى مَجَنَّبَتِي الْقَلْبِ عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ وَالْقَعْقَاعَ بْنَ عَمْرٍو ، كَمَا قَسَمَ الْخَيْلَ إِلَى فِرْقَتَيْنِ تَكُونَانِ

رِدَاءً وَدِرْعًا، كَانَ هُوَ فِي فِرْقَةٍ مِنْهَا خَلْفَ الْمَيْمَنَةِ، وَجَعَلَ
 قَيْسَ بْنَ هُبَيْرَةَ عَلَى الْفِرْقَةِ الْأُخْرَى خَلْفَ الْمِيسَرَةِ. فَكَانَ
 سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ إِذْنٌ عَلَى رَأْسِ قَلْبِ الْجَيْشِ وَقَدْ أَبْلَى بِلَاءً
 حَسَنًا، وَأَبْدَى أَنْوَاعًا مِنَ الشَّجَاعَةِ كَانَ لَهَا أَثَرٌ فِي تَحْقِيقِ
 النَّصْرِ - بِإِذْنِ اللَّهِ - .

وَتَوَجَّهَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ الْيَرْمُوكِ إِلَى دِمَشْقَ وَتَمَّ لَهُمْ فَتْحُهَا،
 فَوَلَّى أَبُو عُبَيْدَةَ عَلَيْهَا سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ فَكَانَ أَوَّلَ نَائِبٍ مِنَ
 الْمُسْلِمِينَ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَتَوَلَّى أَمْرَهَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ .
 وَلَمَّا انْتَهَى فَتْحُ الشَّامِ رَجَعَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ لِيَعِيشَ فِي
 الْمَدِينَةِ .

فِي الْمَدِينَةِ

عَاشَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فِي الْمَدِينَةِ وَلَمْ يُشَارِكْ فِي الْأَحْدَاثِ
 الْمُهَمَّةِ، فَلَمَّا طَعِنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَاخْتَارَ رِجَالَ الشُّوَرَى
 لَمْ يُعَيِّنْ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ بَيْنَهُمْ لِأَنَّهُ ابْنُ عَمِّهِ وَهُوَ الْوَحِيدُ مِنَ
 الْبَاقِينَ مِنَ الْعَشَرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ الَّذِي لَمْ يُسَمَّ بَيْنَ رِجَالِ
 الشُّوَرَى .

وَاعْتَزَلَ عِنْدَمَا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ فِي الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ،

وَبَقِيَ فِي الْمَدِينَةِ حَتَّى أَدْرَكَتُهُ الْمَيِّتَةُ سَنَةَ خَمْسِينَ أَوْ إِحْدَى
وَحَمْسِينَ لِلْهِجْرَةِ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا، وَلَهُ مِنَ الْعُمَرِ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ
بِالْعَقِيقِ، وَحُمِلَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَدُفِنَ بِهَا، وَنَزَلَ فِي حُفْرَتِهِ
سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ. وَهُنَاكَ رِوَايَةٌ
يَتَنَاقَلُهَا أَهْلُ الْكُوفَةِ تَقُولُ: إِنَّهُ تُوُفِّيَ بِالْكُوفَةِ وَصَلَّى عَلَيْهِ وَالِيهَا
الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ.

وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ.
فَقَدْ رَوَى أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ ادَّعَتْ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ أَخَذَ
شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا فَخَاصَمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ، فَقَالَ سَعِيدُ: أَنَا كُنْتُ
أَخَذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، سَمِعْتُهُ
يَقُولُ: «مَنْ أَخَذَ شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِ طُوقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ».
قَالَ مَرْوَانُ: لَا أَسْأَلُكَ بَيْنَهُ بَعْدَ هَذَا، فَقَالَ سَعِيدُ: اللَّهُمَّ إِنْ
كَانَتْ كَاذِبَةً، فَأَعْمِ بَصَرَهَا، وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا، فَمَا مَاتَتْ
حَتَّى عَمِيَتْ، وَبَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ
فَمَاتَتْ.

وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثَمَانِيَةً وَأَرْبَعِينَ
حَدِيثًا اتَّفَقَ الشَّيْخَانِ عَلَى حَدِيثَيْنِ، وَانْفَرَدَ الْبُخَارِيُّ بِثَلَاثٍ.

أُسْرَةُ سَعِيدٍ

تَزَوَّجَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فَاطِمَةَ بِنْتَ الْخَطَّابِ وَأُنْجِبَتْ لَهُ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَكْبَرُ، وَلَا عَقِبَ لَهُ. وَفِي بَعْضِ الْمَصَادِرِ
اسْمُهَا رَمْلَةٌ بِنْتُ الْخَطَّابِ وَتُكْنَى بِأُمِّ جَمِيلٍ.

وَتَزَوَّجَ جَلِيسَةَ بِنْتَ سُؤَيْدِ بْنِ صَامِتٍ، وَلَهُ مِنْهَا زَيْدٌ،
وَعَبْدُ اللَّهِ الْأَكْبَرُ وَلَا عَقِبَ لَهُمَا. وَعَاتِكَةُ مِنَ الْإِنَاثِ.

وَتَزَوَّجَ أُمَامَةَ بِنْتَ الدُّجَيْجِ مِنْ غَسَّانَ، وَلَهُ مِنْهَا
عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَصْغَرُ، وَعُمَرُ الْأَصْغَرُ، وَلَا عَقِبَ لَهُمَا،
وَمِنْ الْإِنَاثِ لَهُ مِنْهَا أُمُّ مُوسَى، وَأُمُّ الْحَسَنِ.

وَتَزَوَّجَ حَزْمَةَ بِنْتَ قَيْسِ بْنِ خَالِدِ الْقُرَيْشِيَّةَ، وَأُنْجِبَتْ لَهُ
مُحَمَّدًا، وَإِبْرَاهِيمَ الْأَصْغَرَ، وَعَبْدُ اللَّهِ الْأَصْغَرَ، وَمِنْ الْإِنَاثِ
أُمُّ حَبِيبِ الْكُبْرَى، وَأُمُّ الْحَسَنِ الصُّغْرَى، وَأُمُّ زَيْدِ الْكُبْرَى،
وَأُمُّ سَلَمَةَ، وَأُمُّ حَبِيبِ الصُّغْرَى، وَأُمُّ سَعِيدِ الْكُبْرَى، وَأُمُّ
زَيْدٍ.

وَتَزَوَّجَ أُمُّ الْأَسْوَدِ التَّغْلِبِيَّةَ، وَأُنْجِبَتْ لَهُ عَمْرًا الْأَصْغَرَ،
وَالْأَسْوَدَ.

وَتَزَوَّجَ ضُمَحَ بِنْتَ الْأَصْبَغِ الْكَلْبِيَّةَ، وَأُنْجَبَتْ لَهُ عَمْرَأُ
الْأَكْبَرُ، وَطَلْحَةُ، وَمِنْ الْإِنَاثِ زُجْلَةُ.

وَتَزَوَّجَ أُمَّ بَشِيرٍ بِنْتُ مَسْعُودِ الْأَنْصَارِيَّةَ، وَأُنْجَبَتْ لَهُ أُمُّ
زَيْدِ الصُّغْرَى.

وَتَزَوَّجَ ابْنَةَ قُرْبَةَ التَّغْلِيَّةَ وَأُنْجَبَتْ لَهُ إِبْرَاهِيمُ الْأَكْبَرُ،
وَحَفْصَةُ.

وَلَهُ خَالِدٌ، وَأُمُّ خَالِدٍ، وَأُمُّ النَّعْمَانِ وَأُمُّهُمْ أُمُّ وَلَدٍ تُدْعَى أُمُّ
خَالِدٍ.

كَمَا لَهُ عَائِشَةُ، وَزَيْنَبُ، وَأُمُّ عَبْدِ، وَأُمُّ صَالِحٍ وَأُمُّهُمْ أُمُّ
وَلَدٍ.

وَبِذَا يَكُونُ سَعِيدٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَدْ تَزَوَّجَ ثَمَانِي نِسَاءً
عَدَا أُمَّهَاتِ الْأَوْلَادِ، وَأُنْجَبْنَ لَهُ ثَلَاثَةُ عَشَرَ وَلَدًا مِنْ الذُّكُورِ،
خَمْسَةٌ مِنْهُمْ لَا عَقِبَ لَهُمْ، وَعِشْرِينَ مِنَ الْإِنَاثِ، مَاتَ بَعْضُهُنَّ
فِي حَيَاتِهِ.

بُناة دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ

- ٢٩ -

سَيِّدُ الْخَزَرَجِ

سِرُّ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

مُقَدِّمَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ
سَارَ عَلَى دَرْبِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ الزَّعَامَةَ قَدْ تُوْرَثُ، وَقَدْ تَدْفَعُ إِلَيْهَا الْمَوَاهِبُ أَوْ الْعِلْمُ
أَوْ الشَّجَاعَةُ أَوْ الْكَرَمُ وَرُبَّمَا مُوَهَّلَاتٌ ثَانِيَةً اقْتَضَتْهَا الظُّرُوفُ أَوْ
دَفَعَتْ إِلَيْهَا الْحَاجَةُ كَحُسْنِ الْحَدِيثِ أَوْ إِجَادَةِ الْخُطَابَةِ أَوْ
نَظْمِ الشَّعْرِ أَوْ الْبَلَاغَةِ فِي الْقَوْلِ، وَالزَّعَامَةُ فِي أَيَّةِ صُورَةٍ مِنْ
هَذِهِ الصُّوَرِ لَا يُمَكِّنُ بَقَاؤَهَا أَوْ الْمُحَافَظَةَ عَلَيْهَا إِلَّا إِذَا تَوَفَّرَ لَهَا
أَحَدُ عُنْصُرَيِ الْجُودِ أَوْ الشَّجَاعَةِ إِذْ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَسُودَ قَوْمُهُ
بَخِيلٌ وَلَا أَنْ يَسْمُوَ جَبَانٌ إِلَّا فِي حَالَاتٍ نَادِرَةٍ يُعْرَفُ فِيهَا أَحَدُ
هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ وَلَكِنْ لَا تَكُونُ لَهُمَا سَيَادَةٌ وَلَا يَصِلَانِ إِلَى
مَرْكَزِ الزَّعَامَةِ.

وَإِذَا رَجَعْنَا إِلَى عَصْرِ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، وَنَظَرْنَا إِلَى الْأَنْصَارِ نَبَحْتُ عَنْ الْجُودِ وَالشَّجَاعَةِ مَا
أَعْتَقِدُ أَنْ تَعْتَدِيَ آلَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، إِذْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْأُسْرَةُ
لِتُبَارَى فِي الْكَرَمِ، وَكَانَ مِنْهَا الْقَادَةُ الشُّجْعَانُ وَالصَّنَادِيدُ
الْأَبْطَالُ.

كَانَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَعِدَّةُ آبَاءٍ لَهُ قَبْلَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يُنَادَى
عَلَى أَطْمِهِمْ: مَنْ أَحَبَّ الشَّحْمَ وَاللَّحْمَ فَلْيَأْتِ أَطْمَ دُلَيْمِ بْنِ
حَارِثَةَ. وَرَوَى هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَذْرَكْتُ سَعْدَ
ابْنَ عُبَادَةَ وَهُوَ يُنَادِي عَلَى أَطْمِهِ: مَنْ أَحَبَّ شَحْمًا أَوْ لَحْمًا
فَلْيَأْتِ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ. ثُمَّ أَذْرَكْتُ ابْنَهُ مِثْلَ ذَلِكَ يَدْعُو بِهِ.

وَكَانَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ جَفْنَةٌ تَدُورُ مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، فِي بُيُوتِ أَزْوَاجِهِ، وَفِيهَا ثَرِيدٌ بِلَحْمٍ أَوْ ثَرِيدٌ بِلَبَنٍ أَوْ
ثَرِيدٌ بِخَلٍّ وَزَيْتٍ أَوْ سَمْنٍ، وَأَكْثَرُ ذَلِكَ اللَّحْمُ. وَقَالَ
قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: زَارَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي مَنْزِلِنَا فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، ثُمَّ
رَفَعَ يَدَهُ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ عَلَى آلِ
سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ.

وَرَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا مِنْ طَرِيقِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ: كَانَ
أَهْلُ الصُّفَّةِ إِذَا أُمْسُوا انْطَلَقَ الرَّجُلُ بِالوَاحِدِ، وَالرَّجُلُ

بِالْإِثْنَيْنِ ، وَالرَّجُلُ بِالْجَمَاعَةِ ، فَأَمَّا سَعْدٌ فَكَانَ يَنْطَلِقُ
بِثَمَانِينَ . وَرَوَى أَبُو يَعْلَى مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « جَزَى اللَّهُ عَنَّا الْأَنْصَارَ خَيْرًا
لَأَسِيْمَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ .

وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ
مَاتَتْ أُمُّهُ وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهَا ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ أُمِّي تُوفِّيتُ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا ،
أَفَيَنْفَعُهَا إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَإِنِّي أَشْهَدُكَ أَنَّ
حَاطِطِي الْمَخْرَافَ صَدَقَةٌ عَنْهَا . وَحَدَّثَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ : أَنَّ
أُمَّ سَعْدٍ مَاتَتْ فَسَأَلَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ ؟
قَالَ : اسْقِ الْمَاءَ .

هَذِهِ بَعْضُ جَوَانِبِ كَرَمِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
وَلَمْ تَكُنْ شَجَاعَتُهُ لِيَقْلَ عَنْ جُودِهِ فَقَدْ حَضَرَ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بِاسْتِثْنَاءِ بَذْرِ ، تَخَلَّفَ عَنْهَا
مُضْطَرًا وَأَبْلَى فِي الْمَعَارِكِ كُلَّهَا أَحْسَنَ الْبَلَاءِ ، وَقَدَّمَ نَمَازَ مَنْ
الشَّجَاعَةِ قُلَّ مِثْلُهَا .

وَإِذَا كَانَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، سَيِّدُ الْأَوْسِ بَلِ
سَيِّدُ الْأَنْصَارِ هُوَ أَفْضَلُ الْأَنْصَارِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ ، وَهُوَ بِمِثَابَةِ

أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَذَلِكَ لِأَنَّ
سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ كَانَ أَكْثَرَ صَفَاءً فِي إِيْمَانِهِ، وَأَكْثَرَ طَاعَةً بَيْنَ
قَوْمِهِ، وَلَا مُنَافِسَ لَهُ بَيْنَهُمْ، وَعِنْدَمَا أَسْلَمَ لَمْ يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ مِنْ
قَوْمِهِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَلَا عُرِفَ فِيهِمْ نِفَاقًا،
فَإِنَّ هَذَا لَا يُقَلَّلُ مِنْ شَأْنِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ إِذْ يَبْقَى الصُّورَةُ
الصَّادِقَةُ عَنِ الْأَنْصَارِ، وَلِكَثْرَةِ قَوْمِهِ الْخَزْرَجِ فَإِنَّ الزَّعَامَةَ
بَيْنَهُمْ كَثِيرَةٌ، وَبِذَا يَبْقَى أَيْضًا سَيِّدَ الْأَكْثَرِيَّةِ، وَبِاسْتِشْهَادِ
سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ بَعْدَ غَزْوَةِ
بَنِي قُرَيْظَةَ يَزْدَادُ مَرْكَزُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ بَيْنَ الْأَنْصَارِ كُلِّهِمْ،
وَيَكُونُ سَيِّدَهُمْ جَمِيعًا بِلَا مُنَافِسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْ سَعْدِ بْنِ
عُبَادَةَ، وَعَنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَجْمَعِينَ.

سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ

وُلِدَ سَعْدُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي أُسْرَةٍ ثَرِيَّةٍ عُرِفَتْ بِالكَرَمِ وَبِهِ
اشْتَهَرَتْ، فَوَرِثَ هَذِهِ الصِّفَةَ، وَكَانَ أَهْلُ أُنْبَاءِ الْمَدِينَةِ فِي
هَذِهِ السَّمَةِ. وَلَمْ يَبْلُغْ مَبْلَغَ الرِّجَالِ حَتَّى تَعْلَمَ الْكِتَابَةُ، وَهِيَ
فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ نَادِرَةٌ لَا فِي الْمَدِينَةِ فَحَسَبُ بَلِّ فِي جَزِيرَةِ
الْعَرَبِ كُلِّهَا، كَمَا تَعْلَمُ الْعُومُ عَلَى الرَّعْمِ مِنْ وُجُودِ الْمَدِينَةِ فِي
مَنْطِقَةٍ دَاخِلِيَّةٍ بَعِيدَةٍ عَنِ الْبَحْرِ، وَكَانَتْ مَعْرِفَةُ الْعُومِ نَادِرَةٌ بَيْنَ
سُكَّانِ الْمَنَاطِقِ النَّائِيَةِ عَنِ السَّوَاكِحِ، وَأَجَادَ الرُّمِّي أَيْضًا،
وَلِهَذِهِ الصِّفَاتِ فَقَدْ عُرِفَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
بِالْكَامِلِ .

كَانَ أَبُوهُ عُبَادَةُ بْنُ دُلَيْمٍ بْنِ حَارِثَةَ أَحَدَ رِجَالِ
الْخَزَرَجِ بْنِ سَاعِدَةَ الْمَشْهُورِينَ، وَكَانَتْ أُمُّهُ عَمْرَةَ الثَّالِثَةُ
بِنْتُ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ أَحَدِ وَجْهَاءِ بَنِي النَّجَارِ بْنِ
الْخَزَرَجِ، فَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ قَدْ وَرِثَ الْمَجْدَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ،
وَقَبْضَ عَلَيْهِ مِنْ أَطْرَافِهِ .

تَزَوَّجَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ غُزَيَّةَ بِنْتَ سَعْدِ بْنِ خَلِيفَةَ مِنْ بَنِي
سَاعِدَةَ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ سَعِيدًا، وَمُحَمَّدًا، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ .

وَتَزَوَّجَ فَكِيهَةَ بِنْتَ عُبَيْدِ بْنِ دُلَيْمٍ مِنْ بَنِي سَاعِدَةَ أَيْضًا،
وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّهِ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ قَيْسًا، وَأَمَامَةَ، وَسَدُوسًا. وَيَكْنَى
سَعْدُ أَبَا ثَابِتٍ، كَمَا يُكْنَى بِأَبِي قَيْسٍ .

وَعَاشَ سَعْدٌ مَرَحَلَةَ شَبَابِهِ فِي الْمَدِينَةِ كَبَاقِيِ أُنْبَاءِ قَوْمِهِ عَلَى
حَيَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ، يَمْرَحُ كَمَا يَشَاءُ لَهُ هَوَاهُ، وَيَبْذُخُ كَمَا يَحْلُو لَهُ،
وَإِنْ كَانَ يَخْتَلِفُ عَنْ كَثِيرٍ مِنْهُمْ فِي أَنَّهُ كَانَ مُتَفَتِّحَ الذَّهْنِ،
مُفَكِّرًا فِي أُمُورِ حَيَاتِهِ، لَا يُرْضِيهِ مَا النَّاسُ عَلَيْهِ، يَنْظُرُ إِلَى
عَيْشَةٍ أَفْضَلَ تَطْمَئِنُّ فِيهَا النَّفْسُ، وَتَهْنَأُ الْقُلُوبُ، وَيَرْتَاحُ
الْفِكْرُ، وَيَأْمَنُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

إِسْلَامُ سَعْدٍ

لَمَّا يَشَسَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ إِسْلَامِ
قُرَيْشٍ بَدَأَ يَغْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ،
فَيَقِفُ عَلَى مَنَازِلِهِمْ، فَيَقُولُ: يَا بَنِي فَلَانِ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ
إِلَيْكُمْ، يَا مُرُكُمُ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَخْلَعُوا
مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَنْدَادِ، وَأَنْ تُؤْمِنُوا بِي، وَتُصَدِّقُوا

بِي، وَتَمْنَعُونِي، حَتَّى أُبَيِّنَ عَنِ اللَّهِ مَا بَعَثَنِي بِهِ. وَعَرَضَ
رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَفْسَهُ عَلَى كِنْدَةَ، وَكَلْبٍ،
وَبَنِي حَنِيفَةَ، وَبَنِي عَامِرٍ بْنِ صَعْصَعَةَ، وَلَكِنْ لَمْ يَجِدْ مِنْ
مُجِيبٍ، وَقَدْ يَكُونُ الرَّدُّ قَبِيحًا كَمَا وَقَعَ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ.

وَجَاءَ أَبُو الْحَيْسَرِ، أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ، وَمَعَهُ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ
الْأَشْهَلِ قَدِمُوا إِلَى مَكَّةَ يَلْتَمِسُونَ الْجِلْفَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى
قَوْمِهِمْ مِنَ الْخَزَرَجِ، فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَتَاهُمْ فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: هَلْ لَكُمْ فِي خَيْرٍ
مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ؟ فَقَالُوا لَهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: أَنَا رَسُولُ اللَّهِ بَعَثَنِي
إِلَى الْعِبَادِ، أَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا،
وَأَنْزَلَ عَلَيَّ الْكِتَابَ. ثُمَّ ذَكَرَ لَهُمُ الْإِسْلَامَ وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ،
فَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاذٍ وَهُوَ أَحَدُ الْفِتْيَةِ، هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا جِئْتُمْ
لَهُ، غَيْرَ أَنَّ أَبَا الْحَيْسَرَ أَنَسَ بْنَ رَافِعٍ أَخَذَ حَفَنَةً مِنْ تُرَابِ
الْبَطْحَاءِ وَضَرَبَ بِهَا وَجْهَ إِيَّاسِ بْنِ مُعَاذٍ، وَقَالَ: دَعْنَا
مِنْكَ، فَلَعَمْرِي لَقَدْ جِئْنَا لَغَيْرِ هَذَا. وَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْهُمْ، وَانْصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ وَقْعَةٌ
بُعَاثٍ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ.

وَفِي الْمَوْسِمِ عَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

نَفْسُهُ عَلَى الْقَبَائِلِ ، كَمَا كَانَ يَصْنَعُ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ ، فَبَيْنَمَا هُوَ
عِنْدَ الْعَقَبَةِ لَقِيَ رَهْطًا مِنَ الْخَزَرَجِ أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ خَيْرًا ، وَهُمْ
سِيئَةُ نَفَرٍ .

فَقَالَ لَهُمْ : مَنْ أَنْتُمْ ؟

قَالُوا : نَفَرٌ مِنَ الْخَزَرَجِ .

قَالَ : أَمِنْ مَوَالِي يَهُودٍ .

قَالُوا : نَعَمْ .

قَالَ : أَفَلَا تَجْلِسُونَ أَكَلْمُكُمْ ؟ .

قَالُوا : بَلَى . فَجَلَسُوا مَعَهُ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ،
وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ ، وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ
لِبَعْضٍ : يَا قَوْمُ ، تَعْلَمُوا وَاللَّهِ إِنَّهُ لِلنَّبِيِّ الَّذِي تَوَعَّدُكُمْ بِهِ
يَهُودُ ، فَلَا تَسْبِقَنَّكُمْ إِلَيْهِ . فَأَجَابُوهُ فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ ، بِأَنْ
صَدَّقُوهُ وَقَبِلُوا مِنْهُ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَقَالُوا : إِنَّا
قَدْ تَرَكْنَا قَوْمَنَا ، وَلَا قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ ،
فَعَسَى أَنْ يَجْمَعَهُمُ اللَّهُ بِكَ ، فَسَتَقْدُمُ عَلَيْهِمْ ، فَدَعَوْهُمْ إِلَى
أَمْرِكَ ، وَتَعَرَّضُ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَجَبْنَاكَ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ ، فَإِنْ
يَجْمَعَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَلَا رَجُلَ أَعَزُّ مِنْكَ . ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْ رَسُولِ

اللَّهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ، وَقَدْ آمَنُوا
وَصَدَّقُوا.

فَلَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ إِلَى قَوْمِهِمْ ذَكَرُوا لَهُمْ رَسُولَ اللَّهِ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَدَعَوْهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى فَشَا فِيهِمْ،
فَلَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا ذِكْرٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَلَعَلَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ كَانَ مِنْ أَوَائِلِ
الَّذِينَ أَقْبَلُوا عَلَى الْإِسْلَامِ إِذْ وَجَدَ فِيهِ كُلَّ مَا كَانَتْ تَهْفُو إِلَيْهِ
نَفْسُهُ وَتَطْمَحُ بِهِ، وَالْحُلُولَ لِكُلِّ التَّسَاوُلَاتِ الَّتِي تُحَدِّثُهُ بِهَا
نَفْسُهُ. وَأَحَبَّ لِقَاءَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
وَاشْتَاقَ إِلَيْهِ، وَرَغِبَ أَنْ تُسْرِعَ بِهِ الْأَيَّامُ لِيَجِلَّ الْمَوْسِمُ، وَيَتِمَّ
الْلِّقَاءُ، حَيْثُ كَانَ يَرَى الْأَيَّامَ كُسَالَى لَا تَجِدُ فِي السَّيْرِ وَلَا
تُطِيلُ الْخُطَا، وَإِنَّمَا تَمُرُّ خَامِلَةً بِطَيِّئَةِ الْحَرَكَةِ وَثِيْدَةِ الْخُطَا،
كُلُّ حَرَكَةٍ بَتْنَهْدٍ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ بِزَفْرَةٍ، يَتَصَبَّبُ مِنْهَا الْعَرَقُ،
وَيُنْهَكُهَا التَّعَبُ، وَهُوَ يَدْفَعُهَا دُونَ اسْتِجَابَةٍ، وَيَحْثُهَا دُونَ
تَحْقِيقِ رَغْبَتِهِ، وَهُوَ يَدْفَعُ دُونَ كَلَلٍ، وَيَحْثُ مِنْ غَيْرِ مَلَلٍ،
وَمَضَتْ الْأَيَّامُ بَعْدَ مَشَقَّةٍ وَطُولِ عَنَاءٍ.

فِي الْعَقَبَةِ الْأُولَى

وَأَقْبَلَ الْمَوْسِمَ، وَتَجَهَّزَ الْحُجَّاجُ مُسْلِمُهُمْ وَكَافِرُهُمْ وَلَا يَعْرِفُ الْكُفَّارُ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَهُمْ، وَرُبَّمَا كَانَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ أَوْلَهُمْ تَجَهُّزًا وَأَكْثَرَهُمْ حُبًّا لِلْحَرَكَةِ. وَأَنْطَلَقَ الرُّكْبُ، وَرُبَّمَا كَانَ سَعْدُ أَوْلَهُمْ أَنْطِلَاقًا وَأَسْرَعَهم سَيْرًا تَتَقَدَّمُ رَاحِلَتُهُ غَيْرَهَا مِنَ الرُّوَاحِلِ كَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْذِيَ السَّيْرَ فَيَزْجُرُهَا فَتَنْطَلِقُ فَيَجِدُ نَفْسَهُ قَدْ تَقَدَّمَ الرُّكْبُ، فَيَعُودُ يَكْبَحُهَا وَيَشُدُّ بِعِنَانِهَا حَتَّى تُخَفَّفَ مِنْ سُرْعَتِهَا وَتَلْحَقَ بِهَا بَقِيَّةُ الرُّوَاحِلِ، وَاسْتَمَرَّتِ الْحَالَةُ هَذِهِ عَلَى طُولِ الطَّرِيقِ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ.

وَكَانَ كُلُّمَا نَزَلَ الْقَوْمُ مَنْزِلًا لِيَأْخُذُوا قِسْطًا مِنَ الرَّاحَةِ، أَوْ لِيَتَزَوَّدُوا بِالْمَاءِ، أَوْ لِيَتَنَاوَلُوا الطَّعَامَ كَانَ سَعْدُ حَرِيصًا عَلَى اخْتِصَارِ الْوَقْتِ وَمِنَ الْمُشْجَعِينَ عَلَى الرَّحِيلِ بِسُرْعَةٍ، بَلْ لَمْ يَكُنْ لِيَجِدَ فِي النَّوْمِ رَاحَةً وَلَا لَذَّةً، وَكُلُّمَا أَعْمَضَ عَيْنَيْهِ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ يُفَكِّرَ بِحُبِّ اللَّقَاءِ مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَيْنِهِ إِلَيْهِ، وَرَغْبَتِهِ فِيهِ، وَأَنْقَضَتِ الْأَيَّامُ.

وَصَلَ الرُّكْبُ إِلَى مَكَّةَ، وَشَهِدَ الْمَوْسِمَ، وَجَاءَ مَوْعِدُ اللَّقَاءِ مَعَ الْحَبِيبِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عِنْدَ الْعَقَبَةِ، وَكَانَ سَعْدُ مِنْ أَوَائِلِ الَّذِينَ وَصَلُوا إِلَى الْمَكَانِ الْمُحَدَّدِ، وَتَمَّ

الاجْتِمَاعُ، وَكَانَ الْجَمِيعُ فِي غَمْرَةٍ مِنَ الْفَرَحِ لَا تُصَوَّرُ، وَفِي سَعَادَةٍ لَا تُعَادِلُهَا سَعَادَةٌ، قَدْ لَا يَسْتَطِيعُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ أَنْ يَتَكَلَّمَ لِشِدَّةِ الْغَبْطَةِ الَّتِي تُكَلِّلُهُ، وَلِهَيْبَةِ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي الرُّكْبِ اثْنِي عَشَرَ رَجُلًا بَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى الْأَلَا يُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا يَسْرِقُونَ، وَلَا يَزْنُونَ، وَلَا يَقْتُلُونَ أَوْلَادَهُمْ، وَلَا يَأْتُونَ بِيَهْتَانٍ يَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَلَا أَرْجُلِهِمْ، وَلَا يَعْصُونَهُ فِي مَعْرُوفٍ. وَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَإِنْ وَفَّيْتُمْ فَلَكُمْ الْجَنَّةُ، وَإِنْ غَشَيْتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأَمْرُكُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِنْ شَاءَ عَذَابٌ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ. وَعَرِفَتْ هَذِهِ الْبَيْعَةُ بِبَيْعَةِ النِّسَاءِ، لِأَنَّ الْأَمْرَ بِالْقِتَالِ لَمْ يَكُنْ قَدْ شُرِعَ بَعْدُ:

وَانْصَرَفَ الْقَوْمُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا يُرِيدُونَ الْإِنْصِرَافَ. وَأَرْسَلَ مَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْرِئَهُمُ الْقُرْآنَ، وَيُعَلِّمَهُمُ الْإِسْلَامَ، وَيُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ، فَكَانَ يُسَمَّى بِالْمَدِينَةِ الْمُقَرَّرِ مُصْعَبَ، وَكَانَ مَنَزَلُهُ عَلَى أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ، وَكَانَ مُصْعَبُ هُوَ الَّذِي يُؤْمَهُمُ بِالصَّلَاةِ. وَاِنْصَرَفَ الرُّكْبُ وَلَمْ

يَعْلَمُ الْكُفَّارُ مِنْهُ مَا دَارَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَلْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ بَيْنَهُمْ مُسْلِمِينَ.

وَعَادَ الرُّكْبُ نَحْوَ الْمَدِينَةِ وَرَوَّاحِلُ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي كَانَتْ
فِي طَرِيقِ الْقُدُومِ فِي الطَّلِيعَةِ أَصْبَحَتْ فِي الْمُؤَخَّرَةِ وَكَأَنَّ
الْأَرْضَ تَشُدُّ قَوَائِمَهَا لَا تُرِيدُ مِنْهَا أَنْ تَسِيرَ، تُرِيدُ أَنْ تَعُودَ بِهَا
نَحْوَ مَكَّةَ مُلَبِّيةً أَصْوَاتِ قُلُوبِ الَّذِينَ عَلَى تِلْكَ الرُّوَّاحِلِ،
وَوَصَلَ الرُّكْبُ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَحَطَّ النَّاسُ رِحَالَهُمْ، وَاتَّجَهَ كُلُّ
إِلَى مَنْزِلِهِ، الْكُفَّارُ مِنْهُمْ فِي حَرَكَةٍ وَضَجَّةٍ فَرِحِينَ بِلِقَاءِ الْأَحِبَّةِ،
مُسْرِعِينَ نَحْوَ الْبُيُوتِ رَغَمَ مُسْتَقْبَلِيهِمْ، وَالْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ فِي
هُدُوءٍ وَصَمْتٍ قَدْ تَرَكَوا الْحَبِيبَ فِي مَكَّةَ، يَسْأَلُهُمْ مُهَنْثُوهُمْ
بِالسَّلَامَةِ عَنْ سِرِّ السُّكُوتِ فَيَحَارُونَ بِالْجَوَابِ بَلْ لَا يَعْرِفُونَهُ.

وَاسْتَفْرَكُلُ فِي دَارِهِ وَبَدَأَتْ السَّنَةُ تَعَصِرُ شُهُورَهَا عَصْرًا لِيَمُرَّ
شَهْرٌ إثرَ آخَرَ، وَالشُّهُورُ تَدْفَعُ أَيَّامَهَا دَفْعًا لِيَتَحَرَّكَ فَلَا تَكَادُ
تَتَزَحَّزَحُ، وَالْأَيَّامُ تَسْحَبُ سَاعَاتِهَا عَلَى مَسَارِ خَشِينٍ فَلَا تُسْحَبُ
إِلَّا بِكُلِّ مُقَاوَمَةٍ وَصَرِيرٍ، فَالْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ مِنَ الْأَيَّامِ أَنْ
تَتَحَرَّكَ لِيَأْتِيَ الْمَوْسِمُ، لِيَلْتَقُوا بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَلَكِنَّ الْأَيَّامَ تَبْدُو لَهُمْ مُتَشَبِّهَةً فِي مَكَانِهَا لَا تُطَاوِعُهُمْ فِي
حَرَكَتِهَا وَإِنْ تَمُرَّ عَلَيْهِمْ فِيهَا سَاعَاتٌ مُضِيئَةٌ يَرَوْنَ فِي نُورِهَا قَبَسًا

مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَا هُوَ مُصْعَبُ بْنُ
عُمَيْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُصَلِّي بِهِمُ الْجُمُعَةَ كُلَّ أُسْبُوعٍ فِي
نَقِيعِ الْخَضِيمَاتِ مِنْ حَرَّةِ بَنِي بَيَاضَةَ فِي هَزْمِ النَّبِيتِ^(١)،
فِيَلْتَقِي بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ، وَقَدْ وَصَلَ عَدَدُهُمْ إِلَى الْأَرْبَعِينَ
رَجُلًا، يَجْتَمِعُونَ، وَيَتْلُونَ الْقُرْآنَ، وَيَسْتَمِعُونَ إِلَى كَلِمَاتِ
الْخَيْرِ، وَيَشْعُرُونَ بِالأُخُوَّةِ الصَّادِقَةِ... اللَّهُ أَكْبَرُ هَا هُوَ
سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ سَيِّدُ الْأَوْسِ يُسَلِّمُ وَيَدْخُلُ مَعَهُ قَوْمُهُ بَنُو عَبْدِ
الْأَشْهَلِ جَمِيعًا، لَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ عَنِ
الْإِسْلَامِ... كَثُرَ عَدَدُ الْمُسْلِمِينَ، وَالتَّقَى الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ
بِالأُخُوَّةِ وَالصَّفَاءِ فِي ظِلِّ الْإِسْلَامِ.

فِي الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ

اِقْتَرَبَ الْمَوْسِمُ، وَتَهَيَّأَ النَّاسُ لِلْحَجِّ، وَاسْتَعَدَّ الْمُسْلِمُونَ،
وَحَانَ وَقْتُ الرَّحِيلِ، وَتَحَرَّكَ الْمَوْكِبُ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي
هَذِهِ الْمَرَّةِ أَكْثَرَ سُرْعَةً، فَعَدَدُهُمْ أَكْبَرُ إِذْ انْطَلَقَ مِنْهُمْ اثْنَانِ
وَسَبْعُونَ رَاكِبًا، وَبَعْدَ الْمَوْسِمِ أَسْلَمَ أَبُو جَابِرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ، وَالتَّقَى مَعَهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) هزم النبيت: مرتفع في تلك الحرة على بعد عشرة كيلومترات من المدينة.

وَسَلَّمَ، فِي الْعَقَبَةِ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ حَسْبَ الْمَوْعِدِ
الَّذِي ضَرَبَهُ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَكْتُمُونَ أَمْرَهُمْ عَمَّنْ مَعَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ اللَّقَاءِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَامَ الْمُسْلِمُونَ مَعَ قَوْمِهِمْ فِي رِحَالِهِمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ
حَتَّى إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجُوا مِنْ رِحَالِهِمْ لِمَوْعِدِ رَسُولِ
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانُوا يَتَسَلَّلُونَ تَسَلَّلَ الْقَطَا
مُسْتَخْفِينَ، حَتَّى اجْتَمَعُوا فِي الشَّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ، وَكَانُوا ثَلَاثَةً
وَسَبْعِينَ رَجُلًا وَامْرَأَتَيْنِ. فَلَمَّا حَانَ الْمَوْعِدُ حَضَرَ رَسُولُ
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ
الْمُطَّلِبِ جَاءَ مُسْتَوْثِقًا لِابْنِ أَخِيهِ. وَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ الْمَوَاقِيقَ، وَبَايَعُوهُ بَيْعَةَ الْحَرْبِ.
وَاخْتَارَ مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا، تِسْعَةً مِنَ الْخَزَرَجِ، مِنْهُمْ
سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَثَلَاثَةً مِنَ الْأَوْسِ.

وَاسْتَعْلَى الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْأَنْصَارِ بِإِيمَانِهِمْ بَعْدَ تِلْكَ الْبَيْعَةِ،
وَشَعَرُوا أَنَّهُمْ - رَغِمَ قَلْبُهُ عَدَدِهِمْ - أَنَّهُمْ أَقْوَى مِنْ أَهْلِ
الْأَرْضِ جَمِيعًا، وَأَثْبَتُ مِنَ الرُّوَاسِي فِي وَجْهِ خُصُومِهِمْ مَهْمَا
كُتُّوا، فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

ارْقَضُوا إِلَى رِحَالِكُمْ. قَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ:
وَاللَّهِ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ: إِنْ شِئْتَ لَنَمِيلَنَّ عَلَى أَهْلِ مِنْى غَدًا
بِأَسْيَافِنَا؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَمْ نُؤْمَرْ
بِذَلِكَ، وَلَكِنْ ارْجِعُوا إِلَى رِحَالِكُمْ، فَعَادُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ
فَنَامُوا عَلَيْهَا حَتَّى الصَّبَاحِ.

فَلَمَّا أَصْبَحُوا جَاءَتْهُمْ جَمَاعَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى مَنْازِلِهِمْ،
فَقَالُوا لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ الْخَزَرَجِ، إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّكُمْ قَدْ جِئْتُمْ إِلَى
صَاحِبِنَا هَذَا تَسْتَخْرِجُونَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِنَا، وَتُبَايَعُونَهُ عَلَى
حَرْبِنَا، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا مِنْ حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ أَبْغَضُ إِلَيْنَا، أَنْ
تَنْشُبَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، مِنْكُمْ. فَأَنْبَرَى الْمُشْرِكُونَ مِنَ
الْمَدِينَةِ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ هَذَا شَيْءٌ، وَمَا عَلِمُوهُ - وَقَدْ
صَدَقُوا لَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا شَيْئًا -.

وَسَارَ الْقُرَشِيُّونَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنْ سَلُولٍ، فَقَالُوا لَهُ
مِثْلَ مَا قَالُوا لِقَوْمِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ جَسِيمٌ، مَا
كَانَ قَوْمِي لِيَتَفَوَّتُوا عَلَيَّ بِمِثْلِ هَذَا، وَمَا عَلِمْتُهُ كَانَ. فَأَنْصَرَفُوا
عَنْهُ.

وَنَفَرَ النَّاسُ مِنْ مِنْى، وَدَقَّقَتْ قُرَيْشٌ فِي الْخَبَرِ فَوَجَدَتْهُ قَدْ
كَانَ، فَخَرَجَتْ فِي طَلَبِ الْقَوْمِ، فَأَذْرَكَتْ سَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ

بِأَذَاخِرٍ، ثُمَّ لَحِقَتْ بِالْمُنْذِرِ بْنِ عَمْرٍو، وَكِلَاهُمَا كَانَ مِنْ ثُقَبَاءِ
الْأَنْصَارِ. فَأَمَّا الْمُنْذِرُ فَأَعْجَزَ الْقَوْمَ، وَهَرَبَ، وَأَمَّا سَعْدُ
فَأَخَذُوهُ، فَرَبَطُوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ بِحَبْلِ رَحْلِهِ، ثُمَّ أَقْبَلُوا بِهِ حَتَّى
أَدْخَلُوهُ مَكَّةَ يَضْرِبُونَهُ وَيَجْدِبُونَهُ بِجُمُتِهِ (شَعْرِ رَأْسِهِ)، وَكَانَ ذَا
شَعْرٍ كَثِيرٍ.

يَقُولُ سَعْدُ: إِنِّي وَاللَّهِ لَفِي أَيْدِيهِمْ إِذْ طَلَعَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ
قُرَيْشٍ، فِيهِمْ رَجُلٌ وَضِيءٌ أَبْيَضُ، شَعْشَاعٌ^(١)، حُلُوٌّ مِنْ
الرَّجَالِ^(٢). فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: إِنَّ يَكُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الْقَوْمِ خَيْرٌ
فَعِنْدَ هَذَا، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي رَفَعَ يَدَهُ فَلَكَمَنِي لَكَمَةً شَدِيدَةً. فَقُلْتُ
فِي نَفْسِي: لَا وَاللَّهِ مَا عِنْدَهُمْ بَعْدَ هَذَا مِنْ خَيْرٍ.

فَوَاللَّهِ إِنِّي لَفِي أَيْدِيهِمْ يَسْحَبُونَنِي إِذْ أَوَى إِلَيَّ رَجُلٌ مِمَّنْ
كَانَ مَعَهُمْ^(٣)، فَقَالَ: وَيْحَكَ! أَمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ قُرَيْشٍ
جَوَارٌ وَلَا عَهْدٌ؟ قُلْتُ: بَلَى. وَاللَّهِ، لَقَدْ كُنْتُ أَجِيرُ لِجَبْرِ بْنِ
مُطْعِمِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ تِجَارَةً، وَأَمْنَعُهُمْ
مِمَّنْ أَرَادَ ظَلْمَهُمْ بِلَادِي، وَلِلْحَارِثِ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ
عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ؛ قَالَ: وَيْحَكَ! فَاهْتَفَ بِاسْمِ

(١) الشعشاع: الطويل الحسن.

(٢) هو سهيل بن عمرو.

(٣) أبو البختري العاص بن هشام بن الحارث بن أسد.

الرَّجُلَيْنِ ، وَاذْكُرْ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمَا . قَالَ : فَفَعَلْتُ ، وَخَرَجَ
 ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَيْهِمَا ، فَوَجَدَهُمَا فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ ، فَقَالَ
 لَهُمَا : إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْخَزَرَجِ الْآنَ يُضْرَبُ بِالْأَبْطَحِ وَيَهْتَفُ
 بِكُمَا ، وَيَذْكُرُ أَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَكُمَا جَوَارًا ، قَالَا : وَمَنْ هُوَ؟ قَالَ :
 سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ؛ قَالَا : صَدَقَ وَاللَّهِ ، إِنْ كَانَ لَيُجِيرُنَا تِجَارَنَا
 وَيَمْنَعُهُمْ أَنْ يُظْلَمُوا بِلَدِيهِ . قَالَ : فَجَاءَا فَخَلَصَا سَعْدًا مِنْ
 أَيْدِيهِمْ ، فَانْطَلَقَ .

وَاجِبُ الْكَرَمِ

وَعِنْدَمَا رَجَعَ رَكِبَ الْمَدِينَةَ مِنَ الْمَوْسِمِ إِلَى مَدِينَتِهِمْ وَأُطْلِقَ
 سَرَّاحُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ مِنْ أَسْرِهِ أَعْلَنَ الْأَنْصَارُ الْإِسْلَامَ وَبَلَّغُوا
 يَدْعُونَ إِلَى دِينِهِمْ ، وَيُظْهِرُونَ عِبَادَتَهُمْ .

وَفِي مَكَّةَ أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَلَى
 أَصْحَابِهِ بِالْهَجْرَةِ إِلَى إِخْوَانِهِمُ الْأَنْصَارِ فِي الْمَدِينَةِ ، وَبَدَأَتْ
 وَفُودُ الْمُهَاجِرِينَ تَتَوَالَى مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ تَبِعَهُمْ رَسُولُ
 اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُ .

وَآخَى رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ،

وَقَامَتْ دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ ، وَبَدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُجَهِّزُ الْغَزَوَاتِ وَيُرْسِلُ السَّرَايَا لِدِرَاسَةِ الْأَرْضِ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ يَقَعَ الْقِتَالُ فِيهَا بَيْنَ دَوْلَتِهِ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ ، وَيَتَعَرَّفُ عَلَى الْقَبَائِلِ ، وَيَحَاوِلُ عَقْدَ الْأَحْلَافِ مَعَهَا ، أَوْ يَضْمَنُ بَقَاءَهَا عَلَى الْحَيَادِ - عَلَى الْأَقْلَى - فِيمَا إِذَا وَقَعَ الْقِتَالُ .

وَأَحْسَنُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، بَعْدَ وَصُولِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْمُهَاجِرِينَ بِعَبَاءِ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ . فَهُوَ كَرِيمٌ مِنْ غَيْرِ وَاجِبٍ ، فَكَيْفَ وَقَدْ غَدَا مُسْلِمًا ، وَالْإِسْلَامُ يَأْمُرُهُ بِالْكَرَمِ ؟ وَكَيْفَ ، وَقَدْ هَاجَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِخْوَانُهُ الْكِرَامُ وَقَدْ تَرَكُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَمْلَاكَهُمْ بِمَكَّةَ ؟ إِنَّ وَضْعَهُ يَخْتَلِفُ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ فِي السَّابِقِ ، لِذَا كَانَ يَدْعُو رَبَّهُ فَيَقُولُ : اللَّهُمَّ هَبْ لِي مَجْدًا ، لَا مَجْدَ إِلَّا بِفِعَالٍ ، وَلَا فِعَالٍ إِلَّا بِمَالٍ ، اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا يُصْلِحُنِي الْقَلِيلُ وَلَا أَصْلَحُ عَلَيْهِ .

كَانَ يُقَدِّمُ الْكَثِيرَ عَلَى إِخْوَانِهِ الْمُهَاجِرِينَ ، وَذَكَرْنَا أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ جَفْنَةٌ تَدُورُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَلَى بُيُوتِ أَرْوَاجِهِ . وَكَانَ يَنْحَرُّ ، وَيُطْعِمُ ، وَيَهَبُ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ ، فَكَانَ النَّمُودَجُ الْحَيَّ فِي الْكَرَمِ ، وَالْمَثَلُ فِي الْعَطَاءِ . لَقَدْ كَانَ

أَخَا لِمُهَاجِرِينَ جَمِيعًا، كَمَا لَمْ يَنْسَ أَخُوْتَهُ لِلْأَنْصَارِ، وَبِذَا
فَهُوَ أَخُو الْمُسْلِمِينَ كُلُّهُمْ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

أَيَّامُ بَذْرِ

وَلَمَّا تَمَّ مَسْحُ الْأَرْضِ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ يَدُورَ عَلَى سَاحَاتِهَا
قِتَالُ بَيْنِ الْمُسْلِمِينَ وَقُرَيْشٍ، وَانْتَهَى التَّعَرُّفُ عَلَى بَعْضِ
الْقَبَائِلِ الَّتِي تَنْزِلُ فِي تِلْكَ الْجِهَاتِ، وَالتَّحَالُفُ مَعَ بَعْضِهَا
الْآخَرِ، وَأَصْبَحَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ التَّنْذِيرِ وَالسَّيْرِ إِلَى
الْقِتَالِ وَعَلَى قَدَرٍ كَافٍ مِنَ الرُّوحِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالرَّغْبَةِ إِلَى الْقِتَالِ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَرَّرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
الصَّدَامَ مَعَ قُرَيْشٍ.

وَصَلَ خَبَرٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ
قَافِلَةً كَبِيرَةً لِقُرَيْشٍ بِأَمْرَةِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمِيَّةَ
مُنْطَلِقَةً إِلَى الشَّامِ فَخَرَجَ إِلَيْهَا، وَوَصَلَ إِلَى الْعُشَيْرَةِ وَلَكِنَهُ
وَجَدَ أَنَّ الْعَيْرَ قَدْ فَاتَتْهُ، فَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْدَ أَنْ وَادَعَ بَنِي
مُدَلِجٍ وَحُلَفَاءَهُمْ مِنْ بَنِي ضَمْرةَ.

وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ
اللَّهِ التَّيْمِيَّ، وَسَعِيدَ بْنَ زَيْدِ الْعَدَوِيِّ إِلَى خَارِجِ الْمَدِينَةِ

يَرْصُدَانِ عَوْدَةَ قَافِلَةِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، وَأَخْبَارِهِ بِالْمَدِينَةِ مُجَرَّدَ سَمَاعِهِمَا بِرُجُوعِهَا وَجَاءَ الْخَبْرُ بِاقْتِرَابِ الْقَافِلَةِ، فَتَدَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهَا، وَقَالَ: هَذِهِ عَيْرُ قُرَيْشٍ، فِيهَا أَمْوَالُهُمْ، فَاخْرُجُوا إِلَيْهَا لَعَلَّ اللَّهَ يُنْفِلَكُمُوهَا. فَاتْتَدَبَرَ النَّاسُ، فَخَفَّ بَعْضُهُمْ وَثَقَلَ بَعْضُهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمْ يَظُنُّوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَلْقَى حَرْبًا.

وَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَدْعُو قَوْمَهُ الْأَنْصَارَ لِلتَّحَرُّكِ وَالسَّيْرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ مُتَقَدِّمُهُمْ، وَتَهْيَأُ الْجَمْعُ، وَتَحَرَّكَ الرِّكْبُ، وَلَمْ يَشَأْ اللَّهُ لِسَعْدٍ أَنْ يَسِيرَ مَعَهُمْ فَقَدْ نَهَشَ. وَطَلَبَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَمْكُثَ^(١). وَقَالَ: «لَيْتَ كَانَ سَعْدٌ لَمْ يَشْهَدْهَا لَقَدْ كَانَ حَرِيصًا عَلَيْهَا». وَرَوَى بَعْضُهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ضَرَبَ لَهُ بِسَهْمِهِ وَأَجْرِهِ^(٢).

(١) أما ما رواه مسلم، وأحمد، وآخرون من قوله: «إيانا تريد يا رسول الله، والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا». فذلك قبل المسير إلى بدر التي لم يشهدها سعد بن عبادَةَ، أما الذي تكلم قبيل المعركة بما يشبه هذا المعنى فهو سعد بن معاذ.

(٢) لم يثبت ذلك.

وَلَمْ يَتَخَلَّفْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ عَنْ مَشْهَدٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعْدَ بَدْرٍ أَبَدًا، وَإِنَّمَا حَضَرَهَا جَمِيعَهَا.
 وَيُرَوَّى أَنَّ رَايَةَ رَسُولِ اللَّهِ تَكُونُ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ،
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَرَايَةَ الْأَنْصَارِ مَعَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ.

فِي دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ

وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى دَوْمَةِ
 الْجَنْدَلِ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ لِلْهِجْرَةِ،
 وَلَكِنَّهُ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا، إِذْ لَمْ يَلْقَ كَيْدًا، فَجَرَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ.
 وَكَانَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مَعَهُ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، فَلَمَّا عَادَ وَجَدَ أُمَّهُ قَدْ
 تُوفِّيتْ، وَهِيَ مِنَ اللَّوَاتِي بَايَعْنَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ.

أَتَى سَعْدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ
 لَهُ: إِنَّ أُمَّ سَعْدٍ مَاتَتْ وَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهَا، فَصَلَّى
 عَلَيْهَا وَقَدْ أَتَى لَهَا شَهْرٌ.

وَاسْتَفْتَى سَعْدُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي نَذْرِ
 كَانَ عَلَى أُمِّهِ فُتُوِّتَ قَبْلَ أَنْ تَقْضِيَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْضِهِ عَنْهَا.

وَأَتَى سَعْدُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّ
أُمَّ سَعْدٍ مَاتَتْ وَلَمْ تُوصِرْ فَهَلْ يَنْفَعُهَا أَنْ أَصَدِّقَ عَنْهَا؟ قَالَ:
نَعَمْ. قَالَ: فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟. قَالَ: اسْقِ الْمَاءَ.
فَجَعَلَ سِقَايَةً فِي الْمَسْجِدِ.

وَرُوي أَنَّ سَعْدًا قَدْ أَتَى النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُمَّي تُوفِّيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا أَفَيَنْفَعُهَا
إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُكَ أَنَّ حَائِطِي
الْمِخْرَافَ صَدَقَةٌ عَنْهَا.

فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ^(١)

عِنْدَمَا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ غَزْوَةِ
بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَاقْتَرَبَ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَارْتَحَلَ بَعْدَ مَبِيتٍ،

(١) حدث خلاف في روايات تاريخ هذه الغزوة، تقول بعضها: إنها وقعت
في شهر شعبان من العام الرابع للهجرة، وهو بعيد، حسب رأيي، ويقول
بعضها: في شهر شعبان من العام الخامس للهجرة، وهو الأصح - حسب
رأيي - ومنها ما يقول: في شعبان من العام السادس، وما أظن ذلك، فإن
كان الرأي الأخير على غير ما أظن فإن المنازعة التي وقعت إنما هي بين
أسيد بن الحضير سيد الأوس وبين سعد بن عبادة سيد الخزرج لأن سعد
ابن معاذ كان قد استشهد في أواخر السنة الخامسة إثر غزوة بني قريظة.

خَرَجَتْ عَائِشَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، لِبَعْضِ حَاجَتِهَا، فَتَأَخَّرَتْ
عَنِ الرُّكْبِ، وَكَانَتْ حَادِثَةُ الْإِفْكِ، وَتَكَلَّمَ بَعْضُ النَّاسِ،
وَتَوَلَّى كِبَرَ الْمَوْضُوعِ كَبِيرُ الْمُنَافِقِينَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَرْ
سُلُولٍ. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَطَبَ فِي
النَّاسِ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ مَا بَالُ
رِجَالٍ يُؤْذُونَنِي فِي أَهْلِي، يَقُولُونَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْحَقِّ، وَاللَّهُ مَا
عَلِمْتُ مِنْهُمْ إِلَّا خَيْرًا، وَيَقُولُونَ ذَلِكَ لِرَجُلٍ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ إِلَّا
خَيْرًا، وَمَا يَدْخُلُ بَيْتًا مِنْ بُيُوتِي إِلَّا وَهُوَ مَعِيَ.

فَلَمَّا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تِلْكَ
الْمَقَالََةَ، قَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ يَكُونُوا مِنْ
الْأَوْسِ نَكْفَيْكَهُمْ، وَإِنْ يَكُونُوا مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ فَمُرْنَا
بِأَمْرِكَ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُمْ لِأَهْلٌ أَنْ تُضْرَبَ أَعْنَاقُهُمْ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ
عَبَادَةَ فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ، لَا تُضْرَبُ أَعْنَاقُهُمْ، أَمَا وَاللَّهِ
مَا قُلْتَ هَذِهِ الْمَقَالََةَ إِلَّا أَنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُمْ مِنَ الْخَزْرَجِ، وَلَوْ
كَانُوا مِنْ قَوْمِكَ مَا قُلْتَ هَذَا! قَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ
اللَّهِ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ، وَتَسَاوَرُ^(١)

(١) تساور: قام بعضهم إلى بعض.

النَّاسُ، حَتَّى كَادَ يَكُونُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَيِّينِ مِنَ الْأَوْسِ
وَالْخَزْرَجِ شَرٌّ^(١).

وَجَاءَ الْوَحْيُ فَبَرَأَ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ

حَزَبَ الْيَهُودُ الْأَحْزَابَ لَغَزْوِ الْمَدِينَةِ، فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ،
وَقَائِدُهَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَخَرَجَتْ عَطْفَانُ، وَقَائِدُهَا
عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ فِي فَزَارَةَ، وَخَرَجَ الْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ فِي بَنِي
مُرَّةَ. فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا
أَجْمَعُوا لَهُ مِنَ الْأَمْرِ، ضَرَبَ الْخَنْدَقَ عَلَى الْمَدِينَةِ.

(١) كان عبدالله بن أبي بن سلول سيد الخزرج في الجاهلية، وكان قومه قبل
الهجرة ينظمون له الخرز ليتوجوه، فلما جاء رسول الله، صلى الله عليه
وسلم، مهاجراً إلى المدينة ضاع عبدالله بن أبي وأمثاله، فكانه يرى أن
رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قد استلبه ملكه، وهذا ما أخره عن
إظهار الإسلام، وجعله كبير المنافقين.

وأصبح سعد بن عباد، رضي الله عنه، سيد الخزرج الذين دخلوا في
الإسلام، فلما أظهر ابن أبي الإسلام أصبح من أتباع سعد بن عباد، وإن
كان يرى في نفسه أكبر من سعد.

ومن واجب السيد أن يدافع عن أتباعه، ولذا اجتهد سعد ودافع عنه،
وهو اجتهد في غير محله، وليفتو على أبي ادعاء الزعامة، ولذا فقد
اتهم بما ذكرت، وجعل عائشة، رضي الله عنها، تقول في حديثها الذي
روته عن حادثة الإفك: وكان يرى قبل ذلك رجلاً صالحاً.

وَجَاءَ الْأَحْزَابُ، وَنَقَضَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ عَهْدَهَا مَعَ الْمُسْلِمِينَ،
 وَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ وَعَظُمَ الْمَوْقِفُ، وَعِنْدَهَا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى عِيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ، وَإِلَى الْحَارِثِ بْنِ
 عَوْفٍ الْمُزَنِيِّ، وَهُمَا قَائِدَا غَطَفَانَ، فَأَعْطَاهُمَا ثُلُثَ ثِمَارِ الْمَدِينَةِ
 عَلَى أَنْ يَرْجِعَا بِمَنْ مَعَهُمَا عَنْهُ وَعَنْ أَصْحَابِهِ، فَجَرَى بَيْنَهُ
 وَبَيْنَهُمَا الصُّلْحُ، حَتَّى كَتَبُوا الْكِتَابَ وَلَمْ تَقَعْ الشَّهَادَةُ وَلَا
 عَزِيمَةُ الصُّلْحِ، إِلَّا الْمُرَاوَضَةُ فِي ذَلِكَ. فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ
 اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَفْعَلَ، بَعَثَ إِلَى سَعْدِ بْنِ
 مُعَاذٍ وَسَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُمَا، وَاسْتَشَارَهُمَا فِيهِ؛
 فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْرًا تُحِبُّهُ فَتَصْنَعُهُ، أَمْ شَيْئًا أَمَرَكَ اللَّهُ
 بِهِ، لَا بُدَّ مِنَ الْعَمَلِ بِهِ، أَمْ شَيْئًا تَصْنَعُهُ لَنَا؟ قَالَ: بَلْ شَيْءٌ
 أَصْنَعُهُ لَكُمْ، وَاللَّهُ مَا أَصْنَعُ ذَلِكَ إِلَّا لِأَنْبِيَاءِ رَأَيْتُ الْعَرَبَ قَدْ
 رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَكَالْبُوكُمُ^(١) مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَأَرَدْتُ
 أَنْ أَكْسِرَ عَنْكُمْ مِنْ شَوْكَتِهِمْ إِلَى أَمْرٍ مَا؛ فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ
 مُعَاذٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ كُنَّا نَحْنُ وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَى الشَّرِكِ
 بِاللَّهِ، وَعِبَادَةُ الْأَوْثَانِ، لَا نَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا نَعْرِفُهُ، وَهُمْ لَا
 يَطْمَعُونَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا تَمَرَةً إِلَّا قَرَى أَوْ بَيْعًا، أَفَحِينَ أَكْرَمَنَا
 اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، وَهَدَانَا لَهُ وَأَعَزَّنَا بِكَ وَبِهِ، نُعْطِيهِمْ أَمْوَالَنَا!

(١) كالبوكم: اشتدوا عليكم.

وَاللَّهُ مَا لَنَا بِهَذَا مِنْ حَاجَةٍ، وَاللَّهُ لَا نُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ حَتَّى
يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: فَأَنْتَ وَذَلِكَ. فَتَنَاولَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الصَّحِيفَةَ، فَمَحَا مَا
فِيهَا مِنَ الْكِتَابِ، ثُمَّ قَالَ: لِيَجْهَدُوا عَلَيْنَا.

ثُمَّ نَصَرَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ.

فِي فَتْحِ مَكَّةَ

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِفَتْحِ مَكَّةَ فِي
الْعَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ لِلِسَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلْهِجْرَةِ. وَكَانَ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ
يَحْمِلُ لِيَوَاءِ الْأَنْصَارِ، وَشَعَرَ أَنَّ قُرَيْشًا الَّتِي أَخْرَجَتْ رَسُولَ
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ ذَلَّتْ، وَأَنَّ الرِّجَالَ الَّذِينَ قَدْ
آذَوْا إِخْوَانَهُ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَنَعُوا، فَقَالَ: الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ،
الْيَوْمَ تَسْتَحِلُّ الْحُرْمَةَ، فَسَمِعَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، اسْمَعْ مَا قَالَ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ، مَا نَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ
لَهُ فِي قُرَيْشٍ صَوْلَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: أَذْرِكُهُ، فَخَذَ الرَّايَةَ مِنْهُ، فَكُنْ
أَنْتَ الَّذِي تَدْخُلُ بِهَا. وَقِيلَ: بَلْ أَخَذْتَ الرَّايَةَ مِنْهُ وَأَعْطَيْتَ
لِابْنِهِ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ.

فِي حُنَيْنٍ

لَمَّا سَمِعَتْ هَوَازِنُ بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
وَمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ مَكَّةَ، عَبَاتْ جُمُوعُهَا مَعَ ثَقِيفٍ، وَنَصِرٍ،
وَجُشَمَ كُلِّهَا، وَبَعْضَ بَنِي هِلَالٍ. وَقَرَّرُوا السَّيْرَ إِلَى رَسُولِ
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَلَمَّا أُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِذَلِكَ سَارَ إِلَيْهِمْ بِأَتْنِي عَشَرَ أَلْفًا، مِنْهُمْ عَشْرَةُ
آلَافٍ جَاءُوا مَعَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ لِلْفَتْحِ، وَأَلْفَانِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ.
وَقَدْ أَعْجَبَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ بِكَثْرَتِهِمْ.

سَبَقَ الْمُشْرِكُونَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى حُنَيْنٍ وَكَمَنُوا لَهُمْ، فَمَا أَنْ
وَصَلَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى ذَلِكَ الشَّعْبِ حَتَّى انْقَضَ عَلَيْهِمُ
الْمُشْرِكُونَ وَفَاجَأُوهُمْ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَفَرَّ الْمُسْلِمُونَ وَتَبَتَ
رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَعَ مَنْ تَبَتَ، وَأَمَرَ عَمَّهُ
الْعَبَّاسَ أَنْ يُنَادِيَ الْمُسْلِمِينَ بِأَنْ يَتُوبُوا إِلَى رُشْدِهِمْ فَاتَّبَعُوهَا
وَعَادُوا إِلَى رَسُولِهِمُ الْكَرِيمِ، وَحَمَلُوا عَلَى الْمُشْرِكِينَ حَمْلَةً
عَنيفَةً أَرَاخَتْهُمْ عَنْ مَوَاقِعِهِمْ فَهَزَمُوا وَانْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ وَحَارَوا
غَنَائِمَ كَثِيرَةً جَدًّا. ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ
حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ
عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾. ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ

سَكَيْتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا
وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١١﴾ .

جُمِعَتِ السَّبَايَا وَالْأَمْوَالُ وَالْغَنَائِمُ كَافَّةً لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَارَ بَعْدَهَا إِلَى الطَّائِفِ فَحَاصَرَهَا، وَقَاتَلَ
أَهْلَهَا ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهَا، وَسَارَ حَتَّى نَزَلَ (الْجِعْفَرَانَةَ) فَجَاءَهُ وَقَدْ
هَوَازِنَ فَرَدَّ عَلَيْهِمْ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ، وَاسْتَبَقَى الْأَمْوَالُ، ثُمَّ
وَزَعَهَا فَأَعْطَى الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ فِي قُرَيْشٍ وَفِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ
عَطَايَا كَثِيرَةً، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ، فَوَجَدَ هَذَا
الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ، حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُمْ الْقَالَةُ حَتَّى
قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَوْمَهُ،
فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا
الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ، لِمَا صَنَعْتَ
فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ، وَأَعْطَيْتَ
عَطَايَا عَظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ
الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ. قَالَ: فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟ قَالَ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَنَا إِلَّا مِنْ قَوْمِي. قَالَ فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي
هَذِهِ الْحَظِيرَةِ. فَخَرَجَ سَعْدٌ، فَجَمَعَ الْأَنْصَارَ فِي تِلْكَ

الْحَضِيرَةِ. فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ، وَجَاءَ آخَرُونَ
فَرَدَّهُمْ. فَلَمَّا اجْتَمَعُوا لَهُ أَتَاهُ سَعْدٌ، فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا
الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ
الْأَنْصَارِ: مَا قَالَةَ بَلَعْنِي عَنْكُمْ، وَجِدَّةٌ وَجَدْتُمُوهَا عَلَيَّ فِي
أَنْفُسِكُمْ؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَالًا فَهَذَا كُمْ اللَّهُ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ،
وَأَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ! قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنْ
وَأَفْضَلُ. ثُمَّ قَالَ: أَلَا تُجِيبُونِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟ قَالُوا: بِمَاذَا
تُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ. قَالَ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ قُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصَدَّقْتُمْ: أَتَيْنَا
مُكَذِّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمُخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَأَوَيْنَاكَ،
وَعَائِلًا فَاسَيْنَاكَ. أَوْجَدْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِكُمْ فِي
لُعَاعَةٍ^(١) مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفَتْ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُمْ إِلَى
إِسْلَامِكُمْ، أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ
بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي
نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ
سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا، لَسَلَكَتُ شِعْبَ

(١) بقلة خضراء ناعمة، شبه بها زهرة الدنيا ونعيمها.

الْأَنْصَارِ. اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ
الْأَنْصَارِ.

فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ
اللَّهِ قَسَمًا وَحِظًا. ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، وَتَفَرَّقُوا.

فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ

تُوْفِّي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ رَاضٍ عَنْ
سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ. وَشَعَرَ الْأَنْصَارُ أَنَّهُ قَدْ غَابَ عَنْهُمْ الْمُطَاعُ،
الَّذِي يُوحَى إِلَيْهِ، الَّذِي نَظَّمَ الدَّوْلَةَ، وَشَعَرَ الْأَنْصَارُ أَنَّ
مَدِينَتَهُمْ مُهَدَّدَةٌ مِنَ الْأَعْرَابِ وَرِجَالِ الْقَبَائِلِ الَّذِينَ لَمْ يَدْخُلِ
الْإِيمَانُ إِلَى قُلُوبِهِمْ، وَإِنَّمَا أَسْلَمُوا خَوْفًا مِنَ الْقُوَّةِ،
وَيَتَرَبَّصُونَ الدَّوَائِرَ بِالْمَدِينَةِ، وَيَتَحَيَّنُونَ بِهَا الْفُرْصَ، وَأَنَّ
الرَّدَّةَ قَدْ ظَهَرَتْ فِي بَعْضِ الْمَنَاطِقِ قَبْلَ وِفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَشَعَرَ الْأَنْصَارُ أَنَّهُمْ مُهَدَّدُونَ قَبْلَ غَيْرِهِمْ مِنْ قِبَلِ الْأَعْرَابِ
وَرِجَالِ الْقَبَائِلِ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ نَصَرُوا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَيَّدُوا الْمُهَاجِرِينَ، وَكَانُوا دَعَامَةَ الدَّوْلَةِ

الإِسْلَامِيَّةُ الَّتِي أَخْضَعَتِ الْأَعْرَابَ وَخَضَدَتْ شَوْكَتَهُمْ .

وَشَعَرَ الْأَنْصَارُ أَنَّ الْمُهَاجِرِينَ رُبَّمَا عَادُوا إِلَى مَكَّةَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِهِمُ الْكَرِيمِ ، عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، وَقَدْ ظَنُّوا هَذَا بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ ، وَكَلَّمُوا رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَكُلُّ هَذَا جَعَلَ الْأَنْصَارَ يَلْتَقُونَ وَيَبْحَثُونَ فِي هَذَا الْأَمْرِ ، وَقَدْ اجْتَمَعُوا فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ وَاخْتَارُوا سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَمِيرًا عَلَيْهِمْ لِمُعَالَجَةِ الْمَشْكِلَاتِ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ تَنْجُمَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ تَتَعَرَّضَ لَهَا الْمَدِينَةُ .

أَمَّا الْمُهَاجِرُونَ فَقَدْ كَانُوا أَكْثَرَ بَعْدًا عَنْ هَذَا الْمَوْضِعِ ، بَعْضُهُمْ شُغِلَ بِوَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدَفْنِهِ ، وَبَعْضُهُمْ لَا تَزَالُ وَفَاةُ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تَمَلُّ نَفْسَهُ ، وَبَعْضُهُمْ لَمْ يُفَكِّرْ فِي اخْتِيَارِ خَلِيفَةٍ بَعْدُ ، إِذْ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَمْ يَدْفَنْ بَعْدُ ، وَلَمْ يُفَكَّرْ بِمَوْضِعٍ رُبَّمَا يَقَعُ فِيهِ خِلَافٌ ، أَوْ لَمْ يَكُنِ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى تِلْكَ الْحَسَّاسِيَّةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا الْأَنْصَارُ مِنْ حَيْثُ الْخَوْفُ مِنَ الْأَعْرَابِ وَرِجَالِ الْقَبَائِلِ وَالْخَوْفِ عَلَى الْمَدِينَةِ .

وَعَلِمَ الْمُهَاجِرُونَ بِاجْتِمَاعِ الْأَنْصَارِ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ

فَسَارَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ
الْجَرَّاحِ، وَجَرَى حِوَارٌ وَنَقَاشٌ فِي مَوْضُوعِ الْإِمَارَةِ، وَرَأَى
الْأَنْصَارُ أَنَّ الْحَقَّ لِلْمُهَاجِرِينَ، وَأَنَّ وُجُودَ الْخِلَافَةِ فِيهِمْ
يُبْقِيهِمْ فِي الْمَدِينَةِ، وَفِي بَقَائِهِمْ قُوَّةٌ لِلْمُسْلِمِينَ، وَوَحْدَةٌ
لِكَلِمَتِهِمْ، وَقُوَّةٌ لِلْمَدِينَةِ، وَمَنْعَةٌ لَهَا، وَإِخَافَةٌ لِلْأَعْرَابِ،
وَمَنْعُهُمْ مِنْ أَنْ يَعْتَدُوا عَلَيْهَا، وَلِذَا فَمِنَ الْوَاجِبِ وَالْمَصْلَحَةِ
التَّنَازُلُ عَنِ الْخِلَافَةِ لِلْمُهَاجِرِينَ وَمُبَايَعَةُ أَحَدِهِمْ.

وَتَمَّتِ الْبَيْعَةُ لِأَبِي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَبَايَعَ
الْأَنْصَارُ كُلُّهُمْ سَيِّدَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صَاحِبِ
الْحَسَاسِيَّةِ الْخَاصَّةِ، وَالْغَيْرَةِ الشَّدِيدَةِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُبْدِ شَيْئاً،
وَلَمْ يَقِفْ مَوْقِفاً مُخَالَفاً، وَإِنَّمَا بَقِيَ صَامِتاً، وَانْقَضَتْ خِلَافَةُ
أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَتْ مَوَاقِفُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ،
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِيجَابِيَّةً، فِي بَعْثِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا، وَفِي حُرُوبِ الرَّدَّةِ، وَفِي كُلِّ الْمَوَاقِفِ، وَلَكِنَّهُ بَعِيداً
عَنِ الْاِحْتِكَالِ بِالْأُمُورِ فَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى شَيْءِ الْعَزْلَةِ.

وَفَاةُ سَعْدٍ

كَانَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَجُلًا صَرِيحًا، لَا
يَعْرِفُ الْمُسَايَرَةَ، وَشَدِيدَ التَّشَبُّثِ فِيمَا يَرَى أَنَّهُ حَقٌّ، وَهَذِهِ

الشَّدَّةُ قَدْ دَفَعَتْهُ إِلَى مَوَاقِفَ كَانَتْ عَلَيْهِ أَكْثَرُ مِمَّا كَانَتْ لَهُ، وَقَدْ رَأَيْنَا بَعْضَهَا، وَلَمْ يَكُنْ يَقْصِدُ إِلَّا إِعْلَانَ مَا يَعْتَقِدُ دُونَ أَنْ يَحْمِلَ فِي نَفْسِهِ شَيْئًا آخَرَ.

وَتَوَلَّى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الْخِلَافَةَ، وَرَأَى سَعْدُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْجِهَادِ، رَغْمَ تَقَدُّمِ السَّنِّ بِهِ، لِيَتَخَلَّصَ مِنْ شَيْبَةِ الْعُزْلَةِ الَّتِي يَحْيَاهَا، وَتَأَقَّتْ نَفْسُهُ لِلْجِهَادِ، وَرَغِبَ فِيهِ حَتَّى لَمْ يَعُدْ يَرَى سِوَاهُ أَمَامَهُ. وَالتَّقَى بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: إِيَّاهُ يَا سَعْدُ! فَقَالَ لَهُ: إِيَّاهُ يَا عُمَرُ! فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَنْتَ صَاحِبُ مَا أَنْتَ صَاحِبُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. وَقَدْ أَفْضَى إِلَيْكَ هَذَا الْأَمْرُ، وَكَانَ صَاحِبُكَ وَاللَّهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْكَ، وَقَدْ أَصْبَحْتَ كَارِهَاً لِجَوَارِكَ^(١). قَالَ لَهُ عُمَرُ: مَنْ كَرِهَ جِوَارَ جَارِهِ، تَحَوَّلَ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ سَعْدُ: إِنِّي مُتَحَوِّلٌ إِلَى جِوَارٍ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ^(٢).

وَسَارَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ إِلَى الشَّامِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ بِحَوْرَانَ مِنْ أَعْمَالِ بِلَادِ الشَّامِ جَنُوبَ دِمَشْقَ، وَذَلِكَ فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ عَشْرَةَ لِلْهَجْرَةِ، وَشَاعَتِ الرِّوَايَاتُ بِمَوْتِهِ وَعَنْ

(١) راجعاً في الجهاد.

(٢) شعر بدنو الأجل، ويقصد أنه متحول إلى جوار ربه.

مَوْتِهِ، فَمِنْ قَائِلٍ : إِنَّهُ بَالَ وَاقِفًا فِي جَحْرِ، فَقَتَلَتْهُ الْجَنُّ، وَمِنْ قَائِلٍ : إِنَّهُ لَمْ يُعْلَمْ بِمَوْتِهِ بِالمَدِينَةِ حَتَّى سَمِعَ غِلْمَانُ يَسِيرُونَ فِي نَصْفِ النَّهَارِ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ قَائِلًا فِي بَثْرِ يَقُولُ :

قَدْ قَتَلْنَا سَيِّدَ الْخَزْ
رَجِ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ
وَرَمَيْنَاهُ بِسَهْمَيْ
نِ فَلَمْ نُحْطِ فُؤَادَهُ

وَتُنَسَبُ لَهُ قَرْيَةُ «الشَّيْخِ سَعْدٍ» فِي حَوْرَانَ إِلَى الْجَنُوبِ مِنْ بَلَدَةِ «نَوَى» بَيْنَهَا وَبَيْنَ دَرْعَا، وَيُقَالُ : إِنَّهُ مَاتَ فِيهَا، وَدُفِنَ هُنَاكَ. كَمَا يُنَسَبُ لَهُ قَبْرُ فِي قَرْيَةِ الْمُنِيحَةِ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ دِمَشْقَ، وَفِي غُوطَتِهَا، إِلَى الشَّرْقِ مِنْهَا.

وَكَانَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ إِلَى الشَّامِ قَدْ قَسَمَ أَمْوَالَهُ وَأَمْلَاكُهُ بَيْنَ أَوْلَادِهِ.

كَانَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِضَافَةً إِلَى صَرَاحَتِهِ، يَقُولُ مَا يَجُولُ فِي خَاطِرِهِ بِسُرْعَةٍ، وَيَعْلَلُ ذَلِكَ، وَيَتَمَسَّكُ بِهِ، هَذَا إِضَافَةً إِلَى الْغِيَرَةِ الْكَثِيرَةِ لَدَيْهِ، وَالِدَّفَاعِ عَنْ قَوْمِهِ، وَمُحَاوَلَةِ إِيجَادِ الْمُبَرَّاتِ.

يُرَوَّى أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾^(١) قَالَ سَعْدُ سَيِّدَ الْأَنْصَارِ: هَكَذَا أُنْزِلَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى مَا يَقُولُ سَيِّدُكُمْ؟ قَالُوا: لَا تَلْمُهُ! فَإِنَّهُ غَيُورٌ، وَاللَّهُ مَا تَزَوَّجَ امْرَأَةً قَطُّ إِلَّا بِكَرٍّ، وَلَا طَلَّقَ امْرَأَةً قَطُّ فَاجْتَرَأَ أَحَدٌ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا^(٢). فَقَالَ سَعْدُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهُ لَأَعْلَمُ أَنَّهَا حَقٌّ، وَأَنَّهَا مِنَ اللَّهِ، وَلَكِنِّي قَدْ تَعَجَّبْتُ أَنْ لَوْ وَجَدْتُ لِكَاعٍ قَدْ تَفَخَّذَهَا رَجُلٌ لَمْ يَكُنْ لِي أَنْ أَهْيِجَهُ وَلَا أُحَرِّكَهُ حَتَّى آتِيَ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ، فَلَا آتِيَ بِهِمْ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ.

رَوَى، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تِسْعَةَ أَحَادِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) سورة النور: الآية ٤: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلَدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

(٢) لا يمكن أن يتصوّر رجلاً سبقه على امرأة، ولا أن يحلّ مكانه آخر.

بُيَاة دَوْلَةِ الْإِسْلَام

- ٣٠ -

الْجَوَادُ بْنُ الْجَوَادِ

فَيْسُ بْنُ سَعِيدٍ بْنِ عُبَادَةَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ سَارَ عَلَى دَرْبِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أما بعد:

فَإِنَّ صِفَةً وَاحِدَةً فِي الْمَرْءِ قَدْ تَكُونُ بَارِزَةً فِيهِ فَتُظْهِرُهُ سِوَاءَ أَكَانَتْ فِي الْخُلُقِ أَمْ فِي الْخِلْقَةِ، فَكَمْ مِنْ قَصِيرٍ عُرِفَ؟ وَكَمْ مِنْ طَوِيلٍ اِشْتَهَرَ؟ وَكَمْ مِنْ جَوَادٍ ذَاعَ صِيَّتُهُ؟ وَكَمْ مِنْ شُجَاعٍ سَجَلَتْ الرِّوَايَاتُ قِصَصَ بَطُولَتِهِ؟ وَكَمْ مِنْ دَاهِيَةٍ مَلَأَتْ أَخْبَارُ ذَكَائِهِ الْكُتُبَ فَبَرَزَ بَيْنَ الْأَعْلَامِ. أَمَّا قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ فَقَدْ اِمْتَاَزَ بَعْدَهُ صِفَاتٍ تَكْفِي كُلَّ صِفَةٍ أَنْ تَجْعَلَ مِنَ الرَّجُلِ عَظِيمًا.

لَقَدْ كَانَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ سَيِّدَ الْأَنْصَارِ مِنْ غَيْرِ مُدَافِعٍ وَابْنِ سَيِّدِهِمْ مِنْ غَيْرِ مُنَازِعٍ.

وَكَانَ أَحَدَ الْأَجَوَادِ الْمَشْهُورِينَ حَتَّى سَارَتْ الرُّكْبَانُ بِكَرْمِهِ،

وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ إِلَّا وَيَعْرِفُ هَذِهِ السِّمَةَ فِيهِ، وَفِي أَبِيهِ. فَيَأْتِيهِ
أَصْحَابُ الْحَاجَةِ، وَيَنْحَرُّ لِلجَائِعِينَ، وَيُعْطِي مَنْ يَطْلُبُ، وَيَصِلُ
الرَّحِمَ بِكَرَمِهِ.

وَكَانَ دَاهِيَةً يَعْجِزُ أَهْلُ الدَّهَاءِ عَنْ مُجَارَاتِهِ، وَيَقِفُ أَهْلُ
الْمَكْرِ حَيَارَى أَمَامَ حِيلِهِ، وَأَهْلُ الْخِدَاعِ مُفَكِّرِينَ فِي خِطْطِهِ.

وَيُعَدُّ مِنَ الْأَبْطَالِ الْمَشْهُورِينَ يَخَافُهُ الْخُصُومُ، وَيَرْهَبُهُ
الْأَعْدَاءُ وَتَحْسَبُ الْجُيُوشُ لَهُ حِسَابًا، يَتَقَدَّمُ الْجَحَافِلُ غَيْرَ مُبَالٍ
بِالَّذِينَ أَمَامَهُ يَقِلُّ حَدُّهُمْ، وَيَخْضُدُ شَوْكَتَهُمْ، فَيَتَرَجَعُونَ،
وَيَعُودُ بِالْغَنَمِ.

وَيُعَدُّ مِنَ الْقَادَةِ الْمُوَفِّقِينَ، قَادَ السَّرَايَا، وَتَقَدَّمَ الْجُمُوعَ،
وَهَزَمَ الرِّجَالَ، وَتَرَجَعَتْ أَمَامَهُ الْقَوَاتُ. وَتَوَلَّى الْإِمَارَةَ فَضَبَطَ
الْمِصْرَ، وَنَجَحَ فِي كَسْبِ وَدِّ الرَّعِيَّةِ.

خَطِيبٌ مُفَوَّهُ، وَشَاعِرٌ سَعِيدٌ، وَمَهْمَا أُعْطِيَتْهُ مِنْ صِفَاتِ
الْخَيْرِ فَلَنْ أُوفِيَهُ حَقَّهُ، وَمَا نَظَرْتُ فِي سِمَةِ طَيِّبَةٍ وَخُلُقِ كَرِيمٍ
إِلَّا رَأَيْتُ أَنَّهُ قَدْ اِمْتَأَزَ بِذَلِكَ.

فَهُوَ سَيِّدٌ، أَمِيرٌ، خَطِيبٌ، بَطلٌ، كَرِيمٌ، طَوِيلُ الْجِسْمِ،
طَوِيلُ الْيَدِ فِي الْعَطَاءِ، طَوِيلُ النَّجَادِ فِي الْحَرْبِ، طَوِيلُ

الباعِ في الكلامِ . رضيَ اللهُ عنه وأرضاهُ.

وَرِثَ قَيْسُ الْجُودَ وَالشَّجَاعَةَ ، وَجَاءَ الْإِسْلَامُ فَشَحَذَ
طِبَاعَهُ ، وَأَلَانَ دَهَاءَهُ ، وَوَضَعَ جُودَهُ وَشَجَاعَتَهُ فِي
مَوَاضِعِهِمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَكَانَ هَذَا الرَّجُلَ الْعَظِيمَ قَيْسَ بْنِ
سَعْدٍ .

جِسْمُ قَيْسٍ

كَانَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ رَجُلًا ضَخْمًا جَسِيمًا، صَغِيرَ الرَّأْسِ، لَهُ لَحْيَةٌ فِي دَفْنِهِ وَكَانَ إِذَا رَكِبَ الْحِمَارَ الْعَالِيَّ خَطَّتْ رِجْلَاهُ بِالْأَرْضِ .

● وَفَدَّ عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَأَكْرَمَهُ مُعَاوِيَةُ، وَقَدَّمَهُ، وَحَظِيَ عِنْدَهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ مَعَ الْوُفُودِ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ إِذْ قَدِمَ كِتَابُ مَلِكِ الرُّومِ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَفِيهِ: أَنْ ابْعَثْ إِلَيَّ سَرَاوِيلَ أَطْوَلَ رَجُلٍ فِي الْعَرَبِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: مَا أَرَانَا إِلَّا قَدْ احْتَجَجْنَا إِلَى سَرَاوِيلِكَ؟ - وَكَانَ قَيْسٌ مَدِيدُ الْقَامَةِ جِدًّا لَا يَصِلُ أَطْوَلُ الرِّجَالِ إِلَى صَدْرِهِ - فَقَامَ قَيْسٌ فَتَنَحَّى ثُمَّ خَلَعَ سَرَاوِيلَهُ فَأَلْقَاهَا إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: لَوْ ذَهَبَتْ إِلَى مَنْزِلِكَ ثُمَّ أُرْسِلَتْ بِهَا إِلَيْنَا، فَأَنْشَأَ قَيْسٌ يَقُولُ عِنْدَ ذَلِكَ:

أَرَدْتُ بِهَا كَيْ يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهَا
سَرَاوِيلُ قَيْسٍ وَالْوُفُودُ شُهُودُ

وَأَلَّا يَقُولُوا غَابَ قَيْسٌ وَهَذِهِ
سَرَاوِيلُ عَادِيٍّ نَمَتْهُ ثُمَّودُ
وَإِنِّي مِنَ الْحَيِّ الِيمَانِيِّ لَسِيدٌ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا سَيِّدٌ وَمَسُودٌ
فَكَيْدُهُمْ بِمِثْلِي إِنَّ مِثْلِي عَلَيْهِمْ
شَدِيدٌ وَخَلْقِي فِي الرِّجَالِ مَدِيدٌ
وَفَصَّلَنِي فِي النَّاسِ أَصْلٌ وَوَالِدٌ
وَبَاعٌ بِهِ أَعْلَوُ الرِّجَالِ سَدِيدٌ

فَأَمَرَ مُعَاوِيَةَ أَطُولَ رَجُلٍ فِي الْوَفْدِ فَوَضَعَهَا عَلَى أَنْفِهِ
فَوَقَعَتْ بِالْأَرْضِ .

وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ مَلِكَ الرُّومِ بَعَثَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بِرَجُلَيْنِ مِنْ
جَيْشِهِ يَزْعُمُ أَنَّ أَحَدَهُمَا أَقْوَى الرُّومِ ، وَالْآخَرُ أَطُولُ الرُّومِ ،
فَانْظُرْ فِي قَوْمِكَ مَنْ يَفُوقُهُمَا فِي قُوَّةٍ هَذَا وَطُولٍ هَذَا؟ فَإِنْ كَانَ
فِي قَوْمِكَ مَنْ يَفُوقُهُمَا بَعَثْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْأَسَارَى كَذَا وَكَذَا ،
وَمِنَ التُّحَفِ كَذَا وَكَذَا . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي جَيْشِكَ مَنْ هُوَ أَقْوَى
وَأَطُولُ مِنْهُمَا فَهَادِنِي ثَلَاثَ سِنِينَ . فَلَمَّا حَضَرََا عِنْدَ مُعَاوِيَةَ
قَالَ : مِنْ لِهَذَا الْقَوِي؟ فَقَالُوا : مَا لَهُ إِلَّا أَحَدُ رَجُلَيْنِ إِمَّا
مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ ، أَوْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ . فَجِيءَ

بِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ - وَهُوَ ابْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَلَمَّا
اجْتَمَعَ النَّاسُ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: أَتَعْلَمُ فِيمَ أُرْسَلْتُ
إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَا! فَذَكَرَ لَهُ أَمْرَ الرُّومِيِّ وَشِدَّةَ بَأْسِهِ، فَقَالَ
لِلرُّومِيِّ: إِمَّا أَنْ تَجْلِسَ لِي أَوْ أَجْلِسَ إِلَيْكَ، وَتُنَاوِلَنِي يَدَكَ أَوْ
أَنَاوِلَكَ يَدِي، فَأَيْنَا قَدِيرٌ عَلَى أَنْ يُقِيمَ الْآخَرُ مِنْ مَكَانِهِ، غَلْبَهُ،
وَالْأُغْلَبُ. فَقَالَ لَهُ: مَاذَا تُرِيدُ؟ قَالَ: تَجْلِسُ أَوْ أَجْلِسُ؟
فَقَالَ لَهُ الرُّومِيُّ: بَلْ أَجْلِسْ أَنْتَ، فَجَلَسَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ،
وَأَعْطَى الرُّومِيُّ يَدَهُ فَاجْتَهَدَ الرُّومِيُّ بِكُلِّ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ الْقُوَّةِ
أَنْ يُزِيلَهُ مِنْ مَكَانِهِ أَوْ يُحَرِّكَهُ لِيُقِيمَهُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا
وَجَدَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، فَغَلِبَ الرُّومِيُّ، عِنْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ لِمَنْ مَعَهُ مِنْ
الْوُفُودِ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ أَنَّهُ قَدْ غَلِبَ. ثُمَّ قَامَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ
فَقَالَ لِلرُّومِيِّ: أَجْلِسْ لِي، فَجَلَسَ وَأَعْطَى مُحَمَّدًا يَدَهُ فَمَا
أَمْهَلَهُ أَنْ أَقَامَهُ سَرِيعًا، وَرَفَعَهُ فِي الْهَوَاءِ ثُمَّ أَلْقَاهُ عَلَى
الْأَرْضِ فَسَرَّ بِذَلِكَ مُعَاوِيَةُ سُرُورًا عَظِيمًا. وَنَهَضَ قَيْسُ بْنُ
سَعْدٍ فَتَنَحَّى عَنِ النَّاسِ، ثُمَّ خَلَعَ سَرَائِيلَهُ وَأَعْطَاهَا لِذَلِكَ
الرُّومِيِّ الطَّوِيلِ فَلَبَسَهَا، فَبَلَغَتْ إِلَى ثَدْيَيْهِ، وَأَطْرَافُهَا تَخُطُّ
بِالْأَرْضِ، فَاعْتَرَفَ الرُّومِيُّ بِالْغَلْبِ، وَبَعَثَ مَلَكَهُمْ مَا كَانَ
الْتِزَمَهُ لِمُعَاوِيَةَ. وَعَاتَبَ الْأَنْصَارُ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ فِي خُلْعِهِ
سَرَائِيلَهُ بِحَضْرَةِ النَّاسِ، فَقَالَ: ذَلِكَ الشَّعْرُ الْمُتَقَدِّمُ مُعْتَذِرًا

بِهِ إِلَيْهِمْ، وَلِيَكُونَ ذَلِكَ أَلْزَمَ لِلْحِجَّةِ الَّتِي تَقُومُ عَلَى الرُّومِ،
وَأَقْطَعَ لَوْ حَاوَلُوهُ^(١).

وَكَانَ قَيْسٌ مَوْصُوفًا مَعَ جَمَاعَةٍ قَدْ بَدَّوْا النَّاسَ طُولًا وَجَمَالًا
مِنْهُمْ: الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَوَلَدُهُ،
وَجَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ، وَالْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسِ الْكِنْدِيِّ،
وَعَدِيُّ بْنُ حَاتِمِ الطَّائِيِّ، وَابْنُ جَذَلِ الطَّعَانِ الْكِنَانِيُّ، وَأَبُو
زُبَيْدِ الطَّائِيِّ، وَزَيْدُ الْخَيْلِ بْنِ مُهْلَلِ الطَّائِيِّ. وَكَانَ أَحَدُ
هَؤُلَاءِ يُقْبَلُ الْمَرْأَةُ عَلَى الْهُودَجِ، وَكَانَ يُقَالُ لِلرَّجُلِ مِنْهُمْ
مُقْبَلُ الطَّعْنِ^(٢).

وَكَانَ قَيْسٌ سِنَاطًا^(٣) فَكَانَتْ الْأَنْصَارُ تَقُولُ: لَوَدِدْنَا أَنَا
أَشْتَرَيْنَا لَهُ لِحْيَةً بِأَنْصَافِ أَمْوَالِنَا^(٤).

جُودُ قَيْسٍ

● بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَبَا عُبَيْدَةَ فِي

(١) البداية والنهاية.

(٢) الكامل للمبرد المتوفى ٢٨٥.

(٣) السِّنَاطُ والسَّنُوطُ: أَنْ يَكُونَ فِي الذَّقَنِ شَيْءٌ مِنَ الشَّعْرِ، وَلَا يَكُونُ فِي

الْعَارِضِينَ شَيْءٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمَا جَمِيعًا شَيْءٌ فَهُوَ الثُّطُّ.

(٤) الكامل المصدر نفسه.

سَرِيَّةٍ فِيهَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارَ، وَهُمْ ثَلَاثُمِائَةٍ، إِلَى سَاحِلِ
الْبَحْرِ إِلَى حَيٍّ مِنْ جُهَيْنَةَ، فَأَصَابَهُمْ جُوعٌ شَدِيدٌ. فَأَمَرَ أَبُو
عُبَيْدَةَ بِالزَّادِ، فَجُمِعَ؛ حَتَّى كَانُوا يَقْتَسِمُونَ التَّمْرَةَ. فَقَالَ
قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ: مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي تَمْرًا بِجُزْرٍ، يُوَفِّيَنِي الْجُزْرَ هَا
هُنَا وَأُوَفِّيهِ التَّمْرَ بِالْمَدِينَةِ. فَجَعَلَ عُمَرُ يَقُولُ: يَا عَجَبًا لِهَذَا
الْغُلَامِ يَدِينُ فِي مَالٍ غَيْرِهِ. فَوَجَدَ رَجُلًا مِنْ جُهَيْنَةَ، فَسَأَلَهُ،
فَقَالَ: مَا أَعْرِفُكَ! قَالَ: أَنَا قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ بْنِ
ذَلَيْمٍ. فَقَالَ: مَا أَعْرِفُنِي بِنَسَبِكَ، أَمَا إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدٍ خُلَّةً
سَيِّدَ أَهْلِ يَثْرِبَ، فَابْتِاعَ مِنْهُ خَمْسُ جَزَائِرَ، كُلُّ جَزْوِرٍ
بِوَسْقَيْنِ مِنْ تَمْرٍ، وَأَشْهَدُ لَهُ نَفْرًا. فَقَالَ عُمَرُ: لَا أَشْهَدُ يَدَيْنِ
وَلَا مَالَ لَهُ، إِنَّمَا الْمَالُ لِأَبِيهِ، فَقَالَ الْجُهَنِيُّ: وَاللَّهِ مَا كَانَ
سَعْدٌ لِيُخْنِي بِأَبْنِهِ فِي شِقَّةٍ مِنْ تَمْرٍ، وَأَرَى وَجْهًا حَسَنًا،
فَنَحَرَهَا لَهُمْ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ. فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ نَهَاةُ
أَمِيرِهِ، وَقَالَ: تُرِيدُ أَنْ تَحْرِبَ ذِمَّتَكَ وَلَا مَالَ لَكَ.

وَيُرَوَّى أَنَّهُ أَقْبَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَمَعَهُ عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ لِقَيْسٍ: عَزَمْتُ
عَلَيْكَ أَلَّا تَنْحَرَ، أَتُرِيدُ أَنْ تَخْفِرَ ذِمَّتَكَ وَلَا مَالَ لَكَ؟ فَقَالَ
قَيْسٌ: يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، أَتُرَى أَبَا ثَابِتٍ وَهُوَ يَقْضِي دَيْنَ النَّاسِ،

وَيَحْمِلُ الْكَلَّ، وَيُطْعِمُ فِي الْمَجَاعَةِ، لَا يَقْضِي سِقَةَ تَمْرِ لِقَوْمٍ مُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ! فَكَادَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنْ يَلِينَ لَهُ وَيَتْرُكُهُ حَتَّى جَعَلَ عُمَرُ يَقُولُ: اعْزِمْ عَلَيْهِ! فَعَزَمَ عَلَيْهِ فَأَبَى عَلَيْهِ أَنْ يَنْحَرَّ. فَبَقِيََتْ جِزْرَانِ مَعَهُ، حَتَّى وَجَدَ الْقَوْمَ الْحَوْتَ^(١)، فَقَدِمَ بِهِمَا قَيْسُ الْمَدِينَةِ ظَهْرًا يَتَعَاقِبُونَ عَلَيْهَا.

وَبَلَغَ سَعْدُ مَا كَانَ أَصَابَ الْقَوْمَ مِنَ الْمَجَاعَةِ فَقَالَ: إِنْ يَكُنْ قَيْسٌ كَمَا أَعْرِفُهُ فَسَوْفَ يَنْحَرُّ لِلْقَوْمِ. فَلَمَّا قَدِمَ قَيْسٌ لَقِيَهُ سَعْدُ فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ فِي مَجَاعَةِ الْقَوْمِ حَيْثُ أَصَابَهُمْ؟ قَالَ نَحَرْتُ. قَالَ: أَصَبْتَ، انْحَرِ! قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: نَحَرْتُ. قَالَ: أَصَبْتَ! ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: نَحَرْتُ. قَالَ: أَصَبْتَ، انْحَرِ! قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: نُهِيتُ. قَالَ: وَمَنْ نَهَاكَ؟ قَالَ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ أُمِيرِي. قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّهُ لَا مَالَ لِي، وَإِنَّمَا الْمَالُ لِأَبِيكَ. فَقُلْتُ: أَبِي يَقْضِي عَنِ الْأَبَاعِدِ، وَيَحْمِلُ الْكَلَّ، وَيُطْعِمُ فِي الْمَجَاعَةِ، وَلَا يَصْنَعُ هَذَا بِي! قَالَ: فَلَكَ أَرْبَعُ حَوَائِطٍ. وَكُتِبَ لَهُ بِذَلِكَ كِتَابًا، وَاتَى بِالْكِتَابِ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ فَشَهِدَ فِيهِ، وَاتَى عُمَرُ فَأَبَى أَنْ يَشْهَدَ فِيهِ، وَأَدْنَى حَائِطٍ مِنْهَا يَجِدُ خَمْسِينَ وَسَقًا. وَقَدِمَ الْبَدَوِيُّ مَعَ قَيْسٍ فَأَوْفَاهُ

(١) ألقى لهم البحر حوتاً كبيراً أكل منه القوم اثنتي عشرة ليلة.

سِقَّتَهُ وَحِمْلَهُ وَكَسَاهُ، فَبَلَغَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِعْلُ قَيْسٍ فَقَالَ: إِنَّهُ فِي بَيْتِ جُودٍ^(١).

● يَرْوِي ابْنُ عَسَاكِرَ أَنَّ قَيْسًا كَانَ يَسْتَدِينُ وَيُطْعِمُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ: إِنْ تَرَكْنَا هَذَا الْفَتَى أَهْلَكَ مَالَ أَبِيهِ، فَمَشِيَ فِي النَّاسِ، فَقَامَ سَعْدُ عِنْدَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: مَنْ يَغْدِرُنِي مِنْ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ وَابْنِ الْخَطَّابِ، يُخْلَانِ عَلَيَّ ابْنِي.

● وَقَفَّتْ عَلَى قَيْسٍ عَجُوزٌ، فَقَالَتْ: أَشْكُو إِلَيْكَ قِلَّةَ الْجِرْدَانِ. فَقَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذِهِ الْكِتَابَةِ، امْلُؤُوا بَيْتَهَا خُبْرًا وَلَحْمًا وَسَمْنًا وَتَمْرًا.

● كَانَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ يُطْعِمُ النَّاسَ فِي أَسْفَارِهِ مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ إِذَا نَفَذَ مَا مَعَهُ اسْتَدَانَ، وَكَانَ يُنَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ، هَلُمُّوا إِلَى اللَّحْمِ وَالثَّرِيدِ.

● بَاعَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ مَالًا مِنْ مُعَاوِيَةَ بِتِسْعِينَ أَلْفًا، فَأَمَرَ مَنْ نَادَى فِي الْمَدِينَةِ، مَنْ أَرَادَ الْقَرْضَ، فَلْيَأْتِ. فَأَقْرَضَ

(١) انظر المغازي للواقدي، والسيرة الحلبية، وسير أعلام النبلاء.

أَرْبَعِينَ أَلْفًا، وَأَجَازَ بِالْبَاقِي، وَكَتَبَ عَلَى مَنْ أَقْرَضَهُ. فَمَرَضَ مَرَضًا قَلَّ عَوَادُهُ، فَقَالَ لَزَوْجَتِهِ قُرَيْبَةً أُخْتِ الصَّدِيقِ: لِمَ قَلَّ عَوَادِي؟ قَالَتْ: لِلدَّيْنِ، فَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ بِصَكِّهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي مَالًا وَفَعَالًا، فَإِنَّهُ لَا تَصْلُحُ الْفَعَالُ إِلَّا بِالْمَالِ.

● قَسَمَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مَالَهُ بَيْنَ وَلَدِهِ، وَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ، فَمَاتَ، وَوُلِدَ لَهُ وَلَدٌ بَعْدُ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ إِلَى ابْنِهِ قَيْسٍ، فَقَالَا: نَرَى أَنْ تَرُدَّ عَلَى هَذَا، فَقَالَ: مَا أَنَا بِمُعِيرٍ شَيْئًا صَنَعَهُ سَعْدُ، وَلَكِنْ نَصِيبِي لَهُ.

● اخْتَلَفَ ثَلَاثَةٌ عِنْدَ الْكَعْبَةِ فِي أَكْرَمِ أَهْلِ زَمَانِهِمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ، وَقَالَ الْآخَرُ: قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ، وَقَالَ الثَّالِثُ: عَرَابَةُ الْأَوْسِيِّ، فَتَمَارَوْا فِي ذَلِكَ حَتَّى ارْتَفَعَ ضَجِيجُهُمْ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ لَهُمْ رَجُلٌ: فَلْيَذْهَبْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ إِلَى صَاحِبِهِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ أَكْرَمُ مِنْ غَيْرِهِ، فَلْيَنْظُرْ مَا يُعْطِيهِ وَلْيَحْكُمْ عَلَى الْعَيَانِ. فَذْهَبَ صَاحِبُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ إِلَيْهِ فَوَجَدَهُ قَدْ وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرَزِ لِيَذْهَبَ إِلَى ضِيعَةِ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ! ابْنُ سَبِيلٍ وَمُنْقَطِعُ بِهِ، قَالَ: فَأَخْرَجَ رِجْلَهُ مِنَ الْغَرَزِ وَقَالَ: ضَعُ رِجْلَكَ وَاسْتَوِ عَلَيْهَا

فَهِيَ لَكَ بِمَا عَلَيْهَا، وَخُذْ مَا فِي الْحَقِيَّةِ، وَلَا تَحِذْ عَنِ السَّيْفِ
فَإِنَّهُ مِنْ سُيُوفِ عَلِيٍّ، فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ بِنَاقَةٍ عَظِيمَةٍ وَإِذَا فِي
الْحَقِيَّةِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ دِينَارٍ، وَمَطَارِفَ مِنْ خَزٍّ وَغَيْرِ ذَلِكَ،
وَأَجَلُ ذَلِكَ سَيْفُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

وَمَضَى صَاحِبُ قَيْسٍ فَوَجَدَهُ نَائِمًا، فَقَالَتْ لَهُ الْجَارِيَةُ: مَا
حَاجَتُكَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: ابْنُ سَبِيلٍ وَمُنْقَطِعٌ بِهِ، قَالَتْ: فَحَاجَتُكَ
أَيْسَرُ مِنْ إِيْقَاضِهِ، هَذَا كَيْسٌ فِيهِ سَبْعُمِائَةُ دِينَارٍ مَا فِي دَارِ قَيْسٍ
مَالٌ غَيْرُهُ الْيَوْمَ، وَادْهَبْ إِلَى مَوْلَانَا فِي مَعَاطِنِ الْإِبِلِ فَخُذْ
لَكَ نَاقَةً وَعَبْدًا، وَادْهَبْ رَاشِدًا. فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ قَيْسٌ مِنْ نَوْمِهِ
أَخْبَرَتْهُ الْجَارِيَةُ بِمَا صَنَعَتْ، فَأَعْتَقَهَا شُكْرًا عَلَى صَنِيعِهَا
ذَلِكَ، وَقَالَ: هَلَّا أَيْقَظْتَنِي حَتَّى أُعْطِيَهُ مَا يَكْفِيهِ أَبَدًا، فَلَعَلَّ
الَّذِي أُعْطِيْتِهِ لَا يَقَعُ مِنْهُ مَوْقِعَ حَاجَتِهِ.

وَذَهَبَ صَاحِبُ عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ إِلَيْهِ فَوَجَدَهُ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ
مَنْزِلِهِ يُرِيدُ الصَّلَاةَ، وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَبْدَيْنِ لَهُ - وَقَدْ كَفَّ
بَصَرُهُ - فَقَالَ: يَا عَرَابَةُ! فَقَالَ: قُلْ، فَقَالَ: ابْنُ سَبِيلٍ
وَمُنْقَطِعٌ بِهِ، قَالَ: فَخَلَّى عَنِ الْعَبْدَيْنِ ثُمَّ صَفَّقَ بِيَدَيْهِ،
بِالْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى، ثُمَّ قَالَ: أَوْهَ أَوْهَ، وَاللَّهِ مَا أَصْبَحْتُ وَلَا
أَمْسَيْتُ وَقَدْ تَرَكْتُ الْحُقُوقَ مِنْ مَالِ عَرَابَةَ شَيْئًا، وَلَكِنْ خُذْ

هَذَيْنِ الْعَبْدَيْنِ ، قَالَ : مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ، فَقَالَ : إِنْ لَمْ
تَأْخُذْهُمَا فَهُمَا حُرَّانِ ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَعْتِقْ ، وَإِنْ شِئْتَ فَخُذْ .
وَأَقْبَلَ يَتَلَسَّسُ الْحَائِطَ بِيَدِهِ ، قَالَ : فَأَخَذَهُمَا وَجَاءَ بِهِمَا إِلَى
صَاحِبَيْهِ ، قَالَ : فَحَكَمَ النَّاسُ عَلَى أَنَّ ابْنَ جَعْفَرٍ قَدْ جَادَ بِمَالٍ
عَظِيمٍ ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِمُسْتَكْرٍ لَهُ ، إِلَّا أَنَّ السَّيْفَ أَجْلُهَا .
وَأَنَّ قَيْسًا أَحَدُ الْأَجَوَادِ ، حَكَمَ مَمْلُوكَتَهُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمِهِ
وَاسْتَحْسَنَ فِعْلَهَا وَشَكَرَ لَهَا عَلَى مَا فَعَلَتْ . وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ
أُسْحَى الثَّلَاثَةِ عَرَابَةُ الْأَوْسِيِّ ؛ لِأَنَّهُ جَادَ بِجَمِيعِ مَا يَمْلِكُهُ ،
وَذَلِكَ جَهْدٌ مِنْ مُقِلٍّ^(١) .

وَيَجِبُ أَنْ نُلَاحِظَ أَنَّ أُعْطِيَةَ قَيْسٍ لَمْ تَكُنْ أُعْطِيَةً مِنْهُ
مُبَاشَرَةً ، وَإِنَّمَا إعْطَاءُ مَمْلُوكَتِهِ ، وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ هُوَ الَّذِي أُعْطِيَ
لَقَدَّمَ لَهُ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ، بِحَيْثُ يَكْفِيهِ أَبَدًا .

● اقْتَرَضَ رَجُلٌ مِنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ ثَلَاثِينَ أَلْفًا ، فَلَمَّا
جَاءَ لِيُؤْفِيَهُ إِيَّاهَا قَالَ لَهُ قَيْسٌ : إِنَّا قَوْمٌ مَا أُعْطِينَا أَحَدًا شَيْئًا
فَنَرْجِعَ فِيهِ .

(١) البداية والنهاية - ابن كثير - وفيات عام ٥٩٠ .

شَجَاعَةُ قَيْسٍ

● بَعْدَ مُغَادَرَةِ قَيْسٍ مِصْرَ اتَّجَهَ نَحْوَ الْمَدِينَةِ فَنَوَامَرَ فِيهِ الْأَسْوَدُ بْنُ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ ، وَمَرَّوَانُ أَنْ يُبَيِّتَاهُ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ قَيْسًا ، فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لَقَبِيحٌ أَنْ أَفَارِقَ عَلِيًّا وَإِنْ عَزَلَنِي ، وَاللَّهِ لَأَلْحَقَنَّ بِهِ ، وَحَدَّثَهُ بِمَا كَانَ يَعْتَمِدُ بِمِصْرَ . فَعَرَفَ عَلِيٌّ أَنَّ قَيْسًا كَانَ يُدَارِي أَمْرًا عَظِيمًا بِالْمَكِيدَةِ ، فَأَطَاعَ عَلِيٌّ قَيْسًا فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ ، وَجَعَلَهُ عَلَى مُقَدِّمَةِ جَيْشِهِ . وَبَعَثَ مُعَاوِيَةَ يُؤْتِبُ مَرَّوَانَ وَالْأَسْوَدَ ، وَقَالَ : أُمِدِّدْتُمَا عَلِيًّا بِقَيْسٍ ؟ وَاللَّهِ لَوْ أُمِدِّدْتُمَاهُ بِمِائَةِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ ، مَا كَانَ بِأَغْيَظَ عَلَيٍّ مِنْ إِخْرَاجِكُمَا قَيْسًا إِلَيْهِ .

● وَاسْتَشْهَدَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَوَقَفَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، مَعَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، غَيْرُ مُبَالٍ بِالْأَخْطَارِ ، وَقَادَ قَيْسُ خَمْسَةَ آلَافٍ مِنَ الرِّجَالِ كَانُوا قَدْ حَلَقُوا رُؤُسَهُمْ بَعْدَ وَفَاةِ عَلِيٍّ ، وَقَاتَلُوا أَهْلَ الشَّامِ قِتَالًا عَنيفًا .

وَيُؤَثِّرُ الْحَسَنُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنْ يُضَمَّدَ جِرَاحَ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي طَالَ نَزِيفُهَا ، وَيَضَعُ حَدًّا لِلْقِتَالِ الَّذِي أَفْنَى الْكَثِيرَ مِنْ

المُسْلِمِينَ وَالَّذِينَ يَجِبُ أَنْ يُوجَّهُوا جُهُودَهُمْ لِلْقِتَالِ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ، وَمُجَالِدَةِ أَعْدَاءِ اللَّهِ، وَيَدْخُلَ فِي مَفَاوِضَةٍ مَعَ مُعَاوِيَةَ،
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ يُبَايِعُهُ.

وَيَأْتِي قَيْسٌ أَنْ يَدْخُلَ فِي الْبَيْعَةِ، وَيَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: إِنَّ
شِئْكُمْ جَالَدَتْ بِكُمْ أَبَدًا حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ، وَإِنْ شِئْكُمْ
أَخَذْتُ لَكُمْ أَمَانًا، فَقَالُوا: خُذْ لَنَا أَمَانًا، وَلَمْ يَأْخُذْ لِنَفْسِهِ
خَاصَّةً. وَلَمَّا ارْتَحَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ، جَعَلَ يَنْحَرُ
لَهُمْ كُلَّ يَوْمٍ جَزُورًا حَتَّى بَلَغَ الصَّرَّارَ^(١).

دُهَاءُ قَيْسٍ

كَانُوا يَعُدُّونَ قَيْسًا مِنْ دُهَاءِ الْعَرَبِ، وَكَانَ مِنْ ذَوِي
الرَّأْيِ، وَقَالُوا: دُهَاءُ الْعَرَبِ حِينَ ثَارَتِ الْفِتْنَةُ خَمْسَةٌ:
مُعَاوِيَةُ، وَعَمْرُو، وَقَيْسٌ، وَالْمُغِيرَةُ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ
بُدَيْلٍ بْنِ وَرْقَاءَ الْخَزَاعِيِّ.

وَكَانَ قَيْسٌ وَابْنُ بُدَيْلٍ مَعَ عَلِيٍّ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مَعَ
مُعَاوِيَةَ، وَكَانَ الْمُغِيرَةُ مُعْتَرِلًا بِالطَّائِفِ حَتَّى حَكَمَ الْحَكَمَانِ.

(١) الصرار: موضع على بعد ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق.

● عَيْنَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَيْسًا أَمِيرًا عَلَى مِصْرَ وَكَانَ حَازِمًا،
كَانَ يَقُولُ: لَوْلَا أَنَّ الْمَكْرَ فُجُورٌ لَمَكَّرْتُ مَكْرًا
تَضْطَرِبُ مِنْهُ أَهْلُ الشَّامِ بَيْنَهُمْ، فَكَتَبَ مُعَاوِيَةُ وَعَمْرُو إِلَيْهِ
يَدْعُوَانِهِ إِلَى مُبَايَعَتِهِمَا. فَكَتَبَ إِلَيْهِمَا كِتَابًا فِيهِ غِلْظٌ. فَكَتَبَا إِلَيْهِ
كِتَابًا فِيهِ عُنْفٌ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمَا كِتَابًا فِيهِ لِينٌ. فَلَمَّا قَرَأَهُ، عَلِمَا
أَنَّهُمَا لَا يَدَانِ لَهُمَا بِمَكْرِهِ. فَأَذَاعَا بِالشَّامِ أَنَّهُ قَدْ تَابَعَنَا، فَبَلَغَ
ذَلِكَ عَلِيًّا، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: أَدْرِكْ مِصْرَ فَإِنَّ قَيْسًا قَدْ بَايَعَ
مُعَاوِيَةَ. فَبَعَثَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حُذَيْفَةَ إِلَى
مِصْرَ، وَأَمَرَ ابْنَ أَبِي بَكْرٍ. فَلَمَّا قَدِمَا عَلَى قَيْسٍ بَنَزَعَهُ، عَلِمَ أَنَّ
عَلِيًّا قَدْ خُدِعَ، فَقَالَ لِمُحَمَّدٍ: يَا ابْنَ أَخِي احْذَرِ، يَعْنِي أَهْلَ
مِصْرَ، فَإِنَّهُمْ سَيَسْلِمُونَكَمَا فَتُقْتَلَانِ. فَكَانَ كَمَا قَالَ.

تَقْوَى قَيْسٍ

● كَانَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ لَا يَزَالُ هَكَذَا رَافِعًا أَصْبَعَهُ
الْمُسَبِّحَةَ، يَعْنِي يَدْعُو.
● قَالَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ: لَوْلَا أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «الْمَكْرُ وَالْحَدِيدَةُ فِي
النَّارِ»^(١). لَكُنْتُ مِنْ أَمْكِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

(١) أخرجه الطبراني، والحاكم، وإسحاق بن راهويه.

● قَالَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ: لَوْلَا الْإِسْلَامُ، لَمَكَّرْتُ مَكْرًا لَا تُطِيقُهُ الْعَرَبُ.

● كَانَ كَثِيرَ الْحَشِيَّةِ لِلَّهِ، مَا يَقُومُ بِتَصَرُّفِهِ حَتَّى يَحْسِبَهُ بِمِيزَانِ الْإِسْلَامِ.

إِمْرَةُ قَيْسٍ

● لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى الْمَدِينَةِ مُهَاجِرًا مِنْ مَكَّةَ، أَخَذَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ بِيَدِ ابْنِهِ قَيْسٍ، وَقَدَّمَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: هَذَا خَادِمُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي قَيْسٍ سِمَةَ الشَّجَاعَةِ وَأَمَارَاتِ الْقُوَّةِ وَالصَّلَاحِ، فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ، وَبَقِيَ يَخْدُمُهُ عَشْرَ سَنَوَاتٍ، هِيَ حَيَاةُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالْمَدِينَةِ. وَيَقُولُ أَنَسٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ كَانَ يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِمَنْزِلَةِ صَاحِبِ الشُّرْطِ مِنَ الْأَمِيرِ^(١).

● كَانَ صَاحِبَ لَوَاءِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ.

(١) رواه البخاري في الأحكام.

● تَسَلَّمَ رَايَةَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَبِيهِ يَوْمَ فَتَحِ مَكَّةَ بَعْدَ أَنْ قَالَ وَالِدُهُ: الْيَوْمُ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ الْيَوْمُ تُسْتَحَلُّ الْحُرْمَةُ.

● تَوَلَّى أَمْرَ مِصْرَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ مِنْ قَبْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ عَزَلَ عَنْهَا.

● كَانَ عَلَى مُقَدِّمَةِ عَلِيٍّ يَوْمَ صِفِّينَ وَالنَّهْرَوَانَ.

● أَبِي الدُّخُولِ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَقَادَ خَمْسَةَ آلَافٍ ضِدَّ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ثُمَّ أَخَذَ الْأَمَانَ لِجَمَاعَتِهِ مِنَ الْخُلَفَاءِ الْجَدِيدِ، مُعَاوِيَةَ، وَسَارَ بَعْدَهَا إِلَى الْمَدِينَةِ.

حَيَاةُ قَيْسٍ

وُلِدَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِالْمَدِينَةِ حَوَالِي الْعَامِ الثَّامِنِ عَشَرَ قَبْلَ هِجْرَةِ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ، أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، وَعَاشَ حَيَاةَ الْأَثْرِيَاءِ الْأَجْوَادِ، وَشَعَّ نُورَ الْإِسْلَامِ فِي الْمَدِينَةِ، وَأَسْلَمَ أَبُوهُ سَعْدٌ أَحَدُ سَادَةِ الْخَزَرَجِ، وَأَسْلَمَ وَلَدُهُ قَيْسٌ، وَانْطَلَقَ سَعْدٌ إِلَى مَكَّةَ وَشَهِدَ الْمَوْسِمَ مَعَ حُجَّاجِ قَوْمِهِ وَالتَّقَى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالْعَقَبَةِ

وَبَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْعَةَ الْحَرْبِ مَعَ مُسْلِمِي قَوْمِهِ، وَاخْتَارَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ، عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، مِنْ مُسْلِمِي الْمَدِينَةِ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا، كَانَ سَعْدُ أَحَدَهُمْ.

وَابْتَدَأَ الْمُسْلِمُونَ فِي مَكَّةَ وَقَدِ اشْتَدَّ أذى قَوْمِهِمْ عَلَيْهِمْ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ إِلَى إِخْوَانِهِمُ الْمُسْلِمِينَ هُنَاكَ، وَتَلَقَّاهُمْ الْأَنْصَارُ بِالترَّحُّيبِ، وَفَتَحُوا بُيُوتَهُمْ لَهُمْ وَقَدَّمُوا لَهُمْ كُلَّ إِمْكَانَاتِهِمْ وَطَاقَاتِهِمْ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاسْتَقْبَلَهُ الْمُسْلِمُونَ كَأَحْسَنِ مَا يَكُونُ الْاسْتِقْبَالُ فَرَحِينَ مَسْرُورِينَ.

وَآخَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَوَادَعَ يَهُودَ، وَأَقَامَ بُنْيَانَ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ. وَجَاءَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ سَيِّدُ الْخَزَرَجِ بِابْنِهِ قَيْسٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدَّمَهُ لَهُ، وَقَالَ لَهُ: هَذَا خَادِمُكَ قَيْسُ، وَوَجَدَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَخَايِلَ الذِّكَاةِ، وَعَلَامَاتِ الْقُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَتَفَرَّسَ فِيهِ النَّبَاهَةَ، فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ، وَأَضْفَى عَلَيْهِ الْعُطْفَ، فَكَانَ عِنْدَهُ كصَاحِبِ الشَّرْطِ عِنْدَ الْأَمِيرِ.

وَحَدَمَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
عَشْرَ سَنَوَاتٍ تَقْرِيْبًا، شَارَكَ أَثْنَاءَهَا فِي بَعْضِ الْمُهْمَاتِ، فَقَدْ
حَمَلَ لِيَوَاءَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي بَعْضِ
الغَزَوَاتِ، وَجَاهَدَ فِي بَعْضِ السَّرَايَا الَّتِي كَانَ يُرْسِلُهَا رَسُولُ
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى هَذِهِ الْجِهَةِ وَتِلْكَ، فَقَدْ
انْخَرَطَ فِي السَّرِيَةِ الَّتِي قَادَهَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ إِلَى بَعْضِ
بُطُونِ جُهَيْنَةَ وَالَّتِي شَارَكَ فِيهَا أَيْضًا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ. وَاسْتَعْمَلَهُ
النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى الصَّدَقَةِ. وَتُوُفِّيَ رَسُولُ
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ.

وَشَارَكَ أَيَّامَ خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي حِمَايَةِ
الْمَدِينَةِ، وَبَعْضِ الْأَحْدَاثِ، وَلَمْ يَنْطَلِقْ إِلَى الْجِهَادِ، وَلَمْ
يُشَارِكْ بِصُورَةٍ وَاسِعَةٍ لِمَوْقِفِ وَالِدِهِ مِنَ الْبَيْعَةِ.

وَفِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، انْطَلَقَ وَالِدُهُ سَعْدٌ
إِلَى الْجِهَادِ بِالشَّامِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ اسْتَشْهَدَ. وَسَارَ بَعْدَهَا
قَيْسٌ إِلَى الْجِهَادِ فَشَارَكَ فِي فَتْحِ مِصْرَ، وَاخْتَطَّلَهُ دَارًا فِيهَا.
وَعَادَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْدَ مُدَّةٍ.

وَلَمْ يَشْتَرِكْ فِي الْأَحْدَاثِ الَّتِي وَقَعَتْ فِي أَوَاخِرِ عَهْدِ
الْخَلِيفَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَإِنَّمَا وَقَفَ عَلَى جَانِبِ خَاصٍّ مَعَ

الْأَنْصَارِ، يَحْرَصُ عَلَى الدَّفَاعِ عَنِ الْخَلِيفَةِ وَيَعْمَلُ عَلَى الشَّدِّ مِنْ أَرْوَ.

وَلَمَّا آلَتْ الْخِلَافَةُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، بَعَثَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْيَأْ مِنْ قِبَلِهِ عَلَى مِصْرَ، فَسَارَ إِلَيْهَا وَدَخَلَهَا مِنْ غَيْرِ جَهْدٍ، وَكَانَ قَدْ خَرَجَ مِنْهَا الْوَالِي السَّابِقُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرَحٍ، وَتَسَلَّمَهَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حُذَيْفَةَ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ قُتِلَ. وَأَخَذَ قَيْسُ الْبَيْعَةِ لِعَلِيٍّ مِنْ عَامَّةِ أَهْلِهَا إِلَّا فَرِيقًا اعْتَرَلُوا النَّاسَ، وَأَوَّوْا إِلَى (خَرْبَتَا) يَطْلُبُونَ بِثَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَلَكِنْ لَا يُقَاتِلُونَ أَحَدًا، وَلَا يَشْقُونَ عَصَا الطَّاعَةِ، فَأَمْهَلَهُمْ قَيْسُ وَسَارَ فِي الْبِلَادِ سِيرَةً حَسَنَةً وَضَبَطَ أَمْرَهَا. إِلَّا أَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِ عَلِيٍّ كَانُوا يُصِرُّونَ عَلَيْهِ أَنْ يَأْمُرَ قَيْسًا بِقِتَالِهِمْ أَوْ إِعْطَاءِ الْبَيْعَةِ حَتَّى لَا يَبْقَى فِي مِصْرَ مُعَارِضٌ، فَطَلَبَ مِنْهُ عَلِيٌّ ذَلِكَ، فَرَأَى أَنْ رَأْيُهُ هُوَ الْأَصُوبُ، فَتَرَكَ مِصْرَ، أَوْ أَنَّ عَلِيًّا عَزَلَهُ، وَبَعَثَ مَكَانَهُ الْأَشْتَرَ النَّخْعِيَّ، وَلَكِنَّهُ مَاتَ فِي الرَّمْلَةِ مَسْمُومًا قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا، وَأَضْطَرَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُثَبِّتَ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ عَلَى مِصْرَ، رَيْثَمَا يَرَى رَأْيَهُ، وَانْتَدَبَ أَهْلَ الْكُوفَةِ لِمُسَاعَدَةِ إِخْوَانِهِمْ أَهْلَ مِصْرَ وَلَكِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا، وَعِنْدَمَا أَصَرَ عَلَيْهِمْ سَارَ مِنْهُمْ جُنْدٌ قَلِيلٌ، وَمَا

وَصَلُّوا إِلَيْهَا حَتَّى كَانَ مُحَمَّدٌ بْنُ أَبِي بَكْرٍ قَدْ قُتِلَ وَدَخَلَهَا
عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ .

اتَّجَهَ قَيْسٌ مِنْ مِصْرَ إِلَى الْمَدِينَةِ غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ وَجَدَ مِنَ الْوَفَاءِ
التَّوَجُّهَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ طَاعَتَهُ وَاجِبَةٌ، فَسَارَ إِلَيْهِ،
وَكَانَ مَعَهُ فِي حُرُوبِهِ، فِي صِيفَيْنِ، وَفِي النَّهْرَوَانِ، وَكَانَ أَحَدَ
الْأَبْطَالِ، وَيَحْمِلُ لِيَوَاءِ الْأَنْصَارِ فِي تِلْكَ الْمَعَارِكِ، وَيَقُولُ:

هَذَا اللَّوَاءُ الَّذِي كُنَّا نَحْفُ بِهِ
مَعَ النَّبِيِّ، وَجِبْرِيلُ لَنَا مَدَدُ
مَا ضَرَّ مَنْ كَانَتْ الْأَنْصَارُ عَيْتَهُ
أَلَّا يَكُونَ لَهُ مِنْ غَيْرِهِمْ أَحَدُ

وَاسْتَشْهَدَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، إِذْ غَدَرَ بِهِ
أَحَدُ الْخَوَارِجِ، وَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُلْجَمٍ - قَبَحَهُ اللَّهُ -
وَعَلِيٌّ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ. وَالتَّفَّ النَّاسُ حَوْلَ الْحَسَنِ بْنِ
عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَسَارَ لِقِتَالِ مُعَاوِيَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
وَكَانَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَلَى مُقَدَّمَةِ
الْحَسَنِ. غَيْرَ أَنَّ الْحَسَنَ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ آثَرَ وَقَفَ نَزِيفِ الدَّمِ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَصَالَحَ مُعَاوِيَةَ وَبَايَعَهُ.

لَمْ يَقْبَلْ قَيْسٌ مَا قَامَ بِهِ الْحَسَنُ، وَرَفَضَ الدُّخُولَ فِي طَاعَةِ

مُعَاوِيَةَ، ثُمَّ اسْتَشَارَ جُنْدَهُ فِي الْعَمَلِ، أَمْتَابَعَةُ الْفِتَالِ أَمْ طَلَبُ
الْأَمَانِ؟ فَرَأَوْا الْأَمَانَ، فَأَخَذَ لَهُمُ الْأَمَانَ، وَسَارَ بَعْدَهَا إِلَى
الْمَدِينَةِ.

سَارَ قَيْسٌ مَعَ وَفْدٍ مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى الشَّامِ، فَبَايَعُوا الْخَلِيفَةَ
بَعْدَ عِتَابٍ بَيْنَ مُعَاوِيَةَ وَقَيْسٍ وَصَلَ إِلَى الْغِلْظَةِ أَحْيَانًا، وَقَدْ
أَكْرَمَ مُعَاوِيَةُ قَيْسًا وَالْوَفْدَ، وَاسْتَمَرَ فِي تَقْدِيرِهِ لَهُ حَتَّى تُوفِّيَ
قَيْسٌ فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِ مُعَاوِيَةَ، وَأَغْلَبَ الظَّنُّ فِي سَنَةِ تِسْعٍ
وَحَمْسِينَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ وَعَنْ
بَقِيَّةِ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المحتوى

الموضوع	الصفحة
٢١ - العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه	٥
٢٢ - سعد بن الربيع - رضي الله عنه	٦١
٢٣ - عبادة بن الصامت - رضي الله عنه	٧٧
٢٤ - عبد الله بن رواحة - رضي الله عنه	١١٥
٢٥ - أبو حذيفة بن عتبة - رضي الله عنه	١٤٩
٢٦ - سالم مولى أبي حذيفة - رضي الله عنه	١٦٩
٢٧ - أبو عبيدة بن الجراح - رضي الله عنه	١٨١
٢٨ - سعيد بن زيد - رضي الله عنه	٢١٩
٢٩ - سعد بن عبادة - رضي الله عنه	٢٣٧
٣٠ - قيس بن سعد - رضي الله عنه	٢٧٥

كُتُبُ لِمُؤَلِّفٍ

بُيُوتَةُ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ ١ - ٦

المجموعة الأولى:

- | | |
|-----------------------------------|-----------------------|
| ١ - أبو سُبْرَةَ ابن أبي رُحْمَ . | ٦ - سهيل بن عمرو . |
| ٢ - أبو سلمة عبدالله المخزومي . | ٧ - سعد بن معاذ . |
| ٣ - عبدالله بن جحش . | ٨ - عباد بن بشر . |
| ٤ - الزبير بن العوام . | ٩ - محمد بن مسلمة . |
| ٥ - زهير ابن أبي أمية . | ١٠ - أسيد بن الحضير . |

المجموعة الثانية:

- | | |
|--------------------------|---------------------------|
| ١١ - الفضل بن العباس . | ١٦ - عقيل ابن أبي طالب . |
| ١٢ - جعفر ابن أبي طالب . | ١٧ - صخر بن حرب . |
| ١٣ - عبدالله بن الزبير . | ١٨ - زيد بن حارثة . |
| ١٤ - عبدالله بن حذافة . | ١٩ - أبو العاص ابن ربيع . |
| ١٥ - المقداد بن عمرو . | ٢٠ - ثابت بن قيس . |

المجموعة الثالثة :

- ٢١ - العباس بن عبدالمطلب .
- ٢٢ - سعد بن الربيع .
- ٢٣ - عبادة بن الصامت .
- ٢٤ - عبدالله بن رواحة .
- ٢٥ - أبو حذيفة ابن عتبة .
- ٢٦ - سالم مولى أبي حذيفة .
- ٢٧ - أبو عبيدة ابن الجراح .
- ٢٨ - سعيد بن زيد .
- ٢٩ - سعد بن عبادة .
- ٣٠ - قيس بن سعد .

المجموعة الرابعة :

- ٣١ - مصعب بن عمير .
- ٣٢ - كعب بن مالك .
- ٣٣ - أبو أيوب الأنصاري .
- ٣٤ - سعد ابن أبي وقاص .
- ٣٥ - حمزة بن عبدالمطلب .
- ٣٦ - عاصم بن ثابت .
- ٣٧ - عبدالله بن عبدالله .
- ٣٨ - طلحة بن عبيدالله .
- ٣٩ - أبو طلحة زيد بن سهل .
- ٤٠ - أبو دجانة سماك بن خرشة .

المجموعة الخامسة :

- ٤١ - عمرو بن العاص .
- ٤٢ - عكرمة بن عمرو بن هشام .
- ٤٣ - شرحبيل بن حسنة .
- ٤٤ - أبو موسى الأشعري .
- ٤٥ - عياض بن غنم .
- ٤٦ - جرير بن عبدالله البجلي .
- ٤٧ - المثنى بن حارثة الشيباني .
- ٤٨ - خالد بن الوليد المخزومي .
- ٤٩ - عدي بن حاتم الطائي .
- ٥٠ - ثمامة بن أثال .

المجموعة السادسة :

- ٥١ - خبّاب بن الأرت .
- ٥٢ - صُهيب بن سنان .
- ٥٣ - بلال بن رباح .
- ٥٤ - عمار بن ياسر .
- ٥٥ - عامر بن فُهيرة .
- ٥٦ - مرثد ابن أبي مرثد .
- ٥٧ - سلمان الفارسي .
- ٥٨ - أبو ذر الغفاري .
- ٥٩ - عبدالله بن مسعود .
- ٦٠ - عبد الرحمن بن عوف .

التاريخ الإسلامي :

- ١ - ٢ قبل البعثة والسيرة.
- ٣ - ٤ الخلفاء الراشدون والعهد الأموي.
- ٥ - ٦ الدولة العباسية (١ - ٢).
- ٧ - العهد المملوكي.
- ٨ - العهد العثماني.
- ٩ - مفاهيم حول الحكم الإسلامي.

التاريخ الإسلامي المعاصر :

- | | |
|--|-------------------------|
| ١٨ - إيران وأفغانستان. | ١٠ - بلاد الشام. |
| ١٩ - بلاد الهند. | ١١ - بلاد العراق. |
| ٢٠ - جنوب شرقي آسيا. | ١٢ - جزيرة العرب. |
| ٢١ - المسلمون في الأمبراطورية الروسية. | ١٣ - وادي النيل. |
| ٢٢ - الأقليات المسلمة في العالم. | ١٤ - بلاد المغرب. |
| | ١٥ - غربي إفريقيا. |
| | ١٦ - وسط وشرقي إفريقيا. |
| | ١٧ - تركيا. |